العدد
25

آذار / مارس
2025

افتتاحية العدد
المُقاومةُ ماءُ الحَياةِ
بقلم الدكتور الشيخ
إبراهيم العزنكي

نشأة الكيانات الصليبية في المشرق العربي (مملكة بيت المقدس والإمارات الأخرى)
بقلم الطالبة ياسمين وحيد هلال

Regards croisés : analyse comparative des deux œuvres littéraires francophones « Raconte –moi: la vigne et le lierre » d'Asma Abdelkarim et « Le roman de Beyrouth » d'Alexandre Najjar.
Dr. Manal Bachir Hatoum.

العمليات السيبرانية وتأثيرها على تحولات السيادة في الفضاء السيبراني
بقلم الباحث محمد محمود زيتون

مفهومُ الخَضرمةِ وانعكاساتُها على اللغةِ في عصرِ صدرِ الإسلام
بقلم الطالب محمود محمد شحيمي

التنمر الإلكتروني ووعي المشرف التربوي
بقلم الطالبة كلير فؤاد كفروني

Q1

معامل التأثير العربي

وميض الفكر

مجلة ربع سنوية علمية محكمة

كلمة العدد
عرض محتوى مجلة وميض الفكر العدد25
بقلم رئيسة التحرير
الدكتورة
هيفاء سليمان الإمام

الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير
علم وخبر
1193/أ.د

دار النهضة العربية

© جميع الحقوق محفوظة

h_imamomais@hotmail.com

wameed.alfkr@gmail.com

التعريف:

هي مجلة علمية محكمة ربع سنوية تصدر عن الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، علم وخبر 1193/ أ.د

يرأس تحريرها: د. هيفاء سليمان الإمام،

ويعنى بنشرها وتوزيعها:

دار النهضة العربية / بيروت – لبنان.

وهي مرخصة من قبل وزارة الإعلام (بعد استشارة وموافقة نقابة الصحافة اللبنانية) تحت رقم 928

والمنشور في الجريدة الرسمية بقرار 2018/ 475،

حائزة على الأرقام الدولية المعيارية التالية:

issn :2618 – 1312

e – copy :2618 – 1320

IF: Ref.No: 2020 J101

DOI: 1018756/2020 J101

دار النهضة العربية

مجلة «وميض الفكر» للبحوث

العدد الخامس والعشرين (آذار/ مارس 2025)

مجلة «وميض الفكر» للبحوث

مجلة علمية محكمة فصلية

Issn paper print:2618-1320

Issn e copy: 2618-1320

ISI
INTERNATIONAL
Scientific Indexing

turnitin

Crossref

Google Scholar

turnitin

INTERNATIONAL
Scientific Indexing

حصلت مجلة وميض الفكر للبحوث

على معامل التأثير العربي لعام 2024 وقدره 98 .2

وترتيبها 47 من بين 2157 مجلة عربية

تصنيف معامل التأثير لمجلة وميض الفكر في السنوات:

2020-2021-2022- 2023

مجلة وميض الفكر للبحوث	
اسم المجله بالانجليزيه	Journal of Thought Flash Research
ISSN	26181312
الدوله	لبنان
اصدارات المجله	اضغط هنا
معامل التاثير لسنه 2020	1.35
معامل التاثير لسنه 2021	2.4
معامل التاثير لسنه 2022	2.54
معامل التاثير لسنه 2023	2.64

Google Scholar

(ونالت الأرقام التالية:)

(Ref.No:2020J1010)

وكذلك نالت رقم الـ (DOI:1018756/2020J101) .

كما تم فهرستها في **مؤسسة الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية**

تحت رقم: ARCI code-111-2007

الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية
ARABIC CITATION INDEX

Egyptian Knowledge Bank
بنك المعرفة المصري

Dear Prof./ Editor-in-chief of:
وميض الفكر للبحوث المحكمة

Congratulations! وميض الفكر للبحوث المحكمة (ISSN 2518-1312) has been selected for inclusion in the Arabic Citation Index (ARCI).

The data provider for the Arabic Citation Index has been advised to contact you regarding acquiring issues for XML upload to the Arabic Citation Index, hosted on Clarivate's Web of Science™ platform. Once the data provider has completed their XML preparation and uploaded your content to the Web of Science platform, your content will be available for display.

Details of the Arabic Citation Index Editorial Selection Process can be found below. To learn more about ARCI, here are some helpful links:

About the Arabic Citation Index :
http://archival.ekb.eg/?page=aboutar.html
Clarivate LibGuide on ARCI :
https://clarivate.libguides.com/webofscienceplatform/arci
Information on the ARCI on the Web of Science platform :
https://clarivate.com/webofsciencegroup/solutions/arabic-citation-index/
If you have any questions about the editorial process or your journal, you may contact us at ARCI@EKB.eg

Kind Regards,
Prof. Sherif Kamel Shaheen

Head of ARCI Editorial Committee

الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية
ARABIC CITATION INDEX

Egyptian Knowledge Bank
بنك المعرفة المصري

السيد الأستاذ الدكتور/ رئيس تحرير
وميض الفكر للبحوث المحكمة

يسعدنا أن نقرر أن مجلة وميض الفكر للبحوث المحكمة (الرقم الدولي 2518-1312) إدراجها ضمن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية.

يرجى من القائمين على عملية إختيار المجلات إدراجها في الكشاف والمزيد عن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية، فيما يأتي بعض الروابط المهمة:

عن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية:
http://archival.ekb.eg/?page=aboutar.html
دليل كلاريفيت للكشاف العربي للاستشهادات المرجعية:
https://clarivate.libguides.com/webofscienceplatform/arci
معلومات عن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية على منصة شبكة العلوم:
https://clarivate.com/webofsciencegroup/solutions/arabic-citation-index/
لمزيد من الاستفسارات، يمكنكم التواصل مع:
arcival@ekb.eg

تحياتي
الأستاذ الدكتور/ شريف كامل شاهين

رئيس لجنة التقييم بالكشاف العربي للاستشهادات المرجعية

هيئة الإدارة والتحرير

المشرف العام على المجلة: الأستاذ الدكتور علي مهدي زيتون

المستشار العلمي والبحثي: الدكتور يوسف السبعاوي

رئيسة التحرير الدكتورة: هيفاء سليمان الإمام

مديرة التحرير: أ. لينا محمد عبد الغني

الاتّصال والمراسلات:

هواتف المجلة: 009613691425

فاكس المجلة: 009618630280

الموقع الإلكتروني: www.wameedalfikr.com

البريد الإلكتروني: wameed.alfkr@gmail.com

البريد الإلكتروني لرئيسة التحرير: haifaa.imam@liu.edu.lb

الاشتراكات: لبنان والدول العربية 225 $ سنوياً

باقي دول العالم 250 $ سنوياً

فهرس المحتويات:

•الهيئة العلمية المحكمة في هذا العدد: 11

•رؤية المجلة:..... 13

•هدف المجلة:..... 13

•قواعد التحكيم في مجلة وميض الفكر..... 14

•قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث..... 15

افتتاحية العدد: المُقاومةُ ماءُ الحَياةِ

بقلم: الدكتور الشيخ إبراهيم العزنكي 20

كلمة العدد: عرض محتوى مجلة وميض الفكر العدد25

بقلم : رئيسة التحرير الدكتورة هيفاء سليمان الامام..... 22

أبحاث العدد الخامس والعشرين (أذار 2025)

باب التربية:

1. ريادة الإشراف التربوي في لبنان، استراتيجيات مبتكرة لتعزيز التعلّم والتطوير المستدام

بقلم الطالبة: سلمى فؤاد زاكي 25

2.التنمر الإلكتروني ووعي المشرف التربوي

بقلم الطالبة: كلير فؤاد كفروني 49

باب التاريخ:

1. أصداء انفصال جمهوريات آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتي واستقلالها 1992–1991 في بعض الصحف العربية

بقلم م. د. وجدان كارون فريح..... 72

2. نشأة الكيانات الصليبية في المشرق العربي (مملكة بيت المقدس والإمارات الأخرى)

بقلم الطالبة: ياسمين وحيد هلال 92

3. التطورات السياسية في الفترة الشهابية (فؤاد شهاب 1964–1958)

بقلم الدكتورة: رباب يوسف وهبي 107

باب اللغة العربية وآدابها:

1. لحظات التجلي في قصيدة تمهل قليلا : للشاعرة حياة الرايس من تونس (بوح معلّق)

بقلم الدكتورة: رفيقة عبد الله بن رجب 122

2. مفهومُ الخَضرمةِ وانعكاساتُها على اللغةِ في عصرِ صدرِ الإسلام

بقلم الطالب: محمود محمد شحيمي 137

3. «الصّورة الفنّيّة في شعر علي زيتون» قصائد زينب أنموذجًا

بقلم الدّكتورة آمنة إبراهيم شكر.....166

باب العلوم السياسية والقانونية:

1. العمليات السيبرانية وتأثيرها على تحولات السيادة في الفضاء السيبراني

بقلم الباحث: محمد محمود زيتون 178

2. التشدد في حماية المريض في القانون اللبناني بالمقارنة مع القانون الأمريكي

بقلم الطالبة: نجلاء عصام شبلي 212

3. اتجاهات الصراع الجيوسياسي في منطقة البحر الأسود

بقلم الطالبة: فاتن فوزي مصطفى 230

باب أبحاث باللغة الفرنسية:

1. Regards croisés : analyse comparative des deux œuvres littéraires francophones « Raconte –moi: la vigne et le lierre » d'Asma Abdelkarim et « Le roman de Beyrouth » d'Alexandre Najjar.

Écrit par Dr. Manal Bachir Hatoum.....6

باب الأبحاث باللغة الانكليزية:

2. Ibn Mammati: His Life and His Book "Qawanin al–Dawawin" (Died in 606 AH / 1209 CE)

Written by: Mohammad Majeed Hameed Bilal.....30

الهيئة العلمية المحكمة في هذا العدد:

1. أ. د. أحمد فارس: (لبنان) كلية الدعوة الإسلامية في بيروت، وأستاذ اللغة العربية والآداب في الجامعة اللبنانية وفي جامعة بيروت العربية.
2. أ. د. رحيم حلو محمد شناوة البهادلي(العراق) أستاذ تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي في كلية التربية _جامعة البصرة.
3. أ. د. عفيف عثمان: (لبنان)أستاذ الفلسفة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية.
4. أ. د. علي زيتون: (لبنان) جامعة المعارف، رئيس مجلس الأمناء فيها، ورئيس الملتقى الثقافي الجامعي ورئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية.
5. أ. د. علي محمود شعيب:(مصر) أستاذ الصحة النفسية في كلية التربية – جامعة المنوفة، قسم علم النفس التعليمي.
6. أ.د. محمد علي القوزي :(لبنان) جامعة بيروت العربية، رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ الحديث والمعاصر فيها.
7. أ. د. لبيب أحمد بصول: (فلسطين) أستاذ دكتور في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة خليفة أبو ظبي– الإمارات.
8. أ. د. محمد توفيق أبو علي: (لبنان)الجامعة اللبنانية، أمين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين، وعميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سابقاً وأستاذ اللغة العربية فيها.
9. أ. د. مصطفى معروف موالدي(سوريا)، أستاذ التاريخ في جامعة حلب وعميد معهد التراث العلمي العربي فيها.
10. أ. د. نشأت الخطيب: (لبنان)أستاذة التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية وفي جامعة بيروت العربية.
11. أ. د. وجدان فريق عناد: (العراق)جامعة بغداد، أستاذة التاريخ الإسلامي فيها، اختصاص

تاريخ وحضارة الأندلس، ورئيسة تحرير مجلة التراث العلمي العربي في العراق.

12.أ. د. مهى خير بك ناصر: (لبنان) أستاذة الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها في المعهد العالي للدكتوراه –الجامعة اللبنانية.

13.أ. د. هالة أبو حمدان:(لبنان)أستاذ مساعد في مادة القانون في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية.

14.أ. د. وجيهة الصميلي (لبنان): رئيسة قسم اللغات في كلية التربية / الجامعة اللبنانية.

15.الأستاذ المشارك الدكتور رشيد أحمد حسن (اليمن): نائب العميد لشؤون الطلاب في كلية التربية/ جامعة زنجبار، و حاصل على لقب أستاذ مشارك من جامعة أبين وفي قسم اللغة العربية/ كلية التربية جامعة زنجبار، أستاذ النحو واللغة المساعد فيها و في جامعة عدن.

16.الدكتور موسم عبد الحفيظ (الجزائر): أستاذ مساعد «أ» ودائم في قسم العلوم الإنسانية بجامعة سعيدة، وعضو في المجلس العلمي لكية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة. أستاذ مؤقت في قسم التاريخ بجامعة تلمسان.

17.الأستاذة الدكتورة راما عزيز دراز(لبنان) : أستاذة التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة بيروت العربية.

18.الدكتور أنور فاضل علي الخالدي: (العراق) استاذ مساعد في التاريخ جامعة الكوفة، مركز الدراسات والأبحاث في جامعة الكوفة.

19.أ.د. ناجي كعدي(لبنان): أستاذ دكتور في الهيدروجيولوجيا في الجامعة اللبنانية، حاز على 3براءات اختراع وطور طريقة رياضية لاحتساب حجم الأحواض المائية، شارك بأكثر من 38 مؤتمر علمي ونشر أكثر من 10 أبحاث في مجلات علمية محكمة، ناشط في المجتمع العلمي اللبناني.

20.الأستاذ الدكتور عيسى المعيزة(الجزائر): رئيس اللجنة العلمية لقسم القانون الخاص جامعة الجلفة –الجزائر– مدير مخبر المخطوطات سابقا.. عضو اللجنة العلمية للمدرسة الدولية لحقوق الانسان ولمنظمة Odimed –ايطاليا.

رؤية المجلة:

تتطلع الهيئة العلمية المشرفة على مجلة وميض الفكر للبحوث التربوية والعلوم الإنسانية إلى أن تكون المجلة منصة أكاديمية للبحث العلمي المميز على مستوى الوطن العربي بحيث تساهم في تعزيز بيئة البحث العلمي بتنفيذ أكبر قدر من المشاريع والمتطلبات الأكاديمية للطلبة والباحثين، كما أنها تتطلع إلى الريادة في مجال البحث العلمي من خلال النمو المستمر بالأفكار والتطوير الذي لا يتحقق إلا من خلال نخبة من الباحثين والمهتمين بهذه المجالات.

أهداف المجلة:

تهدف مجلة وميض الفكر للبحوث إلى توفير مرجعٍ علميّ وتلبية حاجة الباحثين على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية في النشر العلمي، خاصة في مجال التربية والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

فهرسة وأرشفة النتاج العلمي والمعرفي العربي في كبرى قواعد البيانات العلمية العالمية.

توفير عملية مراجعة ونشر سريعة وفعالة للأبحاث والأوراق العلمية.

قواعد التحكيم في مجلة وميض الفكر للبحوث:

على المحكم أن يقدم إلى إدارة المجلة تقريراً مفصلاً عن تقييمه للبحث المرسل إليه لتحكيمه ضمن المعايير المعتمدة في المجلة ويكون على الشكل التالي:

I. الصفحة الأولى:

التوجه إلى إدارة المجلة.

الموضوع.

المرجع.

اسم المحكم وصفته ودرجته العلمية.

التاريخ.

II. الصفحة الثانية:

عرض أهم نقاط البحث

III. الصفحة الثالثة:

الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. هل موضوع البحث ينسجم مع تخصص الباحث؟
2. هل يعتبر البحث من البحوث المهمة في موضوعه؟
3. كيف يتم عرض البحث وكتابته ووضوحه؟
4. هل إشكالية البحث واضحة في عنوان البحث وفي مضمونه؟
5. ما هو منهج البحث الذي اعتمده الباحث؟
6. هل البحث يعتبر إسهاماً في مجال البحث العلمي الرصين؟
7. ما هو رأيك بنتائج البحث؟
8. ما هي حداثة المراجع وأهمية المصادر المعتمدة في البحث؟

IV. الصفحة الأخيرة:

علامات التقييم:

1. ما هو تقييمك لجودة وعاء النشر وسعة انتشاره (المجلة)؟
2. هل يعتبر البحث أصيلاً؟
3. هل البحث صالح للنشر؟

قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث:

ترحّب المجلة بنشر الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة ذات الصلة بالعلوم التربوية واللسانيات والأدب والنقد المقارن والدراسات الفكرية والفلسفية والاجتماع والجغرافيا والفنون والتراث الشعبي والأنثروبولوجيا والآثار.

وتتصدى المجلة بالبحث الرصين والتحليل العلمي الموضوعي لأهم الظواهر التي تقع تحت مظلة العلوم التربوية والإنسانية.

أولاً: قواعد عامة:

تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية الأصيلة، وتقبل للنشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، أو اللغة الإنجليزية أو الفرنسية التي لم يسبق نشرها، وفي حالة القبول يجب ألا تنشر المادة في أي دورية أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.

تنشر المجلة الترجمات، والقراءات ومراجعات الكتب، والتقارير، والمتابعات العلمية حول المؤتمرات، والندوات، والنشاطات الأكاديمية المتصلة بحقول اختصاصها، كما ترحب بالمناقشات الموضوعية لما ينشر فيها، أو في غيرها من المجلات، والدوريات، ودوائر النشر العلمي.

ثانياً: الأبحاث أو المقالات:

ترسل البحوث مطبوعة مصححة بصورتها النهائية مدققة لغوياً مرفق بملخص عن البحث باللغتين العربية وأخرى أجنبية(فرنسي او انكليزي)–على قرص ممغنط يتضمن البحث، والخلاصة باللغات العربية والإنجليزية أو العربية والفرنسية. ويمكن إرسالها عبر البريد الإلكتروني للمجلّة.

توجّه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة أو الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، لبنان – البقاع / شتورا.

يقدّم الأصل مطبوعاً على الحاسوب وذلك باستخدام نظام الـ Word 2003، مع الالتزام بنوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (size 14)، التباعد بين

السطور (1 سم) على ألا تزيد عدد صفحاته على 20 صفحة مطبوعة (أو مكتوبة بخط واضح) مضبوطة ومراجعة بدقة، وترقّم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول، والأشكال.

تطبع الجداول، والصور، واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

يذكر الباحث اسمه وجهة عمله مترجمين الى لغة اجنبية(فرنسي او انكليزي) اضافة الى عنوانه الإلكتروني وصورة له على ورقة مستقلة، وعليه أن يشير فيما إذا كان البحث قد قدم إلى مؤتمر، أو ندوة وأنه لم ينشر ضمن أعمال المؤتمر.

يمنح الباحث نسختين من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح أصحاب المناقشات، والمراجعات والتقارير، وملخصات الرسائل الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.

يسدد الباحث رسماً رمزياً قيمته 200 دولار أميركي مقابل نشر البحث، أو يساهم في شراء وتوزيع خمس عشرة نسخة من العدد الوارد فيه بحثه.

ثالثاً: المصادر والحواشي:

يشار الى جميع المصادر بأرقام الحواشي التي تنشر في اواخر الصفحات من كل بحث، ويجب أن تعمد الأصول العلمية المتعارف عليها في التوثيق العالمي وهي:

1 – طريقة هارفرد Harvard لتوثيق المصادر

من بين اساليب التوثيق في البحث العلمي أكثر طرق التوثيق سهولة وهي "طريقة هارفرد " Harvard حيث نجد الكثير من الابحاث العلمية اعتمدت عليها في كتابة المصادر والمراجع والمصادر المستخدمة في البحث، وهذه الطريقة منقسمة على قسمين:

- **التوثيق داخل البحث:**

اذا كان تم استخدام فقرات من المراجع دون تصريف او تغير فيها – النقل الحرفي من المراجع – يتم وضع النص المُقتبس بين علامتي التنصيص، وبعد الانتهاء من كتابة الفقرة المقتبسة نتبعها بكتابة اسم العائلة للمؤلف وسنة النشر ورقم الصفحة كالشكل

التالي "_____". (اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة).

وفي حال كان الباحث العلمي قد اقتبس من المرجع لكنه اخذ يعدل فيه او عمل في الاقتباس بتصريف يتم التوثيق على نحو الشكل التالي، (النص المُقتبس _____). (اسم عائلة الباحث، سنة النشر، رقم الصفحة).

بعض الامور يجب ملاحظتها اثناء التوثيق داخل نص الرسالة اهمها اننا عندما نكتب اسم الكتاب في نص الرسالة لا نكتبه مرة اخرى في التوثيق وانما نكتفي ب (سنة الطبق، رقم الصفحة)، وفي حالة وجود أكثر من مؤلف نعتمد على الشكل اعلاه ونبدأ باسميّ العائلة لكلا المؤلفيّن او المؤلفين وبقية التوثيق كما هو، إذا كان الاقتباس من الانترنت نعمل على توثيقه بالشكل التالي: (كاتب المقال او مالك الموقع، سنة النشر).

- **التوثيق في فصل المراجع:**

إذا كان للكتاب صاحب واحد كان التوثيق كما يلي:

اسم العائلة للمؤلف او المؤلفين، اسم المؤلف او المؤلفين، سنة الطبع، عنوان الكتاب، الطبعة او الجزء ان كان المرجع على أكثر من جزء، دار النشر. يتم اتباع نظام التوثيق السابق مع المقالات والمجلات العلمية. ان كان المرجع موقع على الانترنت يتم اتباع نفس طريقة التوثيق السابقة مع كتابة سنة الزيارة ووقتها.

2 – طريقةMLA

منظمة اللغة الحديثة Modern Language Association اعتمدت MLA كطريقة لكتابة المراجع العلمية في الدراسات والابحاث المتخصصة في الفلسفة، والمنطق، والاديان، والآداب، والتاريخ، والمجالات التربوية المتنوعة بالإضافة الى مجموعة العلوم الانسانية المعروفة وفيما يلي توثيق توضح هذه الطريقة:

المراجع:

- مراجع لها مؤلف واحد: اسم عائلة المؤلف، الاسم الاول للمؤلف. اسم الكتاب. مكان النشر: دار النشر، سنة الطباعة.
- مراجع لها أكثر من مؤلف: اسم عائلة الكاتب الاول، اسم الكاتب الاول، اسم الكاتب الثاني كما جاء في الكتاب. اسم الكتاب. مكان النشر: دار النشر، سنة الطباعة.
- المرجع المترجم وله أكثر من مشارك في إعداده: اسم عائلة المحررون، اسم المحرر (معد). اسم الكتاب. مكان النشر: دار النشر، سنة النشر.
- المرجع المكون من مجموعة اجزاء: اسم العائلة، اسم الكاتب الشخصي. اسم الكتاب. الجزء او الاجزاء المستخدم في الرسالة. الطبعة. مكان النشر: دار النشر، سنة النشر. عدد الاجزاء المكونة للمرجع. يجب الفصل بين الاجزاء بالعلامة.[–]
- المقالات العلمية واستخدامها كمرجع: اسم عائلة الكاتب، الاسم الاول للكاتب، اسم المعد للموسوعة. "اسم المقالة" اسم الموسوعة العلمية (سنة النشر)، الجزء، الصفحات

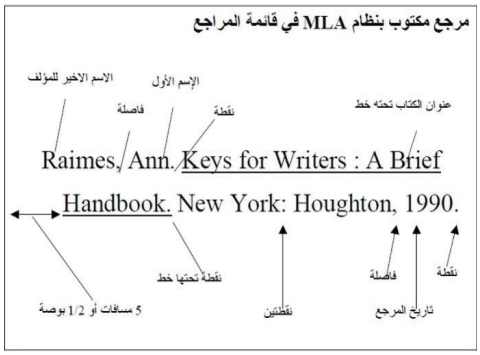

3_ طريقة APA (American Psychological Association)

وهي طريقة خاصة لتوثيق الابحاث العلمية المتخصصة في العلوم النفسية وما يندرج تحتها من فروع علم النفس التخصصي، وتكون طريقة توثيق المراجع وفقها على النحو التالي: اسم عائلة الكاتب، اول حرف من الاسم الشخصي. الحرف الاول من اسم والد الكاتب. (سنة النشر). اسم الكتاب: دولة النشر : دار الطباعة. ونطبق ما طبقناه من زيادات في الطريقة الثانية اذا ما تعدد الكتاب للمرجع الواحد او تعددت اجزائه.

APA مثال مرجع مكتوب بنظام

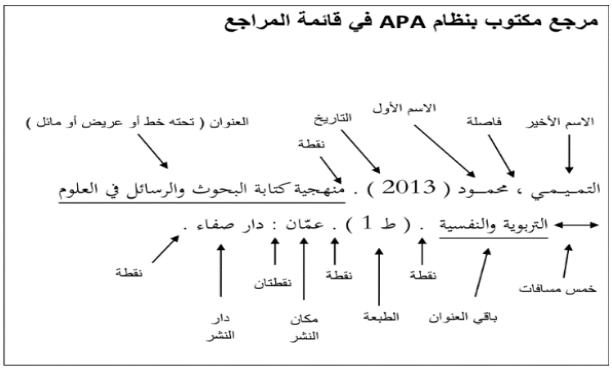

يزود البحث بقائمة للمصادر منفصلة عن الحواشي، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

رابعاً: إجازة النشر:

يجري إبلاغ أصحاب المساهمات بتسلم المادة خلال أسبوعين من تاريخ التسليم، مع إخبارهم بقبولها للنشر، أو عدم القبول بعد ارسالها الى فحص الاستلال(علماً بان المجلة ترفض البحث الذي يحتوي اكثر من 20 بالمية اقتباس)، ومن ثم يتم عرض البحوث على محكمين، تختارهم المجلة على نحو سري، أو بعد عرضها على هيئة التحرير (في حالة المساهمات الأخرى)، وللمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية، أو شاملة على البحث قبل إجازته.

ملاحظة: إن الأفكار والآراء المطروحة والمتداولة في صفحات المجلة لا تعبر بالضرورة عن خيارات واتجاهات تتبناها المجلة، بل إنها تخص الباحث وحده مع احترام حق الرد والرد عليه إن كان ذلك مناسباً.

كما أن المجلة لا تتحمل تبعات أي موقف قد يثير إشكالاً في مادة البحث، والباحث هو المسؤول عن كل ما يكتبه أمام القانون.

افتتاحية العدد:

المُقاومةُ ماءُ الحَياةِ

بقلم الشيخ الدكتور

إبراهيم قاسم جمعة العزنكي

باحث تربوي ومدرس في العلوم اللغوية وطرائق التدريس في كلية الإمام الأوزاعي

ومدرس علم البلاغة في جامعة بيروت الإسلامية

وصاحب ومدير مدرسة سبيل الرشاد في القرعون ومدرسة العقول النشطة في سعدنايل

schoolalrashad@gmail.com

صّبرٌ على الغدرِ

رجوعٌ بعدَ نزوحِ

إعمارٌ بعدَ دمارِ

مُعاندةِ الماءِ لكلِّ مُحاولاتِ حبسِه في إناءٍ

ومِن هُنا نُبدأ..

إنَ طبيعةَ الماءِ وصفتَه أنّه سائلٌ عنيدٌ فلا يُمكن حبسُه وخزنُه

قالَ سبحانه وتعالى: وما أنتم لهُ بخازنينْ. صدقَ اللهُ العظيمُ

فالكلُّ يعلمُ أنّ للماءِ حالاتٍ؛ فهو يسيلُ ويتجمّدُ

ويسخُن فيتبخرُ ويسيرُ في الآفاقِ غيمةً

ثمّ يعودُ إلى الأرضِ يروي حياةَ الأحياءِ

وينظّف كلّ مَن يغشاهُ الغبار بل يجرفُ القاذوراتِ ويتجاوز السّدودَ أو يهدمُها

أو ينفَذُ مِن محابسِه المُحكمةِ ولو نشًّا؛ حتّى يفتكَ بعناصرِ مُحبِسِه ومَحبَسِه

ألا ترى اتّساعَ الشّبهَ بينَ هذا السّائلِ العجيبِ؛ وتقدّرُ مدى حاجةِ الأحياءِ إليهِ

فالمقاوماتُ الشّعبيةُ تأخذُ الشّكلَ المُناسبَ والمُمكنَ مِن أشكالِ النّضالِ بَدءًا بالإعدادِ..

مُرورًا بكلِّ حالاتِ النّضالِ إلى الانتصارِ.

ففي حالٍ تسيلُ من بينِ أقدامِ العدوِّ وأضلاعِه فلا يشعرُ ولا يحسّ

وفي أخرى تتضافرُ قطراتُه في جبهاتِه فتنهرُ مواقعَه مُحدثةً سواقيَ وأنهارا

وفي ثالثةٍ تتفجّرُ الأرضُ عيونًا

وقد يطغى الماءُ ولا يسلمُ إلّا مَن حُملَ في الجاريةِ

هكذا هيَ أحوالُ الثّوراتِ والمُقاومينَ

تراهم مِن الحَجرِ والشّجرِ والماءِ مُتعلّمين

وفي كلِّ أشكالِهم وحالاتِهم تُعاينُهم مُتعاونين

إذا غاروا في طبقاتِ الأرضِ لهم مِيعادٌ فيخرجون

وإذا تبخّروا وسَمَتْ أرواحُهم فإلى أرضِهم بزخْمٍ ونفعٍ وشوقٍ للريّ يعودون

فتشرأبُ بأعناقِها بريّهم الأحياءُ نباتًا وحيوانًا وبشرًا يشكرون

فهذا دأبُهم كلُّ حيٍّ في أرضِهم وعلى أرضِهم وتحتَ أرضِهم ينفعون

ولا بُدّ أنّهم مُنتصرون

أنتم... أنتم... ماؤنا. وهل لنا حياةٌ مِن غيرِ ماءٍ، وأنّى تكون؟

فأنتم أحياءٌ بيننا.. لا تغيبونَ.

كلمة العدد:

عرض محتوى مجلة وميض الفكر العدد25

بقلم رئيسة التحرير الدكتورة هيفاء سليمان الامام

أستاذ مشارك في الجامعة اللبنانية الدولية LIU

Wameed.alfkr@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

في عالمٍ متسارع التغيّرات، حيثُ تتشابكُ التحديات وتتعاظمُ المسؤوليات، تظلُّ الكلمةُ الملتزمةُ بالفكر والمعرفة سلاحًا في وجه التجهيل والتضليل. ومع إطلالة العدد الخامس والعشرين من مجلة «وميض الفكر»، نواصلُ مسيرتنا في تقديم محتوى غنيٍّ ومتنوّعٍ يسبرُ أغوار الفكر والتاريخ والتربية والقانون والسياسة والأدب، ويُلقي الضوء على القضايا الراهنة التي تشغلُ العقول وتحرّك الوجدان.

المُقاومةُ ماءُ الحَياةِ، عنوان افتتاحية العدد بقلم الدكتور الشيخ إبراهيم العزنكي، يعبّر عن مفهوم المقاومة في أبعادها المختلفة، بوصفها شريان الحياة الذي يمدُّ الشعوب بالعزم والإرادة لمواجهة التحديات وحماية الهويّة.

وفي باب التربية، نسلّط الضوء على أهمية الإشراف التربوي في لبنان من خلال استراتيجيات مبتكرة تعزّز التعلّم المستدام، كما نناقش ظاهرة التنمر الإلكتروني ودور المشرف التربوي في مواجهتها ونشر الوعي حول آثارها السلبية. أما في باب التاريخ، فنغوصُ في حقب تاريخيةٍ مفصلية، من نشأة الكيانات الصليبية في المشرق العربي إلى استقلال جمهوريات آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتي، وصولًا إلى التحولات السياسية في عهد الرئيس فؤاد شهاب، والتي شكلت محطةً مفصليةً في تاريخ لبنان الحديث.

وفي باب اللغة العربية وآدابها، نستنطق جماليات النصوص الشعرية والنقدية، بدءًا من لحظات التجلي في قصائد الشاعرة حياة الرايس، مرورًا بمفهوم الخضرمة وأثره في اللغة العربية في صدر الإسلام، وصولًا إلى استكشاف الصورة الفنية في شعر علي زيتون.

أما باب العلوم السياسية والقانونية، فيتناول قضايا معاصرة وحيوية، من تأثير العمليات السيبرانية على السيادة الوطنية، إلى التشريعات الخاصة بحماية المرضى في القانون اللبناني بالمقارنة مع القانون الأمريكي، وصولًا إلى تحولات الصراع الجيوسياسي في منطقة البحر الأسود.

ولعشاق الدراسات المقارنة، يتضمّن العدد أبحاثًا باللغتين الفرنسية والإنكليزية، حيث يقدّم بحث باللغة الفرنسية تحليلاً مقارنًا لعملين أدبيين فرانكوفونيين حول بيروت، بينما يتناول البحث باللغة الإنكليزية سيرة ابن مامتي وكتابه «قوانين الدواوين»، الذي يعدّ من أبرز النصوص في الإدارة

الإسلامية.

نأمل أن يكون هذا العدد إضافةً نوعيةً تُثري العقول، وتُلهم الباحثين والقرّاء لاستكشاف مزيدٍ من آفاق الفكر والمعرفة. ومع كلِّ عددٍ جديدٍ، نؤكّد التزامنا برسالة التنوير وإعلاء قيمة الفكر الرصين. لأننا في «وميض الفكر»، نؤمن بأن البحث العلمي والأدب والفكر تشكل حصونًا منيعة تحمي الإنسان من الاندثار في متاهات العصر. فالمعرفة هي السلاح، والكلمة هي النبض، والمقاومة هي الحياة.

- **باب التربية:**

1. ريادة الإشراف التربوي في لبنان

استراتيجيات مبتكرة لتعزيز التعلّم والتطوير المستدام

Leadership in Educational Supervision in Lebanon: Innovative Strategies to Enhance Learning and Sustainable Development

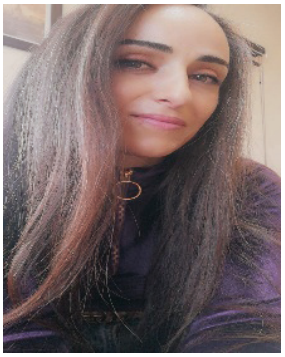

بقلم الطالبة: سلمى فؤاد زاكي

طالبة ماستر إشراف تربوي سنة ثانية في الجامعة اللبنانية/ كلية التربية /فرع العمادة

أستاذة متعاقدة في التعليم المهني والتقني(معهد راشيا الفني)

Salma Fouad Zaki

A second-year Master's student in Educational Supervision at the Lebanese University, Faculty of Education, Branch of Deanship. A contracted teacher in vocational and technical education (Rashaya Technical Institute).

salma.z.edu@outlook.com

تاريخ الاستلام17:/ 1/ 2025 تاريخ القبول:3/ 2/ 2025 تاريخ النشر:25/ 3 /2025

ملخّص البحث

يتناول هذا البحث إستراتيجيات مبتكرة في الإشراف التربوي في لبنان، مع التركيز على تعزيز التعلّم والتطوير المستدام. في ظل التحديات التي تواجه النظام التعليمي في لبنان منذ عام 2019، يبرز الإشراف التربوي كركيزة أساسية لتحسين الأداء الأكاديمي وتطوير مهارات المعلمين. يهدف البحث إلى تحليل نظام الإشراف التربوي الحالي في المدارس الخاصة بمنطقة جبل لبنان، من خلال تحديد التحديات والفرص، واستكشاف دور التكنولوجيا والتنوع الثقافي في تحسين هذا النظام. باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، يُقيّم البحث تأثير التطوير المهني، وتكامل التكنولوجيا، وأطر التعاون على الإشراف التربوي. تؤكد النتائج على أهمية تحديث استراتيجيات الإشراف لضمان ممارسات تعليمية فعّالة ومستدامة.

الكلمات المفتاحية: الإشراف التربوي، تطوير المعلمين، التعليم المستدام، استراتيجيات مبتكرة، التكنولوجيا في التعليم.

Abstract

This study explores the innovative strategies in educational supervision in Lebanon, focusing on enhancing learning and sustainable development. Amid the challenges faced by Lebanon's education system since 2019, effective educational supervision emerges as a cornerstone for improving academic performance and developing teacher skills. The research analyzes the current supervision system in private schools of Mount Lebanon, identifying challenges, opportunities, and the potential role of technology and cultural diversity in advancing the system.

Using descriptive and analytical methods, the study evaluates the impact of professional development, technological integration, and collaborative frameworks on educational supervision. The findings emphasize the necessity of modernized supervision strategies to foster effective teaching and sustainable educational practices.

Keywords: Educational Supervision, Teacher Development, Sustainable Education, Innovative Strategies, Technology in Education.

1. مقدمة

يواجه لبنان العديد من الأزمات منذ عام 2019 ومن بينها أزمة في النظام التعليمي. إذ إنه يواجه العديد من التحديات تتطلب تدخلات بشكل فعّال لتعزيز وإرجاع جودة التعليم كما كانت في السابق. يعدّ الإشراف التربوي إحدى أبرز الركائز لتحسين الأداء الأكاديمي وتطوير مهارات المعلمين. الهدف الأساسي من الإرشاد التربوي هو مساعدة المدرسة والأساتذة في رؤية غايات التربية الحقيقية والإدراك بدور الفعّال في تحقيق هذه الغايات (الأفندي، 1976).

أما الإشراف التربوي فله العديد من التعريفات من أهمها أنّه «عملية ديمقراطية، وتعاونية، منظمة، يعني بالموقف التعليمي التعلمي، بدميع عناصره من مناهج ووسائل وبيئة ومعلم وطالب، وأساليب، ويهدف إلى دراسة العوامل المؤثرة في ذلك الموقف وتقييمه، للعمل على تحسينه وتنظيمه، من أجل تحقيق أفضل الأهداف للتعلّم والتعليم» (كريم، 2006). يعد الإشراف التربوي من الأركان الرئيسية والفاعلة في أي نظام تعليمي إذ إنه يشّخص واقع العملية التعليمية من حيث المدخلات والعمليات والمخرجات، ويعمل على تطويره وتحسينه (قمحية و مخزوم، 2019).

ومن الصعب إيجاد باحثاً تربوياً أو معلّماً لا يعتبر الإشراف التربوي مهمّاً لإنجاح المتعلّمين، إذ إن الطلاب والمعلمين لا يعرفون ذلك من الخبرة الشخصية. وُجدت عشرات الأبحاث عن علاقة إيجابية بين سلوك المشرف والتحصيل الأكاديمي للطلاب (حسان ، 2007).

يطرح هذا البحث الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن تحسين نظام الإشراف التربوي في مدارس جبل لبنان الخاصة من خلال تطوير استراتيجيات تحديثية فعّالة ومستدامة في ظل التحديات التي يواجهها هذا النظام في لبنان؟

يندرج عن هذه الإشكالية الأسئلة التالية:

كيف يمكن تحديد التحديات الرئيسية التي تواجه الإشراف التربوي في مدارس جبل لبنان الخاصة واستكشاف الفرص المتاحة لتحسينه وتطويره، بما في ذلك تأثير التنوع الثقافي وتطوير مهارات المشرفين لتلبية احتياجات التعليم المعاصر؟

ما هي فعالية الآليات الحالية للرصد والتقييم في نظام الإشراف التربوي، وكيف يمكن استخدام التكنولوجيا وتصميم استراتيجيات فعّالة لتعزيز جودة الإشراف التربوي والتعليم في مدارس جبل لبنان الخاصة؟

الفرضيات

الفرضية الرئيسية

تحسين نظام الإشراف التربوي في مدارس جبل لبنان الخاصة من خلال تطوير استراتيجيات تحديثية فعّالة ومستدامة، مع الأخذ بعين الإعتبار التحديات الحالية التي تواجه النظام التعليمي في لبنان، بما يساهم في تعزيز جودة التعليم ودعم الأداء الأكاديمي للمعلمين والطلاب.

الفرضيات الثانوية

- تعزيز أساليب الإشراف التربوي وتصميم استراتيجيات تحسينية فعّالة يسهمان في تحسين جودة الإشراف ورفع مؤشرات الأداء الأكاديمي والتنظيمي داخل البيئة التعليمية في مدارس جبل لبنان الخاصة.
- استخدام التكنولوجيا بشكل فعّال، إلى جانب الاستفادة من التنوع الثقافي، يعزز العمليات الإشرافية ويؤدي إلى تكامل وفعالية أكبر في نظام الإشراف التربوي.

أهداف البحث

إن الهدف الأساسي لهذا البحث يكمن في فحص وتحليل نظام الإشراف التربوي في لبنان بهدف تحديثه بشكل شامل، بما يعزز التعلم الفعّال ويسهم في تحقيق التطوير المستدام في مؤسسات التعليم. أما الأهداف الثانوية تتضمن تقييم الوضع الراهن من خلال استكشاف هيكل ووظائف النظام وتحليل التحديات التي يواجهها في تحقيق أهداف التعلم. كما يشمل تحليل السياسات التعليمية الحالية واقتراح تعديلات لتعزيز دور المشرفين التربويين.

إلى جانب ذلك، يركز البحث على تعزيز المشاركة الشاملة لأصحاب المصلحة، مثل المعلمين، في عملية تحديث الإشراف التربوي، مع دراسة تأثير التنوع الثقافي في جبل لبنان على ممارسات الإشراف. وذلك من خلال استكشاف الفرص التي يوفّرها هذا التنوع لدعم الإبداع والإبتكار في بيئات التعلّم. وأخيراً، يسعى البحث إلى تطوير إطار لضمان استدامة التحسينات من خلال تقييم فعالية الآليات الحالية للرصد والتقييم، وتطوير مهارات المشرفين التربويين، واستخدام التكنولوجيا في تعزيز فعالية الإشراف.

المنهجية

سيعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة نظام الإشراف التربوي وتحليل فعاليته في مدارس جبل لبنان الخاصة نظراً لتنوعها الكبير ولأنها تمثل

بيئة تعليمية تجمع بين مختلف التحديات والفرص التي يواجهها نظام الإشراف التربوي في لبنان، مما يتيح تقديم رؤية شاملة حول فعاليته وإمكانات تطويره. تشمل الدراسة المشرفين التربويين والمعلمين. سيتّم جمع البيانات باستخدام استبيان يضم أسئلة مغلقة ومفتوحة لقياس آرائهم وتصوراتهم حول التحديات والفرص في نظام الإشراف التربوي. سيشارك في الدراسة 100 شخص من الكوادر التعليمية والإدارية في مختلف مدارس جبل لبنان الخاصة. ستُوزع الاستبيانات وتجمع خلال فترة زمنية محددة. لتحليل البيانات، ستُستخدم الأساليب الإحصائية عبر برنامج SPSS (21.0)، بالإضافة إلى تحليل البيانات النوعية لاستخلاص الأنماط والمواضيع الرئيسية. وأخيراً، سيتم ضمان سرية المعلومات المقدمة من المشاركين، والحصول على موافقتهم المسبقة قبل المشاركة في البحث.

2. التحديات في الإشراف التربوي والاستراتجيات المبتكرة تعزيز التعلّم والتطوير المستدام

يواجه النظام التعليمي في لبنان العديد من التحديات التي تتطلب تدخلات فعّالة لتعزيز جودة التعليم. يعدّ الإشراف التربوي إحدى الركائز الأساسية لتحسين الأداء الأكاديمي وتطوير المعلمين خاصةً في عصرنا هذا عصر التكنولوحيا، حيث يواجه المشرفيين التربويين العديد من التحديات والمعوقات. في هذا السياق، تصبح ريادة الإشراف التربوي أداة حيوية لتطبيق استراتيجيات مبتكرة تهدف إلى تعزيز التعلّم والتطوير المستدام.

1.2 التحديات في الإشراف التربوي

يكون المشرف التربوي مسؤول عن القيادة التنظيمية والتربوية في المدرسة. يشرف على تنفيذ البرامج والأنشطة التعليمية داخل الصّف وخارجه، ويقوم بتقييمها وفقًا للسياسات واللوائح المعتمدة من الجهات المختصّة. تحدّد مسؤولياته في المجالات التالية (المجالي، 2023):

- مجال القيادة: حيث عليه أن يلتزم برؤية التعليم المستقبلية وأهدافه، وأن يتبنى أسلوب علمي لإدارة عمليات التغيير التربوي.
- مجال التنمية المهنية: حيث يجب تفعيل عناصر التنمية المهنية لنفسه ولزملائه من المشرفين والموجهين والمعلمين. والإستفادة من البحوث التربوية.
- مجال تطوير المناهج التعليمية: إذ عليه ربط المناهج بالتقدم والتطور والواقع. والحرص على ربط المناهج المختلفة.

- مجال المتابعة والتقويم: يساهم ويشارك فى تطوير نظام فعّال للمتابعة والتقويم لتحسين الأداء. ويعمل على متابعة تنفيذ المنهج وتقويم نتائج التعلّم.
- مجال مجتمع التعلّم: يتمّثل في الوعي بمفهوم مجتمع التعلّم وتفعيل أساليب تنميته. والحرص على تنويع مصادر المعرفة والتعلّم.

أظهرت دراسة مادرازو وهونشيل (Madrazo & Hounshell, 1984) إلى إظهار دور المشرف التربوي من خلال إبراز أهم الأدوار التي يقوم بها في الإشراف على معلمي العلوم في المرحلة الإبتدائية، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن أدوار المشرف التربوي كانت كما يلي: إعطاء التعليمات، والإشراف على تصميم وتطوير المنهاج، وتطوير النمو المهني للمعلمين، وتوفير المواد والوسائل التعليمية، والإدارة والتقويم.

ويلعب دوراً أساسياً في المساعدة على تنمية قدرات المعلمين ورفع مستواهم وتعزيز مهارتهم، من خلال مساعدة المعلمين في تشخيص صعوبات الطلاب وتجاوزها خلال العملية التعليمية. يشمل ذلك رصد الواقع التربوي والدراسي وتحليله وفهم الظروف المحيطة للتعامل على تحسين محور العملية التعليمية. كما يعزز الانتماء لمهنة التعليم والاعتزاز بعناصرها وإظهار دورها المحوري في المدرسة والمجتمع. ويسهم في تحقيق التعاون بين الكادر التعليمي في المدرسة للوصول إلى الأهداف المشتركة. كما يساعد في الوقوف على أفضل الطرق التعليمية والاستراتيجيات التربوية، وتحفيز المعلمين على إجراء تجارب جديدة تُساعدهم على النمو المهني والمعرفي. بالإضافة إلى ذلك، يساعد في التعرف على المصادر المادية والإنسانية في البيئة المحلية، مثل الأماكن التاريخية والمتاحف وغيرها (القاسم ، 2010).

تناولت دراسة «احترام وتقدير أساليب التّعليم المختلفة» العلاقة بين المشرف والمعلم علاقة طيبة يستطيع المعلم المناقشة والمشاركة، ويتم الثقة بإمكانيات المعلمين، ويقوم على مبدأ التعاون من خلال إشراك المعلمون مع المشرفين في حلّ المشاكل (باجاك، 2007).

فيما يتعلق بالتحديات التي يمكن أن تواجه في الإشراف التربوي، إذ إنّ هنالك العديد من العوامل التي يمكن أن تؤثر على أداء المشرف التربوي في المدرسة. أولاً، يواجه المشرفون التربويون مشكلة إزدحام الفصول الدراسية، مما يعوق

القدرة على تقديم إشراف فردي فعّال. كما يتأثر النشاط الفني للمشرف التربوي سلباً بسبب الأعباء الإدارية الكثيرة، مما يحد من قدرته على تقديم إشراف تربوي ذي جودة. بالإضافة إلى ما سبق، يواجه المشرف التربوي صعوبة في التعامل مع كثرة النصاب الإشرافي الملقى عليه، حيث يتطلب منه زيارة أعداد كبيرة من المعلمين. كما أن قلّة الدورات التدريبية المخصصة لرفع الكفاءة الإشرافية، وكذلك قلّة المخصصات المالية اللازمة لتنفيذ بعض الأساليب الإشرافية، تعوق تحسين أدائه. ولا تقتصر التحديات على ذلك، بل تشمل أيضاً قلّة الصلاحيات الممنوحة للمشرفين التربويين، وضعف توفر المكتبات المجهزة بالكتب والدوريات والأجهزة السمعية والبصرية في المدارس. ومن المشكلات التي تعيق فعالية الإشراف التربوي، النظرة السلبية لبعض المشرفين التربويين لعملية الإشراف باعتبارها تصيداً للأخطاء أكثر من كونها وسيلة لمساعدة المعلمين وتطوير أدائهم. هذا التصور الخاطئ يؤدي إلى خلق بيئة من التوتر والقلق لدى المعلمين، مما ينعكس سلباً على العملية التعليمية. بالإضافة إلى ذلك، هناك بعض المشرفين الذين يتدخلون في عمل زملائهم بطرق غير مناسبة، مما يسبب احتكاكات تؤثر على سير العمل الجماعي. كما يعاني بعض المشرفين من قصور في القدرة على التعبير عن أفكارهم واتجاهاتهم ومشاعرهم نحو المعلمين بشكل سلس وواضح. هذا الضعف في التواصل يمكن أن يحدّ من فعالية الإشراف ويؤدي إلى سوء فهم بين المشرف والمعلم، مما يعوق تحقيق الأهداف المشتركة للإشراف التربوي (الحماد، 2001) (الزهراني، 2023) .

تناولت دراسة «أساليب الإشراف التربوي المتميزة في المدارس من منظور المعلمين» التحديات التي يواجهها المشرفون في المدارس اللبنانية فيما يلي (Ghamrawi et al., 2019):

هيمنة الأساليب التوجيهية: وجدت الدراسة أن السلوكيات الإشرافية في المدارس كانت غالبًا توجيهية، مع التركيز على التحكم وتقديم المعلومات، في حين كانت الأساليب التعاونية وغير التوجيهية أقل شيوعًا. هذا يشير إلى أن المشرفين قد يواجهون صعوبات في تبني أساليب أكثر مشاركة وتوجهًا نحو المعلمين.

نقص الإشراف المتمايز: لم تكن الأساليب الإشرافية مصمّمة لتلبية الاحتياجات المتنوعة للمعلمين. يمكن أن يؤدي هذا النقص في التمايز إلى صعوبات

لدى المشرفين في دعم وتطوير الكوادر التعليمية ذات المستويات المختلفة من الخبرة والمهارة.

عدم رضا المعلمين: أعرب المعلمون عن عدم رضاهم عن السلوكيات الإشرافية في مدارسهم. قد يشير هذا إلى وجود تحديات للمشرفين في بناء علاقات إيجابية مع المعلمين وتطبيق ممارسات إشرافية تُعتبر داعمة وبنّاءة.

2.2. الاستراتجيات المبتكرة لتعزيز التعلّم والتطوير المستدام

الاستراتيجيات الفعالة يمكن اتباعها في مجال الإشراف التربوي لتطوير المعلمين وتعزيز أدائهم وفعاليتهم في الفصول الدراسية هي التالية:

– استخدام التكنولوجيا: إنّ دمج التكنولوجيا مثل الإنترنت في الإشراف التربوي يسهم في تعزيز التواصل والتفاعل المستمر بين المشرفين والمعلمين، مما يتيح تقديم التغذية الراجعة الفورية ومناقشة التحديات والحلول بفعالية أكبر. كما يوفر الوقت والجهد ويسّهل جمع وتحليل البيانات والوصول الى الموارد التعليمية. أظهرت دراسة حول «فاعلية توظيف تقنيات الإنترنت في الإشراف التربوي في المدارس الخاصة في عمّان» أنّ استخدام الإنترنت يسهم بشكل كبير في تحسين عملية الإشراف من خلال تسهيل التواصل وتبادل المعلومات بين المشرفين والمعلمين (عبابنة و أبو عيادة، 2016). يُعتبر الإشراف الإلكتروني وسيلة فعّالة لتطوير مهارات المعلمين في دمج التكنولوجيا في التعليم، مما ينعكس إيجابًا على تحسين جودة التعليم ومخرجاته. إذاً إنّ دمج التكنولوجيا في الإشراف التربوي يُعدّ ضرورة ملحّة لمواكبة التطورات الحديثة في مجال التعليم، وتحقيق أقصى استفادة من الإمكانيات التي توفرها التقنيات الحديثة لتحسين العملية التعليمية.

– برامج التطوير المهني: يعتبر أداة مهمة لتحسين جودة التعليم. فقد أكدّت دراسة « دور أساليب الإشراف التربوي في تطوير الأداء المهني للمعلمين في المدارس الثانوية في محافظة جرش من وجهة نظر المعلمين فيها» على أهمية دور المشرفين التربويين على تطوير الأداء المهني للمعلمين (الفريحات و القضاة، 2017). فعليه يجب تعزيز وتنظيم ورش عمل ودورات تدريبية منتظمة تُعنى بتحديث مهارات المشرفين والمعلمين بما يتناسب مع المستجدات التربوي.

– الشراكات مع المؤسسات التعليمية

الدولية: هذه الشراكات تعدّ فرصة لتبادل الخبرات وتبني أفضل الممارسات العالمية في الإشراف التربوي. يمكن لهذه الشراكات أن توفر برامج تدريبية متقدمة وفرص تعليمية جديدة. وكذلك تهدف الشراكات المجتمعية تعزيز جودة الخدمات التعليمية من خلال تضافر الجهود وتبادل الموارد والخبرات. إذ تعتبر أمراً مهمّاً في تحسين الأداء التعليمي وتوسيع نطاق الفرص المتاحة للطلاب. يمكن أن تشمل هذه الشراكات حملات توعوية، وبرامج تدريبية، وتوفير الدعم المالي أو العيني للمدارس (أثر الشراكات المجتمعية في تطوير الخدمات التعليمية، 2023).

– تعزيز دور الإشراف في دعم المعلمين وتطوير المناهج: للإشراف التربوي الفعّال بمختلف اتجاهاته واختلاف أساليبه تأثيراً ايجابياً في تعزيز أداء المعلم، وتطوير نقاط قوة ممارسته التعليمية والمهنية، ومعالجة نقاط الضعف. إنّ ضرورة تفعيل الإشراف الإلكتروني من أجل توفير وقت وجهد وذلك يساعد على تحسين أداء المعلمين (القرينية وآخرون، 2021).

- استخدام هذه الإستراتيجيات المبتكرة في الإشراف التربوي يؤدي إلى تعزيز خبرة ومهارات المعلمين مما يتسبب الى زيادة تفاعل ومشاركة الطلاب. يؤدي إدماج التكنولوجيا حتماً الى تحسين تجربة التعلّم وتفعيل المهارات خصوصاً أنّ الطلاب هم من جيل ألفا المعروف في إتقانه للتكنولوجيا منذ صغره. المدرسة ليست فقط للتعليم إنما أيضاً للتربية، فيجب عليها أن تتماشى مع بيئة وتفكير الطلاب أي يجب أن تتطور وتتقدم مع التطور والتقدم التكنولوجي.

3. الإطار التطبيقي

1.3. أدوات الدراسة والنتائج

أ– أدوات الدراسة:

أداة استبيان الكوادر التعليمية والإدارية:

يركّز هذا الاستبيان على جمع بيانات شاملة عن الكوادر التعليمية والإدارية العاملين في المدارس الخاصة في منطقة جبل لبنان لتقييم نظام الإشراف التربوي الحالي، حيث صُممت الأسئلة لتغطية مجموعة متنوعة من المحاور. اشتملت الأداة على أسئلة ديموغرافية تتعلق بالعمر، عدد سنوات الخبرة العملية، المؤهل التعليمي، والوظيفة الحالية في المدرسة. بهدف تكوين فهم شامل عن خلفية المشاركين.

كما تناولت الأسئلة مدى تأثير نقص الموارد والتحديات الثقافية والاجتماعية على كفاءة الإشراف التربوي، بالإضافة إلى أهمية تدريب المشرفين على أحدث الأساليب التعليمية. وركز الاستبيان على دور المشرفين في دعم المعلمين من خلال تصميم خطط تدريس فعالة، حل المشكلات التي تواجههم، وتشجيع استخدام التكنولوجيا الحديثة.

علاوة على ذلك، تم إدراج أسئلة حول أهمية البرامج التدريبية في رفع جودة الإشراف التربوي، والحاجة إلى تطوير مهارات المشرفين الإدارية، فضلاً عن تأثير التنوع الثقافي والاستراتيجيات المطلوبة لتلبية احتياجات المدارس. وأُختتم الاستبيان بأسئلة مفتوحة لتمكين المشاركين من تقديم رؤى حول التحديات التي تواجه نظام الإشراف التربوي، والمقترحات التطويرية، وسبل دمج التكنولوجيا بشكل أكثر فعالية.

ب- تحليل البيانات

لتحليل البيانات تم استخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS 21.0)، استخدمت الإحصاءات الوصفية لوصف وتلخيص خصائص مجموعة البيانات التي تمّ جمعها من المشاركين، بالإضافة تم حساب متوسطات الدرجات، والانحرافات المعيارية، والنسب المئوية لكل عنصر من عناصر أداة الاستبيان.

ج- النتائج

- الخصائص الديموغرافية للعينة

قام القسم الأول من الاستبيان بجمع معلومات ديموغرافية عن الكوادر التعليمية والإدارية في المدارس الخاصة في منطقة جبل لبنان، حيث يُظهر الجدول 1، فإن أغلب المشاركين ينتمون إلى الفئتين العمريتين 40-31 سنة 50-41 سنة، حيث بلغت نسبة كل منهما 41 %، أمّا على صعيد المؤهل التعليمي فقد حصل 47 % على شهادة الإجازة الجامعية. وبالنسبة لسنوات الخبرة التعليمية، فكانت نسبة 63 % من المشاركين لديهم أكثر من 10 سنوات خبرة في القطاع التعليمي، وأخيرًا، تشكل فئة المعلمين النسبة الأكبر من المشاركين وذلك بنسبة 65 %.

جدول 1: الخصائص الديموغرافية للمشاركين

	النسبة %
العمر	
1-30 سنة	**2%**
1-40 سنة	**41%**
41–50 سنة	**41%**
51 سنة وما فوق	**16%**
المؤهل التعليمي	
إجازة جامعية	**47%**
إجازة تعليمية	**22%**
ماجستير	**31%**
عدد سنوات الخبرة التعليمية	
اقل من 5 سنوات	**9%**
5–10 سنوات	**28%**
أكثر من 10 سنوات	**63%**
الوظيفة الحالية	
معلّم	**65%**
مشرف او منسق مادة	**30%**
أداري	**5%**

القسم الثاني

يتضمن هذا القسم تقييم حول فعالية نظام الإشراف التربوي ودوره في دعم وتحسين أداء المعلمين، يشير الجدول ٢: أن غالبية المشاركين يرون أن المشرف التربوي يقوم بدور فعال في تحسين أداء المعلمين، حيث أيد 60 % منهم هذا الرأي، أما بالنسبة لدعم نظام الإشراف التربوي الحالي للمعلمين، فقد أظهر 74 % من المشاركين أنهم يوافقون على ذلك. كما يتسم نظام الإشراف التربوي بالتنظيم والوضوح، حيث وافق 81 % من المشاركين. من جانب آخر، فقد أيد 72 % من المشاركين أن تقييم أداء المعلمين يتم بناءً على معايير موضوعية.

جدول 2: تقييم حول فعالية نظام الإشراف التربوي ودوره في دعم وتحسين أداء المعلمين

	أوافق	أوافق بشدّة	محايد	أعارض
يقوم المشرف التربوي بدور فعّال في تحسين أداء المعلمين	60%	37%	3%	0%
يوفر نظام الإشراف التربوي الحالي الدعم اللازم للمعلمين	74%	12%	7%	7%
يتّسم نظام الاشراف التربوي بالتنظيم والوضوح	81%	13%	1%	5%
يتم تقييم أداء المعلمين بناءً على معايير موضوعية	72%	21%	4%	3%

القسم الثالث من الاستبيان

يتضمن هذا القسم، أسئلة حول التحديات التي تؤثر على كفاءة الإشراف التربوي، حيث تُظهر النتائج المعروضة في الجدول 3 أنّ، 55 % من المشاركين وجدوا أن نقص الموارد يؤثر على كفاءة الإشراف التربوي، كما أكّد بشدّة 53 % على أن هناك حاجة لتدريب المشرفين على أحدث

الأساليب التعليمية. ووافقَ 55 % على أنّ التحديات الثقافية والاجتماعية تؤثر على فعاليّة الإشراف، في حين أشارَ 47 % على أنّ النظام الإشرافي يواجه مقاومة من بعض المعلمين او الإداريين.

جدول 3: تحليل التحديات المؤثرة على كفاءة الإشراف التربوي

	أوافق	أوافق بشدّة	محايد
نقص الموارد يؤثر على كفاءة الإشراف التربوي	55%	43%	2%
هناك حاجة لتدريب المشرفين على أحدث الأساليب التعليمية	44%	53%	3%
التحديات الثقافية والاجتماعية تؤثر على فعالية الإشراف	55%	39%	4%
يواجه النظام مقاومة من بعض المعلمين او الإداريين	47%	44%	5%

القسم الرابع من الاستبيان

يعرض هذا القسم دور المشرف التربوي في دعم وتعزيز العملية التعليمية، حيث يُظهر الجدول 4، أنَّ 54 % من المشاركين وافقوا على أنَّ المشرف التربوي يُساهم بشكل كبير في حل المشكلات التي تواجه المعلمين، كما أبدى 53 % موافقتهم على أنَّ المشرف يدعم المعلمين في تصميم خطط تدريس فعّالة. وفيما يتعلق باستخدام التكنولوجيا الحديثة، أكّد 58 % من المشاركين موافقتهم الشديدة على أن المشرف يشجع استخدامها، كما يُظهر الجدول أنَّ المشرف يلتزم بالتواصل المستمر مع المعلمين وإدارة المدرسة، حيث حصل هذا الجانب على موافقة شديدة من 61 % من المشاركين.

جدول 4: دور المشرف التربوي في دعم المعلمين وتعزيز العملية التعليمي

	أوافق	أوافق بشدّة	محايد	أعارض
يساهم المشرف في حل المشكلات التي تواجه المعلمين	54%	42%	4%	0%

يدعم المشرف المعلمين في تصميم خطط تدريس فعّالة	53%	42%	5%	0%
يشجّع المشرف التربوي استخدام التكنولوجيا الحديثة	38%	58%	4%	0%
يلتزم المشرف بالتواصل المستمر مع المعلمين وإدارة المدرسة	36%	61%	3%	0%

القسم الخامس

يُبرز الجدول 5، أهمية التكنولوجيا والتدريب في تحسين الإشراف التربوي، حيثُ أشارَ 51 % الى موافقتهم بشِدّة على أهمية التكنولوجيا في تحسين الإشراف التربوي. ومن جهة أخرى، أظهرت النتائج أن المشرفين بحاجة الى تدريبات إضافية على استخدام التكنولوجيا حيث أكَّد 58 % من المشاركين على موافقتهم الشديدة على ذلك.

جدول 5: أهمية التكنولوجيا والتدريب في تحسين الإشراف التربوي

	أوافق	أوافق بشدّة	محايد	أعارض
التكنولوجيا يمكن أن تسهم في تحسين الإشراف التربوي	48%	51%	1%	0%
المشرفون بحاجة لتدريبات إضافية على استخدام التكنولوجيا	41%	58%	1%	0%

القسم السادس

يعرض هذا القسم دور التدريب والدعم في تعزيز جودة الإشراف التربوي، يُظهر الجدول 6، أن البرامج التدريبية للمشرفين والمعلمين تعد عاملًا رئيسيًا في رفع جودة الإشراف التربوي، حيث أشار 52 % من المشاركين إلى موافقتهم الشديدة. كما أظهرت النتائج حاجة المشرفين إلى مزيد من الدعم لتطوير مهاراتهم الإدارية، حيث وافق بشدة 68 % من المشاركين.

جدول 6: دور التدريب والدعم في تعزيز جودة الإشراف التربوي

	أوافق	أوافق بشدّة	محايد	أعارض
البرامج التدريبية للمشرفين والمعلمين ترفع جودة الإشراف التربوي	48%	52%	0%	0%
يحتاج المشرفون الى مزيد من الدعم لتطوير مهاراتهم الإدارية	30%	68%	2%	0%

القسم السابع

يعرض هذا القسم التنوع الثقافي وأثره على الإشراف التربوي، يُظهر الجدول 7، أن التنوع الثقافي يؤثر بشكل إيجابي على تحسين جودة الإشراف التربوي، أيَّد 51 % من المشاركين هذا الرأي. أما بالنسبة لاستراتيجيات المدارس الخاصة لتلبية احتياجاتها الثقافية، وافق 45 % على ضرورة تبني استراتيجيات مخصصة.

جدول 7:التنوع الثقافي وأثره على الإشراف التربوي

	أوافق	أوافق بشدّة	محايد	أعارض
التنوع الثقافي يؤثر إيجابا على تحسين جودة الاشراف التربوي	51%	34%	15%	0%

القسم الثامن: الأسئلة المفتوحة

أمّا لأسئلة المفتوحة التي تمّ طرحها على المشاركين في الدراسة، فبالنسبة للتحديّات التي يواجها الإشراف التربوي الحالي، فعبّر المشاركين أنّ عملية الإشراف التربوي في مدارس جبل لبنان تواجه العديد من التحديات التي تؤثر على فعاليتها. من أبرزها غياب المستلزمات والبنى التحتية اللازمة، مما يعيق تطبيق الأنظمة التربوية الحديثة. كما يعاني المشرف التربوي من نقص الحرية لممارسة دوره بفعالية بسبب القيود الإدارية والتنظيمية المفروضة عليه. إلى جانب ذلك، تعتبر كثافة المناهج التعليمية مع ضعف عام في المهارات اللغوية لدى الطلاب أحد التحديات الأساسية التي تواجه تحسين الأداء التعليمي. علاوة

على ذلك، تؤثر الأوضاع الاقتصادية الصعبة على قدرة المدارس على توفير الموارد الضرورية. كما أن دفاع أولياء الأمور عن أبنائهم بشكل مبالغ فيه يحد من قدرة المشرفين على تطبيق سياسات تربوية بناءة. وأخيرًا، يعد نقص التدريب الإرشادي المتخصص والتردد في تبني التكنولوجيا من بين العقبات الكبرى التي تواجه الإشراف التربوي.

ولتحسين نظام الإشراف التربوي، اقترح المشاركين تعزيز استخدام التكنولوجيا الرقمية والذكاء الاصطناعي لتطوير عمليات الإشراف وتوفير أدوات متقدمة لدعم المعلمين. بالإضافة لتوفير جميع الأدوات اللازمة للمشرف التربوي، بما في ذلك الثقة الكافية من الإدارات التعليمية لتحقيق أهدافه بفعالية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن تحسين مستوى الطلاب اللغوي من خلال زيادة ساعات التعليم المخصصة للغات، مع تقديم الدعم اللازم للطلاب الذين يعانون من ضعف الأداء. تعزيز الدورات التدريبية المستمرة للمشرفين والمعلمين يُعد ضروريًا لتطوير مهاراتهم وضمان جودة الإشراف. كما أن تحسين التعاون بين أولياء الأمور، المشرفين، والمعلمين يُسهم في إيجاد بيئة تعليمية داعمة. يُقترح أيضًا توفير مرشد نفسي تربوي في كل مدرسة لمعالجة القضايا النفسية والاجتماعية التي قد تؤثر على أداء الطلاب.

ولدمج التكنولوجيا بشكل أكثر فعالية في الإشراف التربوي، يمكن اعتماد برامج إلكترونية مبتكرة لتطوير أداء المعلمين وتحسين العملية التعليمية. يتطلب ذلك تقديم دورات تدريبية مكثفة للمعلمين والمشرفين حول استخدام التكنولوجيا الحديثة. كما أن تصميم أدوات تقنية مثل استمارات واستبيانات إلكترونية يمكن أن يسهل عملية التقييم ويوفر بيانات دقيقة لتحليل الأداء التعليمي. بالإضافة إلى ذلك، يجب التركيز على تنمية مهارات التفكير الإبداعي والنقدي لدى المشرفين والمعلمين، مما يعزز استخدام التكنولوجيا بطرق مبتكرة لحل المشكلات واتخاذ القرارات. وفي النهاية، يُعتبر تعزيز الطلاقة المعلوماتية وتشجيع الإبداع من الأدوات الرئيسية لدمج التكنولوجيا بفعالية.

2.3. مناقشة

أظهرت نتائج الاستبيان أن معظم المشاركين يرون أن المشرف التربوي يلعب دورًا مهمًا في تعزيز أداء المعلمين، حيث أبدى 60 % من المشاركين تأييدهم. وهذا يعكس أهمية الدور الذي يقوم به المشرف في

تحسين جودة التعليم من خلال تقديم الدعم والملاحظات الضرورية لتطوير مهارات المعلمين. تشير هذه النتيجة إلى الحاجة الملحة لتعزيز مهارات المشرفين التربويين لتمكينهم من أداء هذا الدور بكفاءة عالية. حيث إتفقت نتائج الدراسة مع دراسة مادرازو وهونشيل (1984)، ودراسة القاسم (2010)، اللتان أوضحتا أيضا أنَّ أهمية دور المشرف التربوي في دعم المعلمين، وتعزيز مهاراتهم وتوفير المواد والوسائل التعليمية.

فيما يتعلق بنظام الإشراف التربوي والدعم المقدم للمعلمين، أظهر 74 % من المشاركين اعتقادهم بأن النظام الحالي يوفر الدعم الكافي للمعلمين. وهذا يدل على وجود نظام دعم فعال، إلا أنه من الضروري تقييم هذا النظام بشكل دوري لضمان تلبية احتياجات جميع المعلمين، خاصة في المدارس التي قد تواجه تحديات معينة أو تختلف في سياقاتها. وهذا أيضاً ما أوضحته دراسة باجاك (2007)، والتي أكدت على العلاقة التعاونية بين المشرف والمعلم وأهمية دعم المعلمين.

كما أظهرت النتائج أن الغالبية العظمى من المشاركين 81 % يرون أن نظام الإشراف التربوي يتمتع بالتنظيم والوضوح. وهذا يشير إلى أن النظام الحالي يوفر إطارًا تنظيميًا جيدًا للعملية التعليمية، مما يسهم في توجيه المشرفين والمعلمين. ومع ذلك، أبدى 5 % من المشاركين معارضتهم لهذه الفكرة، مما يدل على أن بعض المدارس قد تواجه صعوبات في تطبيق هذا النظام بفعالية، أو أن هناك حاجة لتحسين التوضيح في بعض جوانب النظام.

فيما يتعلق بتقييم أداء المعلمين استنادًا إلى معايير موضوعية، أظهرت النتائج أن 72 % من المشاركين يرون أن الأداء يُقيَّم وفقًا لمعايير موضوعية. وعلى الرغم من أن هذه النسبة الكبيرة تدعم هذا الاتجاه، إلا أن 21 % من المشاركين كانوا مترددين أو يعبرون عن اعتراض جزئي على هذه الفكرة. لذا، من الضروري مراجعة هذه المعايير بشكل دوري لضمان تطبيقها بعدالة وموضوعية على جميع المعلمين.

كما تُظهر النتائج توافقًا واسعًا حول أهمية التكنولوجيا في تعزيز الإشراف التربوي، حيث أيد 99 % من المشاركين هذا الرأي. وهذا يعد دليلًا قويًا على أن إدخال التكنولوجيا في الإشراف التربوي يمثل خطوة مهمة نحو تحسين فعالية هذا الدور.

طرح الحماد (2001) والزهراني (2023) التحديات مثل الأعباء الإدارية وكثرة النصاب الإشرافي بالإضافة الى قلّة التدريب والمخصصات المالية. وهذا ما توصلت إليه النتائج الحالية لدراستنا حيث أشار 85 % من المشاركين إلى ضرورة تدريب المشرفين على استخدام التكنولوجيا بشكل فعال، مما يبرز الحاجة إلى برامج تدريبية متخصصة في هذا المجال. وهذا يسلّط الضوء على تحدٍّ حديث يتماشى مع التحديّات التي طرحتها هتان الدراستان.

أما بالنسبة للتنوع الثقافي، فقد أشارت دراسة غمراوي وآخرون (2019) إلى أنّ هناك نقصا في الإشراف المتمايز الذي يلبي احتياجات المعلمين المتنوعين، وهذا ما أظهرته النتائج أن 51 % من المشاركين يعتقدون أن التنوع الثقافي يؤثر إيجابيًا على جودة الإشراف التربوي، بينما أيد 45 % ضرورة وجود استراتيجيات مخصصة لتلبية احتياجات المدارس ذات الخلفيات الثقافية المتنوعة. هذه النتائج تؤكد أهمية مراعاة الفروق الثقافية عند تصميم استراتيجيات الإشراف التربوي.

أظهرت النتائج أخيرًا أهمية البرامج التدريبية المخصصة للمشرفين والمعلمين، حيث أبدى جميع المشاركين 100 % تأييدهم لفكرة أن هذه البرامج تعزز من جودة الإشراف التربوي. وهذا يدل على ضرورة الاستمرار في تطوير برامج التدريب المهني لضمان تحسين أداء المشرفين والمعلمين. كما كشفت النتائج عن حاجة المشرفين إلى دعم إضافي لتطوير مهاراتهم الإدارية، مما ينبغي أن يكون جزءًا من برامج التدريب المستقبلية لضمان تحقيق أقصى استفادة من النظام التعليمي. هذا ما توصلت اليه دراسة القاسم (2010)، والتي توصّلت الى أهمية التدريب للمشرفين.

الخاتمة

يلخّص هذا البحث أهم النتائج المتعلقة بتطوير الإشراف التربوي في لبنان. تبيّن أنّ الإشراف التربوي هو عنصر أساسي لدعم جودة التعليم، خاصة في ظلّ التحديات الاقتصادية والاجتماعية. أدّى تحليل البيانات عن أهمية دمج التكنولوجيا الحديثة في عمليات الإشراف، وتطوير مهارات المشرفين والمعلمين بشكل متواصل. علاوة على ذلك، شدّدت النتائج على ضرورة توفير الدعم المالي والإداري لتفعيل دور الإشراف بشكل فعّال.

لائحة المصادر والمراجع

1. غمراوي، ن.، غمراوي، ر.، وشعل، ت. (2019). نهج الإشراف التربوي المتميز في المدارس من خلال منظور المعلمين.

المجلة الدولية للابتكار في التعليم والبحث، 7(11)، 1341-1357. https://doi.org/10.31686/ijier.Vol7.Iss11.2011

2. مادرازو، ج.، وهوونشيل، ب. (1984). دور التوقعات لدى مشرف العلوم. تعليم العلوم، 71(1)، 9-14

3. لهية بنت حمد بن سعيد القرينية، نسرين صالح محمد صلاح الدين، محمد عبدالحميد لاشين، و محمد عيد حامد. عمار. (2021). الإشراف التطويري الإلكتروني وأثره في اتجاهات المعلمين وتحسين أدائهم التدريسي بمدارس التعليم الأساسي في سلطنة عمان: دراسة شبه تجريبية. مجلة العلوم التربوية، 18، 2 - 81. تم الاسترداد من p//:search. mandumah.com/Record/12632

4. ابرهيم بن سعد بن عبدالعزيز الحماد. (2001). معوقات فاعلية الإشراف التربوي بمدينة الرياض. رياض: كلية التربية/جامعة الملك سعود.

5. أثر الشراكات المجتمعية في تطوير الخدمات التعليمية. (2023). تم الاسترداد من جمعية تعليم التعاونية: https://talemyah. org.sa/

6. أدوارد باجاك. (2007). احترام وتقدير أساليب التعليم المختلفة، دليل المشرفين. دار كتاب التربوي للنشر والتوزيع.

7. حسن حسان . (2007). الإدارة التربوية. عمان: دار المسيرة.

8. سارة المجالي. (21 آذار, 2023). أهمية الإشراف التربوي. تم الاسترداد من المعلِّم: https://almo3allem.com/

9. سعيد الزهراني. (2023). 7 تحديات تواجه الإشراف التربوي. المدينة. https://doi.org/ https://www.al-madina.com/ar-%/ticle/864002

10. صالح عبابنة، و هبة أبو عيادة. (2016). فاعلية توظيف تقنيات الإنترنت في الإشراف التربوي في المدارس الخاصة في عمّان. المجلة الأردنية في العلوم التربوية، 12(1)، 30-17.

11. علي كريم. (2006). الإدارة والإشراف التربوي. الأردن: دار الشروق.

12. علي قمحية، و فيولا طلال مخزوم. (2019). أثر الإشراف التربوي على تحصيل المتعّلمين في المدارس الخاصة في لبنان. الحداثة، 200(199).

13.محمد بن حامد الأفندي. (1976). الإشراف التربوي. القاهرة: عالم الكتب.

14.منصور بن محمد القاسم . (2010). دور مديري المدارس في تفعيل الإشراف التطويري بالمدارس الحكومية في محافظة جدة. جدة: جامعة أم القرى.

15.هناء الفريحات، و عبد الرحمن القضاة. (2017). دور أساليب الإشراف التربوي في

تطوير الأداء المهني للمعلمين في المدارس الثانوية في محافظة جرش من وجهة نظر المعلمين فيها. المجلة الليبية العالمية، 12.

List of Sources and References:

1. Ghamrawi, N., Ghamrawi, R., & Shal, T. (2019). Differentiated Education Supervision Approaches in Schools through the Lens of Teachers. International Journal for Innovation Education and Research, 7(11), 1341-1357. https://doi.org/10.31686/ijier.Vol7.Iss11.2011
2. Madrazo, G., & Hounshell, P. (1984). The Role of Expectancy of the science supervisor. science Education, 71(1), 9-14.
3. Al-Qariniyah, L. H., Salah Eldin, N. S. M., Lashin, M. A., & Ammar, M. A. H. (2021). The impact of electronic developmental supervision on teachers' attitudes and improvement of their teaching performance in basic education schools in the Sultanate of Oman: A quasi-experimental study. Journal of Educational Sciences, 18, 2-81. Retrieved from https://search.mandumah.com/Record/12632
4. Al-Hammad, I. S. (2001). Obstacles to the effectiveness of educational supervision in Riyadh city. Riyadh: College of Education/King Saud University.
5. The Impact of Community Partnerships on Developing Educational Services. (2023). Retrieved from Talemyah Cooperative Association: https://talemyah.org.sa/
6. Bajak, E. (2007). Respecting and Appreciating Different Teaching Methods: A Guide for Supervisors. Educational Book Publishing and Distribution House.
7. Hassan, H. (2007). Educational Administration. Amman: Dar Al-Maseerah.
8. Al-Majali, S. (March 21, 2023). The Importance of Educational Supervision. Retrieved from Al-Moallem: https://almo3allem.com//%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%88%D9%8A

9. Al-Zahrani, S. (2023). Seven Challenges Facing Educational Supervision. Al-Madina. https://www.al-madina.com/article/864002

10. Ababneh, S., & Abu Ayadeh, H. (2016). The effectiveness of employing internet technologies in educational supervision in private schools in Amman. Jordanian Journal of Educational Sciences, 12(1), 17-30.

11. Kareem, A. (2006). Educational Administration and Supervision. Jordan: Dar Al-Shorouq.

12. Qamhieh, L. A., & Makzoumi, F. T. (2019). The impact of educational supervision on students' achievement in private schools in Lebanon. Al-Hadatha, 199(200).

13. Al-Afandi, M. H. (1976). Educational Supervision. Cairo: Alam Al-Kutub.

14. Al-Qasim, M. M. (2010). The role of school principals in activating developmental supervision in public schools in Jeddah Governorate. Jeddah: Umm Al-Qura University.

15. Al-Freihat, H., & Al-Qudah, A. R. (2017). The role of educational supervision methods in developing the professional performance of teachers in secondary schools in Jerash Governorate from teachers' perspectives. Libyan International Journal, 12.

ملحق

تقييم نظام الإشراف التربوي في مدارس جبل لبنان الخاصة، تحديد التحديات والفرص، واستكشاف مقترحات تطويرية.

أسئلة ديموغرافية

العمر:

- 20-30سنة
- 31-40سنة
- 41-50سنة
- 51سنة وما فوق

المؤهل التعليمي:

- إجازة
- إجازة تعليمية
- ماستر

•دكتوراه

•غير ذلك

عدد سنوات الخبرة التعليمية:

•أقل من 5 سنوات

• 10–5سنوات

•أكثر من 10 سنوات

الوظيفة الحالية:

•معلّم

•مشرف تربوي او منسق مادة

•إداري

القسم الأول: فعاليّة الإشراف التربوي

1. يقوم المشرف التربوي بدور فعّال في تحسين أداء المعلمين.

•أوافق بشدة

•أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

•محايد

2. يوفر نظام الإشراف التربوي الحالي الدعم اللازم للمعلمين

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

3. يتّسم نظام الاشراف التربوي بالتنظيم والوضوح

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

4. يتم تقييم أداء المعلمين بناءً على معايير موضوعية

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

القسم الثاني: التحديات

5. نقص الموارد يؤثر على كفاءة الإشراف التربوي

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

6. هناك حاجة لتدريب المشرفين على أحدث الأساليب التعليمية

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

7. التحديات الثقافية والاجتماعية تؤثر على فعالية الإشراف

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

8. يواجه النظام مقاومة من بعض المعلمين او الإداريين

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

القسم الثالث: أدوار المشرف التربوي

9. يساهم المشرف في حل المشكلات التي تواجه المعلمين

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

10. يدعم المشرف المعلمين في تصميم خطط تدريس فعّالة

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

11. يشجّع المشرف التربوي استخدام التكنولوجيا الحديثة

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

12. يلتزم المشرف بالتواصل المستمر مع المعلمين وإدارة المدرسة

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

القسم الرابع: التقنيات الحديثة

13. التكنولوجيا يمكن أن تسهم في تحسين الإشراف التربوي

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

14. المشرفون بحاجة لتدريبات إضافية على استخدام التكنولوجيا

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

القسم الخامس: التدريب والتطوير

15. البرامج التدريبية للمشرفين والمعلمين ترفع جودة الإشراف التربوي

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

16. يحتاج المشرفون الى مزيد من الدعم لتطوير مهاراتهم الإدارية

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

القسم السادس: التنوع الثقافي

17. التنوع الثقافي يؤثر إيجابا على تحسين جودة الاشراف التربوي

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

18. تحتاج المدارس الخاصة الى استراتيجيات مخصصة لتلبية احتياجاتها الثقافية

•أوافق بشدة

• أوافق

•أعارض بشدة

•أعارض

• محايد

أسئلة مفتوحة

19. ما هي برأيك التحديات الرئيسية التي تواجه الاشراف التربوي في مدارس جبل لبنان

20. ما هي المقترحات التي ترى أنها ضرورية لتحسين نظام الاشراف التربوي

21. كيف يمكن دمج التكنولوجيا بشكل أكثر فعالية في الاشراف التربوي

2. التنمر الإلكتروني ووعي المشرف التربوي

Cyberbullying and the Awareness of the Educational Supervisor

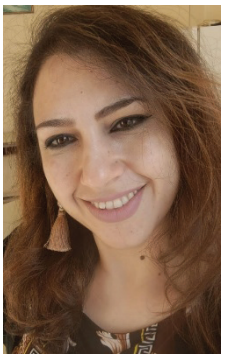

بقلم الطالبة: كلير فؤاد كفروني

طالبة ماستر2 في الإشراف التربوي في الجامعة اللبنانية كلية التربية فرع العمادة، وأستاذة ثانوية في ملاك وزارة التربية اللبنانية

Claire Fouad Kafrouny

A second-year Master's student in Educational Supervision at the Lebanese University, Faculty of Education- Branch of Deanship. A secondary school teacher in the Lebanese Ministry of Education.

clairekafrouny@gmail.com

تاريخ الاستلام17:/ 1/ 2025 تاريخ القبول:3/ 2/ 2025 تاريخ النشر:25/ 3 /2025

ملخّص البحث:

للتكنولوجيا فوائد عديدة، غير أنّ لها أيضا تأثيرات سلبية خطيرة، ويعدّ التنمّر الالكتروني من أهم سلبيات التكنولوجيا. وفي هذا عصرنا الالكتروني الحالي السّريع، ازدادت ظاهرة التنمر الالكتروني الخطيرة وبدأ الكثير من الباحثين بتعقب ودراسة هذه الظاهرة حول العالم. وهدفت هذه الدّراسة إلى قياس درجة وعي المشرفين االتربويين لهذه الظاهرة. إضافة الى التحقق من مدى انتشار هذه الظاهرة بين تلامذة الثانوية الرسمية الذين يتراوح أعمارهم بين الخمسة عشر والثامنة عشر للتحقق إن كانوا شاركوا أو تعرضوا أو شهدوا على شكل من أشكال هذه الظاهرة الخطيرة. أجريت الدّراسة في محافظة عكار شمال لبنان على المشرفين التّربويين السبعة عشر المسؤولين عن الثانويات والمدارس الرسمية في المحافظة. كما على طلّاب ثانوية رحبة الرّسمية الخمس وثمانون. تم تحليل النتائج بواسطة برنامج الحزم الإحصائية. وأظهرت النتائج وعياً غير كافٍ لدى المشرفين التربويين تجاه هذه الظاهرة الموجودة بين أساتذة الثانوية. إقترحت توصيات للتعامل مع هذه الظاهرة في المستقبل.

الكلمات المفتاحية: التنمر الإلكتروني، المشرف التربوي، الوقاية.

Abstract

Technology has many benefits, but it also has serious adverse effects, and cyberbullying is one of the technology's major downsides. In today's fast electronic era, the dangerous phenomenon of cyberbullying has increased and many researchers have begun to track and study this phenomenon around the world. This study was aimed at measuring the degree of education supervisors' awareness of this phenomenon. In addition, the prevalence of this phenomenon is ascertained between 15 and 18-year-olds in order to ascertain whether they have participated in, experienced or witnessed some form of this serious phenomenon. The study was conducted in the Northern Lebanese governorate of Akkar on the 17 educational supervisors responsible for the governorate's public high schools and schools. Eighty-five students of Rahba High School. The results were analysed by the statistical packaging programme. The results

showed insufficient awareness among educational supervisors of this phenomenon among secondary teachers. Recommendations have been proposed to deal with this phenomenon in the future.

Keywords: Cyberbullying,

Educational Supervisor, Prevention.

مقدمة

يشكل التنمر أحد أشكال العنف الذي يمارس من قبل طفل أو مجموعة أطفال ضد طفل اخر وإزعاجه بشكل متكرر ومتعمد (عفيفي، 2018). ومع التقدم التكنولوجي الذي يشهده عالمنا اليوم, بتنا أمام نوع أخطر وأسوء من التنمر وهو التنمر الإلكتروني. يعد التنمر الإلكتروني «الأذى المتعمد والمتكرر الذي يحدث من خلال إستخدام أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة وغيرها من الأجهزة الإلكترونية» (Kowalski et al., 2008). اي أنّها الحوادث التي يستخدم فيها الأفراد التكنولوجيا لمضايقة الآخرين أو تهديدهم أو إذلالهم أو السخرية منهم أو إزعاجهم بأي شكل من الأشكال.

تناولت العديد من الدراسات العالمية ظاهرة التنمر الإلكتروني بإعتبارها مشكلة خطيرة في المجتمع والمدارس بشكل خاص. يُعدّ التنمر الإلكتروني آفة خطيرة بسبب سرعته في الانتشار عبر التكنولوجيا، وبقائه كأثر دائم يمكن أن يصل إلى جمهور واسع. في بعض الحالات، أدّى التنمر الإلكتروني إلى انتحار طلاب تعرضوا له. تركّز المؤسسات التربوية والمنظمات التعليمية على أهمية وعي المعنيين بالعملية التعليمية بمخاطر هذه الظاهرة، وكيفية معالجتها وتسليط الضوء عليها، بهدف خلق وعي لدى المدراء، الإداريين، المشرفين، المعلمين، الطلاب، الأهل، وجميع موظفي المؤسسات.

امّا في لبنان، هناك عدد من الدراسات الذي تناول هذا الموضوع ببعض جوانبه وأوصت معظم الدراسات المحلية بالقيام بدراسات اخرى لاسيّما خارج العاصمة اي في الأطراف لأنّ معظم الدراسات اجريت في بيروت. إضافة الى أنّ هذه الدراسات بغالبيتها تمّت في مدارس خاصة. ومن هنا ينطلق الباحث ليتناول بعض جوانب هذا الموضوع الخطير في الثانويات الرسمية في محافظة عكار.

يطرح هذا المقال الإشكالية التالية: ما هي درجة وعي المشرفين التربويين لظاهرة التنمر الالكتروني في الثانويات الرسمية في محافظة عكار في زمننا المعاصر؟

الأسئلة الفرعية

يندرج عن هذه الاشكالية الأسئلة التالية:

ما هي درجة انتشار ظاهرة التنمر الإلكتروني بين طلاب المرحلة الثانوية في عكار؟

ما هي درجة الوعي لدور المشرف في التأثير في قدرة الأستاذ الثانوي على التعامل مع ظاهرة التنمر الإلكتروني؟

الفرضيات

الفرضية الأساسية

يوجد تأثير إيجابي لوعي المشرفين التربويين بظاهرة التنمر الإلكتروني على الحدّ من انتشارها بين طلاب الثانويات الرسمية في محافظة عكار وتعزيز قدرة المعلمين على التعامل معها.

الفرضيات الثانوية

تنتشر ظاهرة التنمر الإلكتروني بين طلاب المرحلة الثانوية في محافظة عكار بدرجة متوسطة إلى مرتفعة.

يساهم وعي المشرفين التربويين بدورهم في تعزيز قدرة الأساتذة الثانويين على التعامل مع ظاهرة التنمر الإلكتروني بشكل فعال.

أهداف هذا المقال

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على ظاهرة التنمر الإلكتروني في المدارس، مع التركيز على مدى وعي المشرفين التربويين في الثانويات الرسمية في محافظة عكار لهذه الظاهرة. يسعى المقال إلى تحليل تأثير هذا الوعي في الحد من التنمر الإلكتروني ومقاومته، مع تقديم توصيات لتحسين استراتيجيات التوعية والتدخل في هذه المؤسسات التعليمية.

المنهجية

سيعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة ظاهرة التنمر الإلكتروني وتحليل مستوى وعي المشرفين التربويين في ثانوية رحبة بمحافظة عكار. تمّ اختيار ثانوية رحبة كونها تمثّل بيئة تعليمية متنوعة، مما يتيح فهماً شاملاً لهذه الظاهرة. تشمل الدراسة مشرفين، وطلابا. سيتّم جمع البيانات باستخدام استبيان يضم أسئلة مغلقة ومفتوحة لقياس وعي المشاركين، على أن توزع الاستبيانات وتجمع خلال فترة زمنية محددة. لتحليل البيانات، ستُستخدم الأساليب الإحصائية عبر برنامج SPSS(21.0)، إلى جانب تحليل البيانات النوعية لإستخلاص الأنماط والمواضيع الرئيسية. وأخيراً، سيتّم ضمان سريّة المعلومات المقدمة من المشاركين، والحصول على موافقتهم المسبقة قبل المشاركة في البحث.

2. دور المشرفين في محاربة التنمر

أصبح التنمر الإلكتروني أمراً شائعاً في إلحاق الأذى لدى الناس وخاصةً المراهقين. يلعب المشرفيين دوراً جزهرياً لمحاربة التنمر من خلال توعية كل من الطلاب والأساتذة على مخاطره.

1.2. التنمر الإلكتروني

يختلف التنمر الإلكتروني عن التنمر التقليدي في عدّة جوانب. غالبًا ما لا يعرف الضحايا من يستهدفهم بسبب الخصوصية، ويمكن للأفعال الضارة أن تنتشر بسرعة لتشمل العديد من الأشخاص. التنمر الإلكتروني أسهل لأنه يتّم عن بُعد، ممّا يحمي المعتدين من رؤية ردّ فعل الضحية. يعاني العديد من البالغين من صعوبة في مراقبة الأنشطة عبر الإنترنت، مما يترك الضحايا دون دعم والمعتدين دون رادع. نظرًا لأن الأدوات الإلكترونية جزء أساسي من حياة المراهقين، يُعدّ التنمر الإلكتروني مشكلة كبيرة، حيث يشعر بعض المراهقين بعدم وجود عواقب تذكر لأفعالهم الضارة (Hinduja & Patchin, 2024)

من المخاطر التي يمكن للتنمر الإلكتروني أن يمتد من العالم الافتراضي الى العالم الحقيقي. غالبًا ما يبلغ الضحايا عن مشاعر الاكتئاب والحزن والغضب والإحباط. بالإضافة إلى ذلك، تربط الأبحاث تجارب التنمر عبر الإنترنت بانخفاض احترام الذات والاكتئاب والقلق والقضايا الأسرية والتحديات الأكاديمية والانحراف والعنف المدرسي وحتى الأفكار والمحاولات الانتحارية. أشار أكثر من 60 % من الطلاب الذين واجهوا التنمر عبر الإنترنت إلى أنه أعاق بشكل كبير قدرتهم على التعلم والشعور بالأمان في المدرسة، حيث اعترف 10 % بترك المدرسة مرة واحدة على الأقل في العام الماضي (Hinduja & Patchin, 2024).

يوجد العديد من أشكال التنمر الإلكتروني فالرسائل العدائيّة تمثل شكلاً من أشكال التنمر الإلكتروني، حيث يدخل المتنمر في معارك عبر الرسائل الإلكترونيّة التي غالباً ما تكون غامضة مثل رسائل التهديد التي تُرسل من مجهول عبر البريد الإلكتروني. أما تشويه السّمعة فيتمثل بتأليف قصص أو شائعات عن شخص معين بهدف الإضرار بسمعته والتأثير على حياته الاجتماعية. كما، يظهر إفشاء الأسرار من خلال حصول المتنمر على صور شخصية أو معلومات حساسة عن الضحية ونشرها لإحراجها. المضايقة تعتبر شكلا آخر من التنمر، حيث يُجبر الضحية على الدخول إلى روابط تحتوي على فيروسات تُضر بجهازه دون علمه، أو عبر إرسال رسائل مسيئة عبر البريد

الإلكتروني. انتحال الشخصية يحدث ذلك عندما يتظاهر المتنمر بأنه شخص آخر، ما يؤدي إلى وضع الضحية في مواقف تؤثر سلباً على سمعته. أما الخِداع، فيتّم عندما يتواصل المتنمر مع الضحية للحصول على أسرار محرجة، ثم يقوم بنشرها على الإنترنت أو إعادة توجيهها للعامة. وأخيراً، يتمثل الاستبعاد في إبعاد شخص ما عن مجموعة قسراً. يمكن للتنمر أن يكون مباشراً أو غير مباشر، حسب طبيعة الأفعال والمواقف (عبد الله، 2023).

تعدّ أدوات التواصل عبر الإنترنت جزءًا حاضرًا وأساسيًا في حياة الشباب، مما يجعل من غير المفاجئ أن يستخدم البعض هذه الأجهزة والتطبيقات والمنصات لإلحاق الأذى أو التخويف بالآخرين. إن الإتصال المستمر للمراهقين بالتكنولوجيا يجعلهم عرضة للضحية ويمكنهم من التصرف بناءً على دوافع ضارة في أي وقت. بالإضافة إلى ذلك، أدى بطء استجابة بعض البالغين للتنمر الإلكتروني إلى اعتقاد الكثيرين بأن أفعالهم لا تحمل عواقب تُذكر أو حتى معدومة (Hinduja & Patchin, 2024).

تتعدد أسباب التنمر، فيمكن أن تكون البيئة المدرسية من خلال كثافة الفصول وعدم إحساس الطالب بالراحة؛ الظروف الإقتصادية والإجتماعية للأسرة؛ وسائل الإعلام إذ يمكن أن تنشر مشاهد عنف في الدراما؛ الأسرة وذلك بغياب الرقابة؛ وأخيراً ألعاب العنف الإلكتروني التي هي منتشرة بشكل كثير عند الطلاب (عمارة، 2017).

على الصعيد العالمي، تشير الدراسات إلى زيادة في حوادث التنمر الإلكتروني، مع مساهمة عوامل متعددة في انتشاره. القلق المتزايد من التنمر الإلكتروني في المدارس، لا سيما في البلدان ذات الدخل المرتفع حيث الوصول إلى الإنترنت واسع الانتشار (Smith et al., 2008). إذ يجب أن يشدد على دور المعلمين في التعرف على التنمر الإلكتروني ومعالجته، والدعوة إلى برامج تدريب المعلمين لتزويدهم بالمهارات اللازمة.

كما يؤكد البحث على أهمية سياسات المدارس في مكافحة التنمر الإلكتروني. توصي دراسة أجرتها ويلاردWillard) (N. , 2007 بسياسات مدرسية شاملة تتضمن تعريفات واضحة وآليات للإبلاغ وعواقب لسلوكيات التنمر الإلكتروني. تشير التقارير إلى أن المدارس التي تتبنى تدابير استباقية، بما في ذلك التعليم حول المواطنة الرقمية، تسجل حوادث أقلّ من التنمر الإلكتروني (Kowalski et al., 2008).

أمّا في لبنان، أصبح التنمر الإلكتروني قضية ملّحة تؤثّر على نسبة كبيرة من الطلاب. وفقًا لدراسة صادرة عن «الجمعية الفرنكوفونية للأمراض النفسية»، تعرّض 25 % من الأطفال اللبنانيين لنوع من أنواع التنمر، بما في ذلك التنمر الإلكتروني. إنّ هذه الدراسة التي تناولت 3 مدارس في بيروت، تُعد «شبه الوحيدة» في لبنان التي تناولت مشكلة التنمر كشفت أن غالبية المتنمرين هم من الذكور، حيث أفاد 62.1 %من الضحايا بأنهم تعرضوا للتنمر على يد ذكور، بينما أشار 17.3 % إلى تعرضهم للتنمر من قبل إناث. وجاءت الإهانات اللفظية في المرتبة الأولى بين مظاهر التنمر بنسبة 67.9 %، تلتها حالات الضرب بنسبة 23.1 %، ثم الوصم أو إطلاق الألقاب بنسبة 5.1 %، وأخيراً التهديد بنسبة 3.8 % (دندش، 2018). وقد أثارت هذه الدراسة المقلقة مبادرات لمكافحة هذه الظاهرة، مثل حملات التوعية والتشريعات المقترحة التي تهدف إلى حماية الأطفال في الفضاءات الرقمية.

2.2. دور المشرفيين

يلعب المشرفون دوراً مهماً في توعية الطلاب بمدى خطورة التنمر من جهة، وكيفية تعامل الأساتذة معه من جهة أخرى. كلما كانت الكوادر التعليمية واعية بظاهرة التنمر الإلكتروني، قلّت مخاطرها. تلعب المدارس دورًا حيويًا كخط دفاع أول في مواجهة هذا التنمر. يستطيع المعلمون، باعتبارهم الشخصيات السلطوية المباشرة، أن يكون لهم تأثير كبير في منع التنمر الإلكتروني وإدارته.

تُظهر الأبحاث أن المعلمين يزدادون وعيًا بانتشار التنمر الإلكتروني في المدارس، لكنهم غالبًا ما يشعرون بعدم الاستعداد الكافي للتعامل معه بشكل فعال. تشير الدراسات إلى أنه رغم إدراك المعلمين أن التنمر الإلكتروني يمثّل مشكلة كبيرة، هناك فجوة في تدريبهم واستعدادهم للتدخل(Cassidy et al., 2012) (Eden, et al., 2013). إنّ استجابات المعلمين للتنمر الإلكتروني تتشكّل غالبًا من خلال تصوراتهم والموارد المتاحة لهم، والتي يمكن أن تختلف بشكل كبير (Macaulay et al., 2018). بالإضافة إلى ذلك، فإنّ وعي المعلمين بدور وسائل التواصل الاجتماعي في التنمر الإلكتروني يتزايد، ولكن لا تزال هناك حاجة إلى استراتيجيات شاملة لمكافحته في العديد من المؤسسات التّعليمة (Linderholm, 2019).

من الضروري أن تقدّم المؤسسات التعليمية تطويرًا مهنيًا مستهدفًا ودعمًا للمعلمين. من خلال تزويد المعلمين

بالمهارات والموارد اللازمة، يمكن للمدارس أن تخلق بيئة أكثر أمانًا للطلاب.

دور المدرسة التي يمكن ان تلعبه للوقاية من التنمر الإلكتروني:

خلق بيئة مدرسية آمنة وإيجابية: للمدارس دور كبير في توفير بيئة مدرسية آمنة وإيجابية بحيث تكون أولوية عالية في خلق بيئة تشجع الطلاب على التعلم وتعزز المساواة بين جميع الطلاب. البيئة المدرسية التي تتمتع بخصائص صديقة للشباب تمكّن الطلاب من التركيز بشكل أكبر على أدائهم الأكاديمي وتنمية شعور قوي بالانتماء إلى المدرسة. علاوة على ذلك، في الدول التي تعترف بالقيم الثقافية الجماعية مثل الصين والهند، يمكن أن يساعد التركيز على الروابط بين الأقران وإحساس الجماعية في تقليل مخاطر التنمر الإلكتروني (Zhu et al., 2021).

برامج وقائية وتعاون مع الوكالات الصحية: تستطيع المدارس التعاون مع وكالات الصّحة النفسية والمجتمعات المجاورة لتطوير برامج وقائية مثل الأنشطة اللامنهجية والتدريب. يجب أن تتماشى التدابير الوقائية المدرسية ضدّ التنمر الإلكتروني مع الخصائص العمرية للشباب وتقاطع التنوع العرقي في المدارس (Zhu et al., 2021). يُنصح بأن تقوم المدارس بوضع سياسات تعزز التنوع وتحترم القيم المتبادلة بين الطلاب.

تقديم الدعم للضحايا: يجب أن تكون المدارس مجهزة بأنظمة دعم للطلاب الذين هم ضحايا للتنمر الإلكتروني. يشمل ذلك توفير الوصول إلى خدمات الإستشارة حيث يمكن للطلاب التحدث بحريّة عن تجاربهم. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يشعر الطلاب بالثقة في الإبلاغ عن حالات التنمر الإلكتروني دون خوف من الانتقام أو الحكم عليهم (Smith et al., 2008).

غالبًا ما يكون المعلمون هم أول من يلاحظ التغيرات في سلوك الطلاب التي قد تشير إلى أنهم ضحايا للتنمر عبر الإنترنت. الانسحاب من التفاعلات الاجتماعية، والتغيرات المفاجئة في الأداء الأكاديمي، أو علامات الضيق يمكن أن تكون من الإشارات التحذيرية. فعند ذلك يجب على المعلم أن يسأل الطفل وفي حال تمّ التعرف على التنمر الإلكتروني إتخاذ إجراءات فورية للتدخل. قد يتضمن ذلك التحدث مع الضحية والمعتدي، وإبلاغ الإدارة المدرسية، وإشراك أولياء الأمور. يجب على المعلمين أيضًا تشجيع الطلاب على حظر أو الإبلاغ عن المعتدين على منصات التواصل

الاجتماعي. ومع ذلك، من المهم التأكد من احترام خصوصية الطلاب أثناء هذه العملية.

ويلعب المعلمون دورًا أساسيًا في تعليم الطلاب كيفية استخدام التكنولوجيا بشكل مسؤول. يشمل ذلك فهم إعدادات الخصوصية، والتعرف على مخاطر المنصات الإلكترونية، ومعرفة كيفية حماية أنفسهم من الأذى عبر الإنترنت. من خلال تعليم الطلاب كيفية التنقل في العالم الرقمي بأمان، يمكن للمعلمين المساعدة في منع التنمر الإلكتروني وتمكين الطلاب من أن يكونوا نشيطين في إدارة وجودهم الرقمي (Livingstone & Smith, 2014). في حال حدوث التنمر في الصّف على المعلم أن يتحرك بسرعة، يتأكد من سلامة الجميع ويمنع تجدد الإشتباك بين الطلاب، ثم منع المتنمر من الاستمرار. فعليه طمأنت الضحية بأن لديه حلّ وأنه حازم بموقفه (بني نصر، 2021).

إن وعي المشرفين والمعلمين بمخاطر ومظاهر التنمر الإلكتروني أمرٌ في غاية الأهمية. نحن نعيش في عصر السرعة، حيث تصل المعلومات والأخبار بشكل سريع جدًا، مما قد يؤدي إلى تدمير حياة الطالب، وخاصة المراهق. يعد دور المدارس والمعلمين في معالجة التنمر الإلكتروني أمرًا حيويًا لإنشاء بيئة تعليمية آمنة وداعمة للطلاب. من خلال تنفيذ سياسات شاملة لمكافحة التنمر، وزيادة الوعي، وتقديم الدعم للضحايا، وتعليم الثقافة الرقمية، يمكن للمدارس والمعلمين المساعدة في تقليل مخاطر التنمر الإلكتروني. يمكن أن يؤدي اتباع نهج استباقي وشامل يعزز التواصل المفتوح، والتعاطف، والمسؤولية إلى تغيير إيجابي في سلوك الطلاب عبر الإنترنت وخارجه. في النهاية، يعد التعاون بين المعلمين، وأولياء الأمور، والطلاب أمرًا ضروريًا لمكافحة آثار التنمر الإلكتروني وتعزيز ثقافة الاحترام في العصر الرقمي.

3. الإطار التطبيقي

1.3. أدوات الدراسة والنتائج

أ- أدوات الدراسة

أداة استبيان الطلاب:

تمّ تطوير استبيان قصير باللغة العربية، حيث تتناول الأسئلة مجموعة من المحاور المتعلقة بالتنمر الإلكتروني بين الطلاب في المرحلة الثانوية، بدءًا من البيانات الشخصية كالجنس والعمر، وصولًا الى مرحلة تقييم الظاهرة وانتشارها. كما تتضمن أسئلة حول مستوى مهارات الطلاب التكنولوجية ومظاهر التنمر الإلكتروني التي لاحظوها. بالإضافة الى ذلك، يتم التطرق الى تجاربهم

الشخصية، سواء كانوا ضحايا، مشاركين أو شهودًا على حوادث تنمر إلكتروني. وأخيرًا يتّم تقييم دور المعلمين في التعامل مع هذه الحالات والوقاية منها في البيئة المدرسية، مما يتيح فهمًا شاملًا للظاهرة وأبعادها المختلفة.

أداة استبيان المشرف:

يركّز هذا الاستبيان على جمع بيانات شاملة حول المشرفين وأدوارهم في مواجهة ظاهرة التنمر الإلكتروني في الثانويات. تبدأ الأسئلة ببيانات شخصية تشمل العمر، الجنس، اللغة الأجنبية التي يتقنونها، عدد سنوات الخبرة الإشرافية، أعلى شهادة لديهم ومصدرها، بالإضافة الى مادة الاختصاص. كما يتّم استكشاف مستوى مهاراتهم التكنولوجية وتقييمهم لانتشار التنمر الإلكتروني بين الطلاب ومظاهر هذه الظاهرة. تتعمق الأسئلة أيضًا في قدراتهم المهنية، مثل مدى قدرتهم على التأثير على المعلمين للتعامل مع حالات التنمر، والمشاركة الفعالة في الوقاية منها، والتعرف على مظاهر التنمر. كما يتّم التأكيد على المسؤولية المهنية والأخلاقية في التعامل مع هذه الظاهرة، مع الإشارة إلى أهمية إدخال برامج تدريبية مخصصة للمشرفين لتمكينهم من تعزيز قدرات المعلمين على الوقاية والحد من التنمر الإلكتروني في المدارس.

تحليل البيانات

لتحليل البيانات تم استخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS 21.0)، استخدمت الإحصاءات الوصفية لوصف وتلخيص خصائص مجموعة البيانات التي تمّ جمعها من المشاركين، بالإضافة تم حساب متوسطات الدرجات، والانحرافات المعيارية، والنسب المئوية لكل عنصر من عناصر أداة الاستبيان.

ب- النتائج

الخصائص الديموغرافية للعينة

قام القسم (أ) من استبيان الطلاب بجمع معلومات ديموغرافية تتعلق بالطلاب. يتّم عرض هذه المعلومات في الجدول رقم 1، والذي يشير بأن معظم المشاركين في الدراسة هم من الشباب دون سن ال 18، حيث يشكلون نسبة 85.2 %، كما أن الإناث يمثلن غالبية العينة بنسبة 61.7٪. بينما يعرض الجدول رقم 2، المعلومات الديموغرافية للمشرفين المشاركين، حيث أن أغلبيتهم تتراوح أعمارهم 55-46 سنة، بنسبة 64.3 %، وتبلغ الإناث في العينة بنسبة 64.3 %. أما سنوات الخبرة الاشرافية فإن 42.9 % من المشاركين لديهم بين 10-5 سنوات من الخبرة، في حين أن نفس النسبة لديهم من 15-10 سنة.

ومن حيث المستوى الأكاديمي، كانت نسبة حملة درجة الماجستير هي الأعلى وذلك بنسبة 42.9 %، وفي ما يتعلق بمصدر الشهادة، فقد حصل 71.4 % من المشاركين على شهاداتهم من كليات غير متخصصة بالتربية. وأخيرًا يتخصص 64.3 % من المشاركين في مواد أدبية.

جدول 1: المعلومات الديمغرافية للطلاب

العمر	نسبة %
تحت ال 18 سنة	% 85.2
فوق ال 18 سنة	% 14.8
الجنس	
أنثى	% 61.7
ذكر	% 38.3

جدول 2: المعلومات الديموغرافية للمشرف

	نسبة %
الجنس	
أنثى	64.3%
ذكر	35.7%
العمر	
35-45 سنة	21.4%
46-55 سنة	64.3%
56 سنة وما فوق	14.3%
سنوات الخبر الإشرافية	
5-10 سنوات	42.9%
10-15 سنة	42.9%
15 سنة وأكثر	14.3%
المستوى الأكاديمي	
اجازة جامعية	21.4%
ماستر	42.9%
دكتوراه	14.3%
إجازة تعليمية	21.4%
مصدر الشهادة	
كلية التربية	28.6%
كلية أخرى	71.4%
مادة الاختصاص	
علمية	35.7%
أدبية	64.3%

القسم الثاني من الاستبيان

تضمن القسم الثاني من الاستبيان معلومات حول مهارات الطالب او المشرف التكنولوجية، وتقيمهم لانتشار التنمّر الإلكتروني بين الطلاب وما هي مظاهره، فيبين الجدول رقم 3، بأن نسبة 65.4 % من الطلاب لديهم مهارة جيدة في التكنولوجيا، وأشار 43.2% ان التنمّر الإلكتروني منتشر بين الطلاب، ويرى 34.6 % من المشاركين أن مظاهر التنمّر الإلكتروني هي في نشر محتوى عن أحد الأشخاص على صفحات التواصل

الاجتماعي. بينما يعرض الجدول رقم 4، أن 64.3 % من المشرفين يتمتعون بمهارة جيدة في التكنولوجيا، ويرى 42.9 % من المشرفين أن التنمّر الإلكتروني قليل الانتشار بين الطلاب، وأيضا أشار 42.9 % الى أن مظاهر التنمّر الالكتروني تكمْن في نشر محتوى عن أحد الأشخاص على صفحات التواصل الاجتماعي.

جدول 3: تقييم مستوى المهارات التكنولوجية وانتشار مظاهر التنمر الإلكتروني بين الطلاب

	نسبة %
مهارة الطالب التكنولوجية	
جيدة	65.4%
جيدة جدا	23.5%
ممتازة	11.1%
تقييم انتشار التنمر الإلكتروني بين الطلاب	
نادرة الحدوث	4.9%
قليلة الانتشار	25.9%
منتشرة	43.2%
منتشرة جدا	21.0%
لا تحدث	4.9%
مظاهر التنمر الالكتروني	
ارسال رسائل نصية سيئة لأحدهم	22.2%
الاستهزاء بأحدهم وجها لوجه	28.4%
نشر محتوى عن أحد على التواصل الاجتماعي	34.6%
ارسال صور أحدهم دون أذن	13.6%
الاعتداء على أحدهم بالضرب	1.2%

جدول 4:تقييم مهارات المشرف التكنولوجية وانتشار التنمر الإلكتروني بين الطلاب

البند	النسبة %
المهارة التكنولوجية للمشرف	
جيدة	64.3%
جيدة جدا	21.4%
ممتازة	7.1%
سيئة	7.1%
تقييم انتشار التنمر الإلكتروني بين الطلاب	
قليلة الانتشار	42.9%
منتشرة	35.7%
منتشرة جدا	21.4%
مظاهر التنمر الالكتروني	
ارسال رسائل نصية سيئة لأحدهم	28.6%

الاستهزاء بأحدهم وجها لوجه	7.1%
نشر محتوى عن أحد على التواصل الاجتماعي	42.9%
إرسال صور أحدهم دون أذن	21.4%

القسم الثالث من الاستبيان

يتضمن هذا القسم، استجابات الطلاب والمشرفين حول التنمر الالكتروني والتدخلات التعليمية، وأدوار المشرفين وتأثيرهم في الوقاية والتعامل مع التنمر الإلكتروني، حيث تشير النتائج المعروضة في الجدول رقم 5، ان 43.2 % من الطلاب لم تشارك في عمليّة التنمّر الإكتروني، وأن 35.8 % لم يكونوا ضحايا لهذه العملية. امّا بالنسبة للشهادة على حوادث التنمر، أفاد 30.9 % من الطلاب أنهم شهدوا على حالات تنمر إلكتروني، بينما عبّر 43.2 % عن عدم قيامهم بالتنمر على أحدهم. فيما يتعلق بدور الأساتذة، أظهرت النتائج أن 30.9 % وافقوا قليلاً على أن الأساتذة يتعاملون مع حالات التنمر الإلكتروني، بينما وافق 33.3 % قليلاً على مساهمتهم في الوقاية من حوادث التنمر.

أما بالنسبة للجدول رقم 6، الذي يعرض أدوار المشرفين وتأثيرهم في الوِقاية والتعامل مع التنمّر الإلكتروني، فأظهرت النتائج أن 64.3 % من المشرفين يوافقون على أنهم قادرون على التأثير في الأساتذة ليصبحوا قادرين على التعامل مع حالات التنمّر الإلكتروني، في حين أبدى 71.4 % موافقتهم على قدرتهم على المشاركة الفعّالة في الوِقاية من حوادث التنمّر الإلكتروني. كما أظهرت النتائج شعوراً قوياً بالمسؤولية المهنية والأخلاقية لدى المشرفين حيث وافق 92.9 % على أنهم مسؤولون عن التعامل مع ظاهرة التنمّر الإلكتروني بشكل فعّال. وفيما يخص الحاجة الى إدخال برامج تدريبية للمشرفين، وافق 57.1 % على ذلك.

جدول 5: استجابات الطلاب حول التنمر الإلكتروني والتدخلات التعليمية

السؤال	لا ينطبق	لا اوافق	أوافق قليلا	اوافق	أوافق بشدة
شاركت يوما في عملية تنمّر الالكترونية.	40.7%	43.2%	6.2%	4.9%	4.9%
كنت يوما ضحية عمل تنمري إلكتروني من أحدهم او من مجموعة.	35.8%	33.3%	17.3%	6.2%	7.4%
تنمرت الكترونيا على أحدهم يوما.	42.0%	43.2%	7.4%	3.7%	3.7%
شهدت على عملية تنمّر الالكترونية حدثت لأحدهم.	14.8%	24.7%	16.0%	30.9%	13.6%
يتعامل الاساتذة مع حالات التنمر الالكتروني التي تحدث في مجتمعك المدرسي.	9.9%	18.5%	30.9%	29.6%	11.1%
يساهم الاساتذة في الوقاية بشكل فعال من حوادث التنمر الالكتروني في مجتمعك المدرسي.	11.1%	7.4%	33.3%	29.6%	18.5%

جدول 6: أدوار المشرفين وتأثيرهم في الوقاية والتعامل مع التنمر الإلكتروني

السؤال	لا أوافق	أوافق قليلا	اوافق	أوافق بشدة
أنت قادر على التأثير في الاستاذ ليصبح قادرا على التعامل مع اي حالة من التنمر الالكتروني قد تحدث في المجتمع المدرسي	0%	35.7%	64.3%	0%

أنت قادر على المشاركة الفعالة في الوقاية بشكل فعال من حوادث التنمر الالكتروني في المجتمع المدرسي.	7.1%	21.4%	71.4%	0%	
أنت قادر على التعرف على ظواهر التنمر الالكتروني التي تجري بين الطلاب في المجتمع المدرسي	14.3%	57.1%	21.4%	7.1%	
أنت مسؤول مهنيا واخلاقيا عن التعامل مع ظاهرة التنمر الالكتروني بشكل فعال.	0%	0%	92.9%	7.1%	
ان ادخال برامج تدريبية للمشرفين من اجل التأثير في قدرة المعلمين على الوقاية والحد ومحاربة التنمر الالكتروني هو حاجة ملحة في عصرنا هذا.	0%	7.1%	57.1%	35.7%	

2.3. المناقشة

تشير النتائج التي تمّ جمعها من الاستبيان، الى أن التنمّر الإلكتروني يُمثل قضية تؤثر على الطلاب والمشرفين، حيث تعكس الاستجابة من الطلاب والمشرفين تباينًا في درجة التأثر بالظاهرة وفهم كيفية التعامل معها. وفقًا للبيانات، 43.2٪ من الطلاب أفادوا بأنهم لم يشاركوا في أي عملية من عمليات التنمّر الإلكتروني، بينما 35.8 ٪ منهم لم يتعرضوا لهذه الظاهرة. هذه النسب تشير الى أن التنمر الإلكتروني لا يُعد مشكلة شائعة بالقدر الذي قد يتوقعه البعض، ولكن في الوقت نفسه يعاني جزء من الطلاب من هذه الظاهرة بشكل مباشر او غير مباشر. في المقابل، أفاد 30.9 % من الطلاب أنهم شهدوا حالات تنمّر إلكتروني، وهو

مؤشر على أن التنمّر الإلكتروني قد يكون أكثر انتشارًا في المدارس، ولكن نسبة كبيرة من الطلاب، التي تصل الى 43.2 % لم تشارك في التنمّر ولم تكن ضحايا له. يُظهر هذا التباين في التجارب الشخصية بين الطلاب أهمية المراقبة المستمرة لهذا النوع من التنمّر لضمان سلامة جميع الطلاب في البيئة المدرسية. حيث أكدت دراسة ويلارد (2007) ودراسة Kowalski et al. (2008)أن التنمر الإلكتروني أصبح شائعًا بين الطلاب، خصوصًا مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أظهرت بعض الدراسات أن نسبة الضحايا قد تصل إلى 50% في بعض البلدان. أكدت دراسة ويلارد (2007) ودراسة(2008) .Kowalski et al أن التنمر الإلكتروني أصبح شائعًا بين الطلاب، خصوصًا مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أظهرت بعض الدراسات أن نسبة الضحايا قد تصل إلى 50 % في بعض البلدان.

أوضحت الدراسات السابقة أن دور الأساتذة في الحد من التنمر الإلكتروني يعتمد على وعيهم بالمشكلة وتدريبهم على التعامل معها. على سبيل المثال، أكدت دراسة «الجمعية الفرنكوفونية للأمراض النفسية» أن تدخل الأساتذة يقلل من انتشار الظاهرة في المدارس.

وبالمقابل النسبة لتقييم دور الأساتذة في التعامل مع التنمر الإلكتروني، فقد أظهرت النتائج أن30.9 % من الطلاب يوافقون قليلاً على أن الأساتذة يتعاملون مع حالات التنمر الإلكتروني التي تحدث في مجتمعهم المدرسي. وهذا يشير إلى أن قدرة الأساتذة على التعامل مع هذه الظاهرة ليست مثالية، وأنه قد تكون هناك حاجة إلى تدريب إضافي لهم لتعزيز مهاراتهم في هذا المجال. وعند الحديث عن مساهمة الأساتذة في الوقاية من التنمر الإلكتروني، أشار 33.3 % من الطلاب إلى أنهم يوافقون قليلاً على ذلك، مما يعني أن الأساتذة قد لا يكونون دائمًا قادرين على تقديم تدخلات وقائية فعالة. من هنا، يظهر أن هناك فجوة بين الحاجة إلى التدخلات الوقائية الفعالة من التنمر الإلكتروني والدور الذي يلعبه الأساتذة حاليًا في التعامل مع هذه القضايا. هذه الفجوة تبرز الحاجة إلى تحسين التدريب المهني للأساتذة لتزويدهم بالمهارات اللازمة للتعامل مع هذه القضايا بشكل أفضل وأكثر فعالية.

أكدت الدراسات السابقة أن المشرفين المدرسيين يلعبون دورًا أساسيًا في توجيه الأساتذة وتطبيق سياسات وقائية فعالة، وهو ما أشارت إليه دراسةOlweus .(2012). وتشير النتائج الحالية إلى أن 64.3 % من المشرفين يعتقدون

أنهم قادرون على التأثير في الأساتذة لكي يصبحوا أكثر قدرة على التعامل مع حالات التنمر الإلكتروني. هذه النسبة المرتفعة تعكس اعتقاد المشرفين بأهمية دورهم في توجيه الأساتذة وتوفير الدعم اللازم لهم لمواجهة التنمر الإلكتروني. من جانب آخر، أبدى 71.4 % من المشرفين موافقتهم على أنهم قادرون على المشاركة الفعالة في الوقاية من حوادث التنمر الإلكتروني، مما يبرز أهمية دور المشرفين في تطبيق استراتيجيات وقائية داخل المدارس. هذه النسب تشير إلى أن المشرفين يشعرون بمسؤولية كبيرة في تقديم حلول لهذه الظاهرة وأنهم يمتلكون الثقة اللازمة للمساهمة في الحد من انتشارها.

من جهة أخرى، أوصت الدراسات السابقة بإدراج برامج تدريبية للأساتذة والمشرفين، وزيادة الوعي لدى الطلاب حول مخاطر التنمر الإلكتروني، بالإضافة إلى فرض قوانين واضحة لمكافحته. و أظهرت النتائج شعورًا قويًا بالمسؤولية المهنية والأخلاقية لدى المشرفين تجاه ظاهرة التنمر الإلكتروني. حيث وافق 92.9 % من المشرفين على أنهم يتحملون مسؤولية كبيرة في التعامل مع هذه الظاهرة بشكل فعال. هذا الوعي العالي بالمسؤولية يعكس التزام المشرفين بمعالجة هذه القضايا بجدية، وهو عنصر أساسي في تطوير استراتيجيات فعالة للتصدي للتنمر الإلكتروني في المدارس. كما أشار 57.1 % من المشرفين إلى أنهم يؤيدون الحاجة إلى إدخال برامج تدريبية للمشرفين، وهو ما يبرز أهمية التأهيل المستمر للمشرفين لكي يكونوا قادرين على التعامل مع هذه الظاهرة بطريقة فعالة. ومن خلال النتائج، يتضح أن هناك إدراكًا متزايدًا من قبل المشرفين لأهمية تدريبهم على مواجهة التنمر الإلكتروني وبالتالي توفير بيئة آمنة للطلاب.

بالإضافة إلى ذلك، أبدى 35. 7 % من المشرفين موافقتهم القوية على الحاجة إلى إدخال برامج تدريبية للمشرفين لكي يتمكنوا من التأثير في قدرة المعلمين على الوقاية من التنمر الإلكتروني. هذا يعكس الحاجة الملحة إلى تحسين استراتيجيات الوقاية من التنمر الإلكتروني بشكل منهجي. ومن خلال هذه النتائج، يصبح واضحًا أن البرامج التدريبية تعتبر أداة أساسية لتحسين مستوى الوعي والكفاءة في التعامل مع التنمر الإلكتروني بين المعلمين والمشرفين. إذا ما تم تنفيذ هذه البرامج بشكل فعال، فإنها ستسهم في تعزيز قدرة الكادر التعليمي والإداري في المدارس على التعرف على حالات التنمر الإلكتروني بشكل مبكر واتخاذ التدابير اللازمة للتعامل معها.

بالمقارنة بين الدراسات السابقة ونتائج

الدراسة الحالية، نجد أن الاتجاه العام ثابت في التأكيد على خطورة التنمر الإلكتروني وأهمية دور المدرسة في مواجهته. ومع ذلك، تكشف الدراسة الحالية عن فجوة في وعي الأساتذة بمسؤولياتهم مقارنة بالمشرفين، مما يستدعي إعادة النظر في استراتيجيات التوعية والتدريب داخل المؤسسات التعليمية.

خاتمة

تمّ استعراض ظاهرة التنمر الإلكتروني، مع التركيز على وعي المشرفين التربويين في المدارس الرسمية في محافظة عكار. أبرزت النتائج انتشار الظاهرة بشكل متفاوت، مع وجود فجوة واضحة في التوعية والتدخل الفعّال. تم التأكيد على أهمية تعزيز برامج تدريبية للمشرفين والمعلمين لمواجهة التنمر الإلكتروني، وضرورة تحسين استراتيجيات الوقاية والدعم للضحايا. يُوصى بتطوير سياسات مدرسية شاملة تعزز المواطنة الرقمية وتشجع على خلق بيئة آمنة وداعمة في المدارس. علاوة على ذلك، ينبغي توسيع الأبحاث المستقبلية لتشمل مناطق وشرائح سكانية مختلفة لتحقيق فهم أعمق للظاهرة.

لائحة المصادر والمراجع

1- اسلام عبد الحفيظ عمارة. (2017). التنمر التقليدي والإلكتروني بين طلاب التعلم ما قبل الجامعي. رابطة التربويين العرب، 86(1)، 513-548.

2- الاء تيسير بني نصر. (2021). دور معلمي مرحلة التعليم الأساسي في الحد من ظاهرة التنمر. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، 12(36). https://doi.org/a/php.in-dex/edu.qou.journals: //https

3- حامد عفيفي. (2018). التنمر يحدث للجميع، ويوقفه الجميع. تم الاسترداد من اليونيسف: https://www.unicef.org/egypt/ar/bullying

4- رحيل دندش. (2018). ربع أطفال لبنان ضحايا التنمّر في المدارس. الأخبار.

5- ياسر حسين عبد الله. (2023). التَّنَمُّر الإلكتروني وأثره على المراهقين. مجلة أوراق ثقافية . https://doi.org/https://www. /awraqthaqafya.com/2221

6- كاسيدي، و.، براون، ك.، وجاكسون، م. (2012). «تحت الرادار»: المعلمون والتنمر الإلكتروني في المدارس. علم النفس المدرسي الدولي، 33(5)، 520-532. https://doi org/10.1177/0143034312445245

7- إيدن، س.، هييمان، ت.، وأولينيك-شيمش، د. (2013). تصورات المعلمين ومعتقداتهم ومخاوفهم بشأن التنمر الإلكتروني. المجلة البريطانية للتكنولوجيا التعليمية، 446.

8- هندوجا، س.، وباتشين، ج. (2024).

التنمر الإلكتروني: التعرف عليه، الوقاية منه، والاستجابة له. مركز أبحاث التنمر الإلكتروني. تم الاسترجاع من(cyberbullying.org)

9- كوالسكي، ر.، ليمبر، س.، وأجاتستون، ب. (2008). التنمر الإلكتروني: التنمر في العصر الرقمي. بلاكويل للنشر:https: . doi.org/10.1002/9780470694176

10- ليندهولم، أ. (2019). وعي المعلمين وإدراكهم لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي والتنمر الإلكتروني في بليز [أطروحة ماجستير، جامعة ولاية مينيسوتا، مانكاتو]. مانكاتو: كورنرستون: مجموعة من الأعمال الأكاديمية والإبداعية لجامعة ولاية مينيسوتا. تم الاسترجاع من.https://cornerstone lib.mnsu.edu/etds/934/

11- ماكولي، ب.، بيتس، ل.، ستيلر، ج.، وكيلزي، ب. (2018). تصورات المعلمين واستجابتهم تجاه التنمر الإلكتروني: مراجعة منهجية في نظام التعليم. السلوك العدواني والعنيف، 43(12-1)، 1036- 1052. https://doi.org/10.1111 /j.1467-8535.2012.01363

12- سميث، ب.، مهدوي، ج.، كارفالو، م.، وتيبيت، ن. (2008). التنمر الإلكتروني: طبيعته وتأثيره على طلاب المدارس الثانوية. مجلة علم نفس وطب نفسية الأطفال، 49(9)، 376-385. https://doi.org/10.1111/ j.1469-7610.2007.01846.x

13- ويلارد، ن. (2007). التنمر الإلكتروني والتهديدات الإلكترونية: الاستجابة لتحديات القسوة الاجتماعية والتهديدات والضيق عبر الإنترنت. (الطبعة المصورة). برس للأبحاث.

14- زو، س.، هوانغ، س.، إيفانز، ر.، وتشانغ، و. (2021). التنمر الإلكتروني بين المراهقين والأطفال: مراجعة شاملة للوضع العالمي، عوامل الخطر، والتدابير الوقائية. مجلة الصحة العامة، 9(634909). .https:// org/10.3389/fpubh.2021.634909

List of Sources and References

1- Amara, Islam Abdel-Hafiz. (2017). Traditional and electronic bullying among pre-university students. Arab Educators Association, 86(1), 513-548.

2- Bani Nasr, Alaa Taysir. (2021). The role of basic education teachers in reducing the phenomenon of bullying. Al-Quds Open University Journal for Educational and Psychological Research and Studies, 12(36). https://doi.org/a/ php.index/edu.qou.journals://

3- Afifi, Hamed. (2018). Bullying happens to everyone and can be stopped by everyone. Retrieved

from UNICEF: https://www.unicef.org/egypt/ar/bullying

4- Dandash, Raheel. (2018). A quarter of Lebanon's children are victims of bullying in schools. Al-Akhbar.

5-Abdullah, Yasser Hussein. (2023). Cyberbullying and its impact on adolescents. Cultural Papers Journal. https://doi.org/https://www.awraqthaqafya.com/2221/

6-Cassidy, W., Brown, K., & Jackson, M. (2012). Under the radar': Educators and cyberbullying in schools. School Psychology International, 33(5), 520-532. https://doi.org/10.1177/0143034312445245

7- Eden, , S., Heiman, , T., & Olenik-Shemesh,, D. (2013). Teachers' perceptions, beliefs and concerns about cyberbullying. British Journal of Educational Technology, 44(6).

8-Hinduja, S., & Patchin, J. (2024). Cyberbullying: Identification, Prevention, and/ Response. Cyberbullying Research Center. Retrieved from (cyberbullying.org)

9- Kowalski, R., Limber, S., & Agatston, P. (2008). Cyber bullying: Bullying in the digital age. Blackwell Publishing. https://doi.org/https://doi.org/10.1002/9780470694176

10- Linderholm, A. (2019). Teacher awareness and perceptions of social media use and cyberbullying in Belize [Master' s thesis, Minnesota State University, Mankato]. Mankato: Cornerstone: A Collection of Scholarly and Creative Works for Minnesota State University. Retrieved from https:/ /cornerstone.lib.mnsu.edu/etds/934/

11- Macaulay, P., Betts, L., Stiller, J., & Kellezi, B. (2018). Perceptions and responses towards cyberbullying: A systematic review of teachers in the education the educationthe education system. Aggression and Violent Behavior, 43(1-12), 1036-1052. https://doi.org/10.1111/j.1467-8535.2012.01363

12- Smith, P., Mahdavi, J., Carvalho, M., & Tippett, N. (2008). Cyberbullying: its nature and impact in secondary school pupils. The

journal of Child Psychology and Psychiatry, 49(9), 376-385. https://doi.org/ https://doi.org/10.1111/j.1469-7610.2007.01846.x

13- Willard, N. (2007). Cyberbullying and cyberthreats: Responding to the challenge of online social cruelty, threats, and distress. (illustrated ed.). Research Press.

14- Zhu, C., Huang, S., Evans, R., & Zhang, W. (2021). Cyberbullying Among Adolescents and Children: A Comprehensive Review of the Global Situation, Risk Factors, and Preventive Measures. Frontiers in public health, 9(634909). https://doi.org/https://doi.org/10.3389/fpubh.2021.634909

1. ملحق

استبانة المشرف

عنوان الدراسة: واقع التنمر الإلكتروني في عكار

حضرة المشرف(ة) المحترم (ة)

حضرة المشرفين التربويين الكرام، يسرّني أن أدعوكم للمشاركة في دراستي. لا يترتّب على المشاركة في هذه الدراسة أي مخاطر. ومنافع هذه الاستبانة تكمن في تحديد واقع التنمر الالكتروني مما سيسمح بتحديد ووصف هذه الظاهرة الخطيرة واصدار عدد من التوصيات التي يمكن اعتمادها في المستقبل بهدف مكافحتها او الوقاية منها.

أتطلع لمشاركتكم الفعالة والمثمرة في هذه الدراسة.

أولا : معلومات عامة عن المشرف(ة)

الجنس : ذكر ☐ أنثى ☐

السّن :

اللغة ألاجنبية التي تتقنها: الفرنسية ☐

الانكليزية ☐ غيرها ☐ لا أتقن أي لغة أجنبية ☐

عدد سنوات الخبرة الاشرافية:5 وما دون ☐

5-10 سنوات ☐ 10-15سنوات ☐

15-20 سنة ☐ 20 وما فوق ☐

أعلى شهادة لديك : إجازة جامعية ☐

إجازة تعليمية ☐ ماستر ☐

دكتوراه ☐

مصدر الشهادة : كلية للتربية ☐

كلية أخرى ☐

مادة الاختصاص :علمية ☐

أدبية ☐ اجرائية ☐ كمبيوتر او ذات علاقة بالتكنولوجيا ☐

ثانيا :حول واقع التنمر الالكتروني في عكار.

كيف تصف مهاراتك التكنولوجية؟

ممتازة	جيدة جدا	جيدة	سيئة	سيئة جدا

1 – كيف تقيم انشار ظاهرة التنمر الالكتروني بين طلاب المرحلة الثانوية؟

منتشرة جدا	منتشرة	قليلة الانتشار	نادرة الحدوث	لا تحدث أبدا

2 – ما هي مظاهر التنمر الالكتروني؟

1 – إرسال رسائل نصية سيئة لاحدهم

2 – الاستهزاء باحدهم وجها لوجه

3 – نشر محتوى خاطئ عن احد الاشخاص على صفحات التواصل الاجتماعي

4 – ارسال صور احدهم دون اذن

5 – الاعتداء على احدهم بالضرب

6 – أنت قادر على التأثير في الاستاذ ليصبح قادرا على التعامل مع اي حالة من التنمر الالكتروني قد تحدث في المجتمع المدرسي.

أوافق بشدة	أوافق	أوافق قليلا	لا اوافق	لا ينطبق

1 – أنت قادر على المشاركة الفعالة في الوقاية بشكل فعال من حوادث التنمر الالكتروني في المجتمع المدرسي.

أوافق بشدة	أوافق	أوافق قليلا	لا اوافق	لا ينطبق

2 – أنت قادر على التعرف على ظواهر التنمر الالكتروني التي تجري بين الطلاب في المجتمع المدرسي.

أوافق بشدة	أوافق	أوافق قليلا	لا اوافق	لا ينطبق

3 – أنت مسؤول مهنيا واخلاقيا عن التعامل مع ظاهرة التنمرالالكتروني بشكل فعال.

أوافق بشدة	أوافق	أوافق قليلا	لا اوافق	لا ينطبق

4 – ان ادخال برامج تدريبية للمشرفين من اجل التاثير في قدرة المعلمين على الوقاية والحد ومحاربة التنمر الالكتروني هو حاجة ملحة في عصرنا هذا.

أوافق بشدة	أوافق	أوافق قليلا	لا اوافق	لا ينطبق

استبانة الطالب

عنوان الدراسة: واقع التنمر الالكتروني في عكار

حضرة الطالب (ة) المحترم (ة)

أدعوكم للمشاركة في دراستي. لا يترتّب على المشاركة في هذه الدراسة أي مخاطر. ومنافع

هذه الاستبانة تكمن في تحديد واقع التنمر الالكتروني مما سيسمح بتحديد ووصف هذه الظاهرة الخطيرة واصدار عدد من التوصيات التي يمكن اعتمادها في المستقبل بهدف مكافحتها او الوقاية منها

1 – **الجنس :** ذكر أنثى

2 – السّن

3 – كيف تصف مهاراتك لتكنولوجية؟

ممتازة	جيدة جدا	جيدة	سيئة	سيئة جدا

4 – كيف تقيم انشار ظاهرة التنمر الالكتروني بين طلاب المرحلة الثانوية؟

منتشرة جدا	منتشرة	قليلة الانتشار	نادرة الحدوث	لا تحدث أبدا

5 – ما هي مظاهر التنمر الالكتروني؟

1 – ارسال رسائل نصية سيئة لاحدهم

2 – الاستهزاء باحدهم وجها لوجه

3 – نشر محتوى خاطئ عن احد الاشخاص على صفحات التواصل الاجتماعي

4 – ارسال صور احدهم دون اذن

5 – الاعتداء على احدهم بالضرب

6– شاركت يوما في عملية تنمر الكترونية.

أوافق بشدة	أوافق	أوافق قليلا	لا اوافق	لا ينطبق

7– كنت يوما ضحية عمل تنمري الكتروني من احدهم او من مجموعة.

أوافق بشدة	أوافق	أوافق قليلا	لا اوافق	لا ينطبق

8–تنمرت الكترونيا على احدهم يوما.

أوافق بشدة	أوافق	أوافق قليلا	لا اوافق	لا ينطبق

9– شهدت على عملية تنمرالكترونية حدثت لاحدهم.

أوافق بشدة	أوافق	أوافق قليلا	لا اوافق	لا ينطبق

10–يتعامل الاساتذة مع حالات التنمر الالكتروني التي تحدث في مجتمعك المدرسي.

أوافق بشدة	أوافق	أوافق قليلا	لا اوافق	لا ينطبق

11–يساهم الاساتذة في الوقاية بشكل فعال من حوادث التنمر الالكتروني في مجتمعك المدرسي.

أوافق بشدة	أوافق	أوافق قليلا	لا اوافق	لا ينطبق

4. باب التاريخ:

1. أصداء انفصال جمهوريات آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتي واستقلالها 1991-1992 في بعض الصحف العربية

Echoes of the Secession of the Central Asian Republics from the Soviet Union and their Independence 1991-1992 in Some Arab Newspapers

بقلم م. د. وجدان كارون فريح

جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي/ قسم الدراسات التاريخية

Lecturer Dr. Wijdan Karoon Freeh

University of BasraBasra /and Arab Gulf Studies center/ Department of Historical Studies

wijdan.karoon@uobasrah.edu.iq

Tel. 0776016062

تاريخ الاستلام:1/23 / 2025 تاريخ القبول: 5/ 2/ 2025 تاريخ النشر:25/3/ 2025

الملخص

شهدت الساحة السياسية الدولية في السنوات الاخيرة من القرن العشرين تطورات كبرى في السياسة العالمية وتغير في أثرها وجه العالم بأكمله، وكان في مقدمتها، دون أدنى جدل، انفراط عقد الدول المنضوية تحت لواء الاتحاد السوفيتي وانهيار هذا الاتحاد إلى الابد. لقد أذهلت السرعة التي انهار بها الاتحاد السوفيتي كافة توقعات وتحليلات المراقبين السياسيين، وكان من الطبيعي أن تسلط وسائل الإعلام العالمية المختلفة الضوء على طبيعة الانهيار واسبابه وتداعياته، ومنها للصحف العربية التي واكبت الأحداث التي جرت في دول الاتحاد السوفيتي منذ الوهلة الاولى للانهيار، وتمكنت من تشخيص أسباب الانهيار وتداعياته، وواكبت كيفية انفصال جمهوريات آسيا الوسطى، وأبدت رأيها بالأحداث والتطورات التي شهدتها هذه الدول في حينها، وقد رأت أغلب الصحف العربية أن الاسباب الرئيسة لانهيار الاتحاد السوفيتي كان ضعف الاقتصاد السوفيتي وضعف زعمائه، وكذلك نتيجة الدور الذي مارسته الولايات المتحدة وحلفائها عبر الضغط باتجاه تفكيك الاتحاد السوفيتي لخدمة مصالحها السياسية والعسكرية.

الكلمات المفتاحية: جمهوريات آسيا الوسطى– الاتحاد السوفيتي– الصحف

Abstract

In the last years of the twentieth century, the international political arena witnessed major developments in global politics that changed the face of the world, foremost among them, without the slightest controversy, was the unraveling of the countries under the banner of the Soviet Union and the collapse of this union forever. The speed of the collapse of the Soviet Union astonished all expectations and analyzes of political observers. It was natural for the various international media to shed light on the nature of the collapse, its causes and its repercussions. Arab newspapers kept pace with the events that took place in the countries of the Soviet Union since the first moment of the collapse. It

were able to diagnose the causes of the collapse, its repercussions, and followed up on how the Central Asian republics separated. Arab newspapers expressed their opinion about the events and developments that these countries witnessed at the time. Most of them saw that the main reasons for the collapse of the Soviet Union were the weakness of the Soviet economy and the weakness of its leaders, as well as the result of the role played by the United States and its allies by pressuring towards the dismantling of the Soviet Union to serve its political and military interests.

Keywords: Central Asian Republics – Soviet Union – Newspapers

المقدمة

صاحب انهيار الاتحاد السوفييتي عام 1991 سقوط بداهة الايديولوجية الشيوعية ونظمها السياسية، واندثار نظام القطبية الثنائية العالمية، وبدأ العالم يتحول إلى القطبية الاحادية ممثلة بالولايات المتحدة الأمريكية، وانهيار الكتلة الشيوعية بأكملها، الامر الذي أثر على العلاقات الدولية بشكل عام بصفته اتحاداً شيوعياً عاش وعمل كقوة عظمى في عالم السياسة الدولية، وجاء هذا الانهيار بالدرجة الأساس بسبب الضعف الاقتصادي الذي عانى منه الاتحاد السوفيتي، واعلان عدد من الدول المنضوية تحت الاتحاد استقلالها أو تشكيل كونفدراليات فضفاضة فيما بينها، وكان من الطبيعي أن تولي الصحافة العربية اهتماماً بهذا الانهيار وتنقل أحداثه إلى الجمهور ليكون على اطلاع على مجريات وتطورات الأحداث، وتكون وثائق تاريخية يستند إليها بدرجات متفاوتة.

برزت اهمية الدراسة من اختلاف تغطيات الصحف فمنها ما كانت مجرد ناقل للأخبار دون أن ابداء الرأي بصدد ما تجري من أحداث، ومنها ما سعى إلى نقل الخبر وابداء الرأي وفقاً لسياسة الصحيفة والاهداف التي ترمي إلى تحقيقها في نهاية المطاف. وتعود اهمية الدراسة الى اهمية الحدث العالمي الذي ساهم في تغيير البنية الدولية واثار جدلاً دولياً واسعاً.

هدفت الدراسة الى محاولة تتبع أصداء قضية انفصال جمهوريات آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتي في بعض الصحف العربية، لاسيما ان جمهوريات آسيا الوسطى كانت قبل عام 1991 غير معروفة في الشارع العربي.

وتتبع اشكالية الدراسة من الاجابة عن الاسئلة التالية: هل اثار انفصال جمهوريات آسيا الوسطى واستقلالها ردود فعل عربية عبرت عنها الصحف العربية؟، هل كان لتلك الصحف دور بارز في نقل احداث عام 1991 السوفيتية الى الجماهير العربية؟.

ومن أجل تحقيق أهداف البحث؛ قسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة محاور، تناول المحور الأول موقف الصحافة من مقدمات انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991، فيما تناول المحور الثاني ردود أفعال الصحف تجاه تفكك دول الاتحاد السوفيتي، وسلط المحور الثالث الضوء على صدى انفصال جمهوريات آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتي في الصحف العربية وتداعياته. فضلاً عن الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي توصل اليها البحث، وقائمتي الهوامش والمصادر.

اولاً. موقف الصحافة من مقدمات انهيار الاتحاد السوفيتي 1991

ليس من المستغرب أن تولي الصحافة العربية اهتماماً بالأحداث والتطورات التي كانت تجري داخل الاتحاد السوفيتي ومنظومته الشيوعية، فالعلاقات التي تربط الدول العربية بهذا الاتحاد علاقات متينة ولها تأثير على الساحة الدولية، فقد أشارت صحيفة الثورة العراقية في 21 نيسان 1991 إلى أن النشاط الاقتصادي للاتحاد السوفيتي بدأ ينهار منذ مطلع عام 1991 واستمر بالانهيار خلال الاشهر الثلاثة من العام نفسه، حيث بينت الصحيفة إلى أن الناتج القومي الاجمالي للاتحاد السوفيتي تراجع خلال هذه المدة بنسبة 8% عما كان عليه في السنة السابقة[1]، وقد بلغت ذروة نقطة انهيار اقتصاد الاتحاد السوفيتي في تموز عام 1991 عندما رفض رؤساء الدول الصناعية المجتمعون في العاصمة البريطانية لندن طلب المساعدة الذي تقدم به السكريتير العام للحزب الشيوعي ميخائيل غورباتشوف (Mikhail

1- صحيفة الثورة العراقية، العدد (7600)، 21/4/1991.

Gorbachev 1991–1985)[1] الذي عاد إلى الاتحاد السوفيتي وعقد اجتماعاً طارئاً للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي التي تبنت برنامجاً جديداً يعلن عن الفشل النظري والعملي للنموذج الماركسي–اللينيني، ومنح المشروعية للدول المنضوية تحت الاتحاد حق الانفصال عنه[2].

ونتيجة مراقبة الصحف العربية للأحداث التي كانت تجري في الاتحاد السوفيتي، فقد تنبأت صحيفة الثورة العراقية في 4 اب 1991 بأن زعماء الاتحاد السوفيتي وعلى رأسهم ميخائيل غورباتشوف مقبلين على الغاء تاريخهم الحديث، وأن رياح البروسترويكا[3] الفاشلة كانت نقطة الانهيار للاتحاد السوفيتي، واتهمت الصحيفة ميخائيل غورباتشوف بخيانة الاتحاد السوفيتي والشيوعية والارتماء في حضن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها[4]. اما صحيفة الدستور الاردنية فإنها اتهمت ميخائيل غورباتشوف بالتواطؤ مع الولايات المتحدة الأمريكية على تفكيك الاتحاد السوفيتي وانهاء وجوده لكن بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال تركيزها على ما قاله وزير الخارجية الامريكي جيمس بيكر في تصريحه لمجلة التايم الأمريكية، بأن الاتحاد السوفيتي لم يعد موجوداً وأن أي شيء لم يكن ممكناً لولا وجود ميخائل غورباتشوف[5].

وأشارت صحيفة الاهرام المصرية في 4 آب 1991 إلى أن الرئيس السوفيتي ميخائيل غورباتشوف قد أشار إلى أن

1- **ميخائيل غورباتشوف (2022–1931)**: ولد باقليم القوقاز الروسي، ينحدر من أصول فلاحية، بدأ حياته السياسية عام 1952 عندما شغل منصب مسؤول منظمة الشباب في مدينته، تولى منصب الزعيم الثامن والاخير للاتحاد السوفيتي. عرف بسياسته الاصلاحية، وانهاء الحرب الباردة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وشهد عهده تفكك وانهيار الاتحاد السوفيتي. ينظر: اندرو بريستون، مقدمة مختصرة في العلاقات الخارجية الأمريكية، ترجمة: احمد طارق البوهي، المركز العربي لابحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2022، ص163.

2- محمد السيد سليم، ملف الانقلاب السوفيتي وتداعياته، مجلة السياسة الدولية، العدد (106)، تشرين الأول 1991، ص227.

3- **البروسترويكا:** كلمة روسية تعني اعادة الهيكلة، وهي برنامج للإصلاحات الاقتصادية أطلقه الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف عام 1985 كبرنامج لإعادة بناء الاقتصادي السوفيتي، وقد صاحب البروسترويكا مصطلح آخر هو غلاسنوست ويعني الشفافية والاصلاحات السياسية. ينظر: آرسنت ماندل، الاتحاد السوفيتي في ظل غورباتشيف، ترجمة: بولا الخوري، دار الواحة، بيروت، 1991.

4- صحيفة الدستور الاردنية، العدد (8736)، 16/12/1991.

5 - صحيفة الثورة العراقية، العدد (7688)، 4/8/1991.

الجمهوريات السوفيتية ستبدأ اعتباراً من 20 آب من العام نفسه في التوقيع على المعاهدة الاتحادية الجديدة بينها، وبين بأن هذه المعاهدة ستؤدي إلى تطوير وتحسين جميع مناحي الحياة في الدول التي ستوقع عليها، وأن المعاهدة ستضع أسس جديدة للعلاقات بين دول الاتحاد السوفيتي، وأن الخطة المقبلة لجمهوريات الاتحاد السوفيتي هو التحول من اتحاد قوميات إلى اتحاد ديمقراطي، غير مفروض بالقوة[1].

وكان ميخائيل غورباتشوف مصراً على سرعة تنفيذ البروسترويكا وكان يعتقد أن كل تأخير في تنفيذ البروسترويكا سوف ينطوي في المستقبل القريب على وضع داخلي محتدم ومعقد يتميز بأزمات جدية في جميع المجالات وعلى رأسها المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية[2]، وتضمنت اصلاحات ميخائيل غورباتشوف في مجال السياسة الذي اطلق عليه مصطلح غلاسنوست، عدد من المحاور الرئيسة وهي الانفتاح في مجال الإعلام واطلاق حرية النقاش والنقد حتى خارج وسائل الإعلام، وتطهير كافة اجهزة الدولة وتحديثها، وتليين سياسة الدولة تجاه ضمان حق الفرد عبر تقليل الاجراءات القانونية والبوليسية[3].

وبينت صحيفة الاهرام المصرية في 5 آب 1991 بأن الحزب الشيوعي السوفيتي فقد أربعة ملايين عضواً من أعضائه خلال مدة 18 شهراً نتيجة قرار تشكيل جناح اصلاحي في الحزب برئاسة الكسندر روتسكوي (Alexander Rutskoi 1991–1993) نائب الرئيس الروسي الاول بوريس يلتسن (Boris Yeltsin 1991–1999)، وأنه بدأ يعاني الخلافات والانقسامات بين أعضائه، وأن إحدى أبرز نقاط هذه الخلافات هي قرار الرئيس الروسي بوريس يلتسن بإلغاء الخلايا الشيوعية من المصانع وأماكن العمل في الجمهورية الروسية كافة، أما النقطة الثانية للخلاف الذي نشب بين أعضاء الحزب الشيوعي السوفيتي فهي تأسيس حزب جديد باسم الحزب الديمقراطي الشيوعي الروسي، الذي يطالب أعضائه منح جميع أفراد الاتحاد السوفيتي فرصاً متساوية في جميع مجالات الحياة[4].

1 – صحيفة الاهرام المصرية، العدد (38225)، 4/8/1991
2– آرسنت ماندل، المصدر السابق، ص77.
3 – المصدر نفسه، ص154.
4– صحيفة الاهرام المصرية، العدد (38226)، 5/8/1991.

وأكدت صحيفة الجمهورية العراقية ما ذهبت اليه صحيفة الاهرام المصرية بشأن الخلافات بين أعضاء الحزب الشيوعي السوفيتي وأشارت إلى انها خلافات بين الجناح المحافظ في الحزب الشيوعي السوفيتي والجناح الاصلاحي، وبينت أن الكسندر ياكوفليف (Alexander Yakovlev) المستشار العقائدي السابق للرئيس السوفيتي ميخائيل غورباتشوف توقع أن يتم اعفاء الأخير من منصب الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي خلال انعقاد مؤتمر الحزب الشيوعي في شهر تشرين الثاني 1991[1].

وشخصت صحيفة الاهرام المصرية في 6 آب 1991 بأن بدايات انهيار الاتحاد السوفيتي كانت لأسباب اقتصادية، واستشهدت بالتحذيرات التي أطلقها النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء السوفيتي فلاديمير شيرباكوف (Vladimir Shcherbakov) حول تعرض جمهوريات الاتحاد السوفيتي لمجاعة حقيقية في حالة عدم جمع محصول الحبوب في هذا العام، وأن الحكومة ماضية في التشجيع على زيادة الانتاج الزراعي من خلال تقديم سلع استهلاكية للمزارعين الذين يقومون بتوريد محاصيل الحبوب إلى الدولة[2]. وأدى تعقد الأزمة الاقتصادي للاتحاد السوفيتي من جهة، واصرار الجناح الاصلاحي في الحزب الشيوعي السوفيتي على المضي قدماً بالإصلاحات السياسية والاقتصادية إلى قيام مجموعة من السياسيين الشيوعيين المعارضين للتحول الديمقراطي والملتزمين بالمحافظة على الاتحاد السوفيتي إلى تنظيم محاولة انقلابية يوم 19 آب 1991[3].

وأشارت صحيفة الاهالي الاردنية أن المحاولة الانقلابية، وتحرك لجنة الطوارئ السوفيتية بدباباتها وكوادرها الشيوعية ضد سياسة الحكومة التي أدت إلى الانهيار الاقتصادي، يرجع أما إلى أن هذا التحرك كان بدافع ايقاف الانهيار، أو أنها كانت حركة ستالينية ضيقة الأفق حدثت من أجل محافظة الستالينيين على مكتسباتهم من خلال تجميد الأوضاع السياسية والاقتصادية على ما هي عليه في الاتحاد السوفيتي[4].

1- صحيفة الجمهورية العراقية ، العدد (7960)، 18/8/1991.

2- صحيفة الاهرام المصرية، العدد (38227)، 6/8/1991.

3- زولتان باراني، الجندي والدولة المتغيرة: بناء جيوش ديمقراطية في أفريقيا وآسيا واوربا والامريكيتين، ترجمة: نبيل الخشن، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، قطر، 2018، ص337.

4 - صحيفة الاهالي الاردنية، العدد (51)، 4/9/1991.

وتابعت صحيفة الثورة العراقية في 30 آب 1991 تداعيات هذا الانقلاب وأشارت إلى أن مجلس السوفييت الأعلى[1] قرر تعليق نشاط الحزب الشيوعي السوفيتي على أراضي الاتحاد السوفيتي كافة، وأن الرئيس ميخائيل غورباتشوف اقترح على البرلمان السوفيتي تشكيل مجلس أمن سوفيتي يضم ستة شخصيات بارزة من مؤيدي سياسته الاصلاحية البروسترويكا، وبينت الصحيفة أن المجلس وافق على اعتقال رئيس المجلس اناتولي لوكيانوف (Anatoly Lukyanov 1990– 1991)، وأضافت أن ممتلكات الحزب الشيوعي السوفيتي والحزب الشيوعي الروسي أصبحت ملكاً للجمهورية الروسية[2].

واتهمت صحيفة الاهالي الأردنية الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني بالتعاون فيما بينهما لتأجيج الصراع بين القيادات السياسية الشيوعية في الاتحاد السوفيتي، وأنهما استغلتا شعارات البروسترويكا الجذابة للتحريض على تدمير الاتحاد السوفيتي، كما اتهمت الزعماء السوفييت بالضعف وأنهم لم يتمكنوا من الوقوف بوجه سياسة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وأشارت إلى أن الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف أدى خدمة مهمة للولايات المتحدة الأمريكية بعد استقالته من الأمانة العامة للحزب الشيوعي السوفيتي، اذ مهد من خلالها لحدوث أمور وأحداث سياسية أخرى باتجاه تفكك الاتحاد السوفيتي وانهياره التام[3].

واكدت صحيفة الجمهورية العراقية ما ذهبت اليه صحيفة الاهالي الاردنية بضلوع الولايات المتحدة الامريكية بمؤامرة تفكيك الاتحاد السوفيتي، واستشهدت بتصريح جيس هول (Jess Hall) زعيم الحزب الشيوعي الامريكي الذي أشار فيه إلى أن المخابرات المركزية الأمريكية متورطة بدرجة كبيرة في الأحداث التي يشهدها الاتحاد السوفيتي[4].

وتأكيداً لاتهام صحيفة الاهالي الاردنية للصهيونية بالضلوع في تفكك الاتحاد

1- **مجلس السوفييت الاعلى:** هو اعلى هيئة قيادية في الدولة، وينتخب باقتراع عام كل اربعة اعوام. ينظر: زليخة معلم، دور ميخائيل غورباتشوف في سقوط الاتحاد السوفيتي 1985-1991، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية- جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2015، ص22.

2 - صحيفة الثورة العراقية، العدد (7711)، 30/8/1991.

3- صحيفة الاهالي الاردنية، العدد (50)، 28/8/1991.

4- صحيفة الجمهورية العراقية ، العدد (7972)، 1/9/1991

السوفيتي وانفراط عقد دولته، نشرت خبراً في صفحتها الأولى في 4 ايلول 1991 أشارت فيه إلى أن جهاز «الموساد الاسرائيلي» كان يتابع تفكك الاتحاد السوفيتي وانهياره، وأن هناك احتمالية كبيرة بمشاركته في عملية التفكيك والانهيار، فقد أشارت إلى أن رئيس جهاز «الموساد الاسرائيلي» زار موسكو، وأجرى سلسلة من الاجتماعات مع الزعماء السوفييت، ورؤساء الاجهزة الأمنية السوفيتية حذرهم خلالها من الشيوعيين المتشددين، وبين الخبر أن مكتب جهاز الموساد في موسكو بعث بتقارير إلى الحكومة «الاسرائيلية» أشار فيها إلى أن الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف سيختفي من الحياة السياسية بعد مدة قصيرة والى الابد، وأن الزعيم الروسي بوريس يلتسن المقرب من الولايات المتحدة الأمريكية ربما يتعرض للاغتيال من قبل الشيوعين السوفييت المتشددين[1].

وأصرت صحيفة الاهالي الاردنية على اتهام «إسرائيل» بالتآمر على تفكيك الاتحاد السوفيتي وانهياره، وبينت أن احدى أهدافه هو الاستفادة من خبرات العسكريين اليهود السوفييت الذين كانوا يعملون في مجال التصنيع العسكري للاتحاد السوفيتي، اذ فتحت امامهم باب الهجرة إلى «اسرائيل»[2].

وفي السياق نفسه، بين رئيس الوكالة اليهودية والمشرف على هجرة السوفييت اهمية هجرة يهود السوفييت الى «إسرائيل»، قائلاً بانه يتوقع وصول مليون مهاجر سوفيتي جديد الى بلاده خلال الاعوام الخمس القادمة، وان تأثيرها سيكون هائلاً، وسيصل منهم 112,000 مهندساً، و 25,000 طبيباً، و17,000 من كبار الاكاديميين، و12,000 عالماً وباحثاً، الامر الذي يضع «إسرائيل» على قائمة الدول التي تمتلك اعلى نسبة مئوية من الاكاديميين، اذ سيكون لديها 15%، وهي نسبة تفوق الولايات المتحدة الامريكية بثلاث مرات، وتفوق اية دولة ثانية اربع مرات، ومن اكثر الدول تطوراً في العمالة المدربة. كما صرح انهم غير سياسيين، وانهم يريدون تحسين معيشتهم، والعيش بحرية، «انهم لم يهربوا من الشيوعية..

1- صحيفة الاهالي الاردنية، العدد (51)، 4/9/1991.

2- صحيفة الاهالي الاردنية، العدد (52)، 11/9/1991.

بل هربوا من الفوضى»[1]. ومن الجدير بالذكر ان الصحيفة في العدد نفسه نقلت عن الراديو «الاسرائيلي» ان 60% من اليهود السوفييت المهاجرين رفضوا تأدية الخدمة العسكرية في الجيش «الاسرائيلي»، وقالوا انهم لا يرغبون في محاربة العرب[2].

وقالت صحيفة النهار اللبنانية أن توجه الشعب الاوكراني إلى صناديق الاقتراع للاستفتاء على انفصال اوكرانيا من الاتحاد السوفيتي امراً يهدد بقاء هذا الاتحاد، وستكون ضربة قاضية للاتحاد، لاسيما وأن الدول الغربية على أتم الاستعداد للاعتراف باستقلال اوكرانيا، ما سيؤدي إلى انفصال الدول السوفيتية الواحدة تلو الأخرى لاسيما جمهوريات آسيا الوسطى[3].

ومن نافلة القول، أن الصحف العربية أجمعت على أن سبب بدء انهيار الاتحاد السوفيتي كان العامل الاقتصادي بالدرجة الأساس، وضعف الزعماء السوفييت، التي أدت إلى اتخاذهم القرارات الاصلاحية في الوقت غير المناسب، كما أن الصحف العربية وضعت الولايات المتحدة الأمريكية بدائرة الاتهام بأنها هي المحرض الرئيس؛ مستغلةً ضعف الاقتصاد السوفيتي للضغط على القادة السوفييت لإنهاء وجود الاتحاد السوفيتي.

ثانياً. ردود أفعال الصحف تجاه تفكك دول الاتحاد السوفيتي

تعود أحداث تفكك دول الاتحاد السوفيتي إلى 11 اذار 1990 عندما قادت ليتوانيا الحركة الانفصالية القومية في منطقة البلطيق ووافق البرلمان الليتواني على اعلان الاستقلال في ليتوانيا في 4 نيسان من العام نفسه، ثم تلتها اعلان الجبهة الشعبية القومية اللاتيفية في 3 ايار 1990 الدعوة إلى الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي لكنها اعلنت استقلالها

1- صحيفة الجمهورية المصرية، العدد (13739)، السنة 38، 10 اغسطس «آب» 1991.
سكن في أوزبكستان بحسب إحصاء اجري عام 1994 قرابة 100,000 يهودياً، وفي تركمانستان ما يقارب 20,000 يهودياً. واستعملت «إسرائيل» سياسة ذات اتجاهين بشأن اليهود في جمهوريات آسيا الوسطى، الأولى كانت بجذبهم وتهجيرهم إلى «إسرائيل»، والثانية بتوظيفهم كأداة لتنفيذ سياستها داخل المنطقة. وبلغ عدد اليهود الذين وصلوا إلى «إسرائيل» عام 1995 من أوزبكستان بحدود 70,000 يهودياً. للمزيد ينظر: وجدان كارون فريح التميمي، سياسة إيران تجاه جمهوريات آسيا الوسطى 1997-1991، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2023، ص136.
2- صحيفة الجمهورية المصرية، العدد (13739)، السنة 38، 10 اغسطس «آب» 1991.
3- صحيفة النهار اللبنانية ، العدد (18096)، 3/12/1991

الفعلي في 21 آب 1991، وكانت استونيا قد اعلنت استقلالها في 19 آب 1991 أي قبل استقلال لاتيفيا بيوم واحد فقط[1].

وبينت صحيفة الأهرام المصرية بأن ليتوانيا لم تتمكن من الحصول على استقلالاً رسمياً من الاتحاد السوفيتي واستمرت قوات وزارة الداخلية السوفيتية بالتواجد في ليتوانيا، وأن الرئيس الليتواني فيتاوتاس لاندسبرغس (Vitautas Landsbergs 1991-1990) قد دعا في 8 آب 1991 إلى عقد اجتماع طارئ مع الرئيس السوفيتي ميخائيل غورباتشوف لبحث الموقف في ليتوانيا، وأنه أطلق تهديداً للمرة الأولى باستعمال القوة لفرض الاستقلال الليتواني رسمياً[2].

وأرجعت صحيفة الجمهورية العراقية التوترات التي حصلت في ليتوانيا والتحركات التي قامت بها الحكومة الليتوانية تجاه المطالبة بسحب قوات وزارة الداخلية السوفيتية إلى مقتل سبعة ليتوانيين من مسؤولي الجمارك الليتوانيين على يد هذه القوات، وبينت أن الحكومة الليتوانية قررت جمع الأسلحة من المواطنين لاستعمالها في حماية الحدود الليتوانية بعد اعلان الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي[3].

وأكدت صحيفة الاهرام المصرية ما أشارت اليه صحيفة الجمهورية العراقية، وأضافت أن زعماء جمهورية ليتوانيا قد بدأوا في يوم 10 آب 1991 بحملة فعلية لجمع الأسلحة وتخزينها استعداداً لإعلان استقلالها عن الاتحاد السوفيتي بالقوة، وأشارت إلى أن هذا العمل يعد أول خطوة باتجاه استعمال القوة لفرض استقلال ليتوانيا بعد أن كانت قد تعهدت بالحصول على الاستقلال بطرق سلمية، وأن الحكومة الليتوانية اذاعت بياناً دعت فيه المواطنين إلى التبرع بالأسلحة والأموال من أجل استعماله في عملية الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي، وحماية الحدود[4].

وأشارت صحيفة الاهرام المصرية في 11 آب 1991 إلى أن جمهورية ارمينيا السوفيتية قد أعلنت أنها ستجري استفتاءً

1- طه عبد العليم وآخرون، ندوة انهيار الاتحاد السوفيتي وتأثيراته على الوطن العربي القاهرة 23-22 فبراير 1992، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 1992، ص2

2- صحيفة الاهرام المصرية، العدد (38228)، 7/8/1991.

3- صحيفة الجمهورية العراقية ، العدد (7954)، 11/8/1991.

4- صحيفة الاهرام المصرية، العدد (38232)، 11/8/1991.

يوم 21 ايلول 1991 حول انسحابها من الاتحاد السوفيتي، وأن الحكومة الارمينية قد ارسلت دعوات إلى الامم المتحدة للإشراف على الاستفتاء ليكون استفتاءً رسمياً، كما بينت الصحيفة بأن جمهورية جورجيا بدأت تتخذ خطوات نحو الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي، وأن برلمانها أقر قانوناً يسمح لها بإقامة مشاريع خاصة خارج نطاق المشاريع السوفيتية اعتباراً من شهر تشرين الأول عام 1991[1].

وركزت صحيفة الاهالي الاردنية على التدخل الصهيوني –الأمريكي في تسريع عملية تفكيك الاتحاد السوفيتي وانفراط عقد جمهورياته الواحدة تلو الأخرى، وبينت أن أجهزة الإعلام الغربية سعت بكل قوة إلى التعتيم على ما يحدث من تطورات داخل دول الاتحاد السوفيتي، واقتصر نشرها على الأحداث السطحية فقط التي لا تعكس الغليان الحقيقي في الاتحاد السوفيتي، وركزت في المقابل على انهيار الحزب الشيوعي السوفيتي وبنية الدولة السوفيتية برمتها، واتهمت الزعيم الروسي يلتسن المضي إلى الاجهاز على الحزب الشيوعي وهيكلية الدولة السوفيتية بالتعاون مع المنظمات الصهيونية واليمينية المتطرفة، وأشارت إلى أنه لاتزال هناك بعض الأصوات الشيوعية الرافضة لتفكك الدول السوفيتية والمصرة على بقاء الوضع على حاله[2].

وبينت صحيفة الجمهورية العراقية في 13 آب 1991 تأثير التفكك السوفيتي وانفراط دوله على المشهد السياسي العالمي، اذ أشارت إلى أن انهيار الاتحاد السوفيتي يعد نقطة انطلاق لنظام دولي جديد، وأن هذا النظام الدولي لايزال قيد البلورة والتكوين، وأنه سوف لن يختلف كثيراً عن النظام الدولي الذي تشكل بعد الحرب العالمية الثانية، وأنه لن يُسمح ببروز كتلة دولية سياسية تشارك بها دول العالم الثالث، وأن العلاقات بين دول الشمال والجنوب ستظل غير عادلة وتميل لمصلحة الشمال، وأن انهيار الاتحاد السوفيتي قد سمح للدول المهيمنة في ظل النظام الدولي السابق على فرض سيطرتها على ارث الاتحاد السوفيتي، وتوقعت الصحيفة أن لا يكون هناك تغيير كبير في القواعد الاساسية للنظام الدولي[3].

1- صحيفة الاهرام المصرية، العدد (38232)، 11/8/1991.

2- صحيفة الاهالي الاردنية، العدد (52)، 11/9/1991.

3- صحيفة الجمهورية العراقية ، العدد (7956)، 13/8/1991.

ثالثاً. صدى انفصال جمهوريات آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتي في الصحف العربية

سنتناول هنا ما رصدته الصحف العربية حول انفصال جمهوريات آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتي من جانبين، الأول صدى استقلال جمهوريات آسيا الوسطى والاعتراف بها في الصحف العربية، والثاني صدى أوضاع جمهوريات آسيا الوسطى السياسية والاقتصادية في الصحف العربية.

أ. صدى استقلال جمهوريات آسيا الوسطى والاعتراف بها في الصحف العربية

اعلنت قيرغيزستان وأوزبكستان استقلالهما عن الاتحاد السوفيتي في 31 آب 1991، وطاجيكستان في 9 أيلول من العام نفسه، تبعتهما تركمانستان في 27 من تشرين الاول، وكازاخستان في 16 كانون الاول[1]، وبينت صحيفة الجمهورية العراقية أن قرار البرلمان الأوزبكستاني نص على نقل جميع التشريعات من المؤسسات السوفيتية إلى الاوزبكية[2].

ونقلت صحيفة الثورة العراقية في عددها الصادر في 17 كانون الأول 1991 نبأ اعلان جمهورية كازاخستان استقلالها عن الاتحاد السوفيتي، وأشارت إلى أن البرلمان الكازاخستاني قرر في 16 كانون الأول اعلان الانفصال عن الاتحاد السوفيتي، وبينت بأنها من بين أربع جمهوريات كانت منضمة للاتحاد السوفيتي التي تمتلك أسلحة نووية، وأوضحت الصحيفة أن امتلاك جمهورية كازاخستان للأسلحة النووية جعلها في دائرة المباحثات الروسية–الأمريكية، وأن الاخيرة تسعى للتنسيق مع الحكومة الروسية للسيطرة على الأسلحة النووية التي تمتلكها كازاخستان واوكرانيا وقيرغيزستان[3].

وبينت صحيفة الثورة العراقية أن دول العالم بدأت تعترف باستقلال جمهوريات آسيا الوسطى تباعاً، وأشارت إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد اعترفت في 27 كانون الأول 1991 باستقلال جمهوريات آسيا الوسطى جميعها، وأنها ستسرع في اقامة علاقات دبلوماسية مع كازاخستان وقيرغيزستان، لكنها ما تزال تدرس اقامة علاقات دبلوماسية مع

1- للمزيد عن مساحة وسكان الجمهوريات، واقتصادها ينظر: وجدان كارون فريح التميمي، المصدر السابق، ص82-80، 249-242.

2- صحيفة الجمهورية العراقية ، العدد (7972)، 1/9/1991.

3- صحيفة الثورة العراقية ، العدد (7805)، 17/12/1991

تركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان، وذلك للتأكد من استعداد حكومات الجمهوريات الثلاث لاحترام مبادئ الديمقراطية والأمن التي وضعتها الولايات المتحدة الأمريكية، وبينت الصحيفة أن الحكومة الكوبية والحكومة الالمانية قد اعترفتا بالتاريخ نفسه باستقلال جمهوريات آسيا الوسطى جميعها[1].

وتوالت اعترافات الدول بجمهوريات آسيا الوسطى، اذ ذكرت صحيفة الدستور الاردنية بأن الحكومة اليونانية اعلنت في الأول من كانون الثاني 1992 بأنها قد اعترفت باستقلال ثماني جمهوريات سوفيتية سابقة بضمنها ثلاثة من جمهوريات آسيا الوسطى وهي كازاخستان وتركمانستان وأوزبكستان، وأن اعترافها بتلك الجمهوريات جاء بعد أن تأكد للحكومة اليونانية أنها قد أخطرت رئاسة المجموعة الاوربية أنها توافق على الشروط التي وضعتها المجموعة للاعتراف بها، وبينت أن الحكومة اليونانية أكدت أنها ستعترف بجمهوريتي قيرغيزستان وطاجيكستان، بعد أن تعلن رئاسة المجموعة الاوربية بأنهما قد وافقتا على الشروط التي فرضتها المجموعة عليهما من أجل اعتراف الدول الاوربية بهما[2].

وذكرت صحيفة البيان الإمارتية أن الصين اعترفت باستقلال أوزبكستان يوم 3 كانون الثاني 1992، بعد أن جرت مفاوضات بين الحكومتين والاتفاق على التعاون الاقتصادي بين البلدين[3]. كما بينت الصحيفة نفسها أن الصين اعلنت في 6 كانون الثاني من العام نفسه اقامتها علاقات دبلوماسية مع جمهورية قيرغيزستان التي تجاور الصين من الجهة الشمالية الغربية، بعد أن اقامت علاقات دبلوماسية مع طاجيكستان وكازاخستان[4].

ب. صدى أوضاع جمهوريات آسيا الوسطى السياسية والاقتصادية في الصحف العربية

بينت صحيفة الثورة العراقية أن جمهورية كازاخستان قد أعلنت عن نيتها بتحسين المستوى المعيشي لشعبها من خلال انضمامها إلى مجموعة الدول المستقلة التي شكلتها روسيا في اعقاب انهيار

1- صحيفة الثورة العراقية ، العدد (7814)، 27/12/1991.

2- صحيفة الدستور الاردنية، العدد (8753)، 2/1/1992.

3- صحيفة البيان الاماراتية، العدد (4217)، 4/1/1992.

4- صحيفة البيان الاماراتية، العدد (4220)، 7/1/1992.

الاتحاد السوفيتي، إلى جانب كل من ارمينيا وطاجيكستان وقيرغيزستان وتركمانستان اضافة إلى أوزبكستان[1].

وعندما اعلن ميخائيل غورباتشوف عن نيته الاستقالة، اجتمع رؤساء جمهوريات آسيا الوسطى بعد اجتماعهم في العاصمة التركمانستانية عشق آباد في 13 كانون الأول 1991 عن استعدادهم للانضمام إلى اتحاد الدول ذات السيادة الذي أسسته اوكرانيا وروسيا البيضاء، وبينت صحيفة الدستور الاردنية أنهم اشترطوا أن يتم الاعتراف بالجمهوريات جميعها التي تدخل ضمن هذا الاتفاق الودي كأعضاء مؤسسين وأن يتم بيان ذلك ضمن نص الاتفاق، وأنهم عدوا أي محاولة لإعادة تشكيل هيكل يشبه تنظيم الاتحاد السوفيتي السياسي السابق بأنه محاولة فاشلة[2]. وأشارت إلى أن الرئيس الروسي بوريس يلتسن وافق على شروط جمهوريات آسيا الوسطى، وتعديل اتفاقية اتحاد الدول ذات السيادة وفقاً لما طالبت به تلك الجمهوريات[3].

وتابعت صحيفة الثورة العراقية تطورات الأحداث الخاصة بانضمام جمهوريات آسيا الوسطى إلى اتحاد الدول ذات السيادة، فأشارت إلى أن زعماء إحدى عشرة جمهورية سوفيتية سابقة عقدوا اجتماعاً في المآتا عاصمة كازاخستان، وتوصلوا إلى اتفاق بإعلان انتهاء وجود الاتحاد السوفيتي رسمياً، وعدم تمثيله لها في المحافل الدولية، وتشكيل اتحاد فضفاض بينها، وبينت الصحيفة أن جمهوريات آسيا الوسطى كازاخستان وتركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان، اتخذت قراراً بالانضمام إلى اتحاد الدول ذات السيادة مع ارمينيا ومولدافيا واذربيجان، وأن الحكومة الكازاخستانية تخطط لعقد اجتماع جديد للدول المنفصلة عن الاتحاد السوفيتي من أجل التوصل إلى اتفاقيات في المجال العسكري[4].

وتحدثت صحيفة الثورة العراقية عن أن جمهوريات آسيا الوسطى كانت قلقة بشأن وضعها الاقتصادي، وأن الحكومة

1- صحيفة الثورة العراقية، العدد (7808)، 20/12/1991.

2- مثل جمهوريات آسيا الوسطى في هذا الاجتماع كل من: صابر مراد نيازوف عن جمهورية تركمانستان، ورحمن نبيف عن جمهورية طاجيكستان، واسلام كريموف عن جمهورية أوزبكستان، ونور سلطان نزار عن جمهورية كازاخستان، وعسكر آكاييف عن جمهورية قيرغيزستان. ينظر: أن صحيفة الدستور الاردنية، العدد (8734)، 14/12/1991

3 - أن صحيفة الدستور الاردنية، العدد (8735)، 15/12/1991.

4 - صحيفة البيان الاماراتية، العدد (4215)، 2/1/1992.

الكازاخستانية حذرت من نشوب كارثة اقتصادية في آسيا الوسطى اذا ما الغت روسيا البيضاء العمل بالتسعيرة في بعض الجمهوريات، الذي سيؤدي إلى توجه أفراد الشعب الروسي على شراء السلع التي ما تزال تلقي دعماً[1]، لكن صحيفة البيان الاماراتية اشارت إلى أن كازاخستان بصفتها أكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتي التي استقلت، التزمت الصمت ازاء الضغوط التي تمارسها روسيا على جمهوريات آسيا الوسطى للتوقيع معها على اتفاق اتحاد وتعاون اقتصادي جديد، وذكرت الصحيفة أن كازاخستان لن تتأثر بالضغوط الروسية لأنها تمتلك الكثير من حقول النفط، وأراض زراعية شاسعة، ومعادن، وانها وقعت عقودا مع الامارات العربية المتحدة والسعودية لشراء النفط منهما[2].

وأشارت صحيفة البيان الاماراتية بأن كازاخستان قررت تشكيل حرس جمهوري وقوات مسلحة خاصة بها، لا ترتبط بروسيا، وأن الحرس سيتألف من 2500 رجل، وسيكون واجبه حماية النظام الدستوري في البلاد، واعلنت الحكومة الكازاخستانية في الوقت نفسه بأنها ستضع القوات المسلحة السوفيتية المتمركزة على اراضيها تحت امرة كازاخستان والدول المستقلة معاً[3].

وبينت صحيفة الأهرام المصرية أن جمهوريات آسيا الوسطى أصبحت في مرمى السياسة الخارجية للعديد من دول العالم، اذ أخذت دول حلف الاطلسي بالتحرك على حكومات الدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي وتمتلك أسلحة نووية، وبدأت بالضغط عليها من أجل التخلي عن أسلحتها النووية، وانها دعت كازاخستان لحضور اجتماع وزراء دفاع دول حلف الاطلسي في بروكسل[4].

كما أشارت صحيفة الأهرام المصرية إلى أن ايران سعت إلى تعزيز نفوذها السياسي والاقتصادي داخل جمهوريتي أوزبكستان وتركمانستان المتاخمة لحدودها، من خلال دعوتهما للانضمام

1- صحيفة الثورة العراقية، العدد (7817)، 31/12/1991.
2- صحيفة الثورة العراقية، العدد (7805)، 17/12/1991.
3 - صحيفة البيان الاماراتية، العدد (4225)، 12/1/199
4- كما دعت قيادة حلف الاطلسي وزراء دفاع كل من روسيا واوكرانيا وروسيا البيضاء، لمناقشة مصير الاسلحة النووية الموجودة في تلك الجمهوريات، والسعي للوصول إلى اتفاق مع روسيا بصفتها وريث الاتحاد السوفيتي للحد من انتشار الاسلحة النووية. ينظر: صحيفة الاهرام المصرية، العدد (38466)، 1/4/1992.

إلى تكتل اسلامي يشمل ايران وتركيا وباكستان، وأن ايران قد عززت من تعاونها الاقتصادي مع تركمانستان ووقعت معها اتفاقاً يقضي بتزويدها بـ(45) مليون برميل من النفط الخام[1].

وأكدت صحيفة البيان الاماراتية ما ذهبت اليه صحيفة الأهرام المصرية، وقالت بأن ايران تعتزم تعزيز علاقاتها السياسية والاقتصادية مع جمهوريات آسيا الوسطى، ونقلت تصريح رئيس مجلس الشورى الاسلامي الايراني مهدي خروبي (1989–1992) الذي دعا فيه الحكومة الايرانية إلى تعزيز التعاون السياسي والاقتصادي مع جمهوريات آسيا الوسطى، كما دعا إلى تطوير المشروعات الاقتصادية المشتركة مع تلك الجمهوريات، وبينت الصحيفة أن الحكومة الايرانية أكدت أنها تقوم بمد انابيب للنفط والغاز لإيصالها إلى جمهوريات آسيا الوسطى[2].

ومن الاهمية بمكان القول إن جمهوريات آسيا الوسطى قدمت طلباً للانضمام الى منظمة التعاون الاقتصادي (ECO) بعد الاستقلال –التكتل السالف الذكر الذي ذكرته صحيفة الاهرام المصرية– سبقها دعوة من الدول المؤسسة للمنظمة، وانظمت الجمهوريات الخمس للمنظمة عام 1992، كما ان ايران استطاعت إنماء علاقاتها الاقتصادية مع جمهوريات آسيا الوسطى[3].

وذكرت صحيفة الاهرام المصرية أن مصر وتركيا تسعيان إلى تعزيز علاقاتهما السياسية والاقتصادية مع جمهوريات آسيا الوسطى، وأن الحكومتين المصرية والتركية اتفقتا في 7 شباط 1992 على تعزيز علاقتهما مع الجمهوريات الخمس التي استقلت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، والسعي لتعزيز الاستقرار السياسي والاقتصادي لتلك الجمهوريات[4].

الخاتمة

يظهر من خلال استعرض اصداء انفصال جمهوريات آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتي واستقلالها في الصحف العربية،

1– صحيفة الاهرام المصرية، العدد (38410)، 5/2/1992.

2– صحيفة البيان الاماراتية، العدد (4216)، 3/1/1992.

3 – للمزيد عن العلاقات الاقتصادية الايرانية مع جمهوريات آسيا الوسطى ينظر: وجدان كارون فريح التميمي، المصدر السابق، ص–273 332..

4– صحيفة الاهرام المصرية، العدد (38412)، 7/2/1992.

1 – أن أغلب الصحف التي أُعتمدت في الدراسة، أشارت إلى أن انهيار الاتحاد السوفيتي لم يكن يمثل مسألة داخلية بالنسبة للجمهوريات السوفيتية فقط، وانما كان مرتبطا ارتباطاً وثيقاً بالنظام الدولي والمعادلة الدولية، وقد ارجعت بعض الصحف انهيار الاتحاد السوفيتي إلى نظرية المؤامرة، وأن الغرب كانت له مصلحة في ذلك.

2 – أشارت الصحف العربية إلى أن العامل الاقتصادي كان من بين اسباب انهيار الاتحاد السوفيتي الذي تزامن مع ضعف الزعماء الذين تولوا ادارة الحكومة السوفيتية، وفشلهم في الاصلاحات التي قاموا بها، وأدت هذه العوامل إلى ضعف الحزب الشيوعي ونشوب الخلافات بين أعضائه وتخلي الكثير منهم عن عضويتهم الحزبية، وأصبحت هذه النقطة مرتكزاً لتصدع الاتحاد السوفيتي.

3 – اتهم عدد من الصحف العربية الولايات المتحدة وحلفائها وعلى رأسهم الكيان الصهيوني بالمساهمة في انهيار الاتحاد السوفيتي، عبر التعتيم عما يجري في الاتحاد السوفيتي ونقل الأحداث التي تخدم مصالحها، ومضاعفة التشققات بين دول الاتحاد السوفيتي، كما بينت الصحف أن الولايات المتحدة وحليفاتها لم تعترف بدول آسيا الوسطى التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي إلاَّ بعد أن وافقت على شروطها التي وضعتها الولايات المتحدة والدول الاوربية، والتي تجبرها على السير في ركاب سياستها.

4 – بينت متابعات الصحف أن جمهوريات آسيا الوسطى كانت آخر الجمهوريات التي أعلنت الانفصال عن الاتحاد السوفيتي، وظلت متمسكة بالمعاهدة الاتحادية التي تجمعها مع بقية الدول تحت مظلة الاتحاد السوفيتي، وأن انفصالها كان بشكل دستوري، وأنها تعرضت للضغوط الأمريكية والاوربية للتخلي عن اسلحتها النووية التي ورثتها من الاتحاد السوفيتي.

5 – لم تعر الصحف العربية اهمية كبيرة لانفصال جمهوريات آسيا الوسطى واستقلالها، اذ عانت الباحثة من البحث في الكثير من الصحف العربية التي لم تهتم بذلك الحدث التاريخي البارز حينذاك، ربما لابتعاد العرب كل البعد عن الاتحاد السوفيتي وانغلاق الاخير سياسيًا، ما جعل الاخبار تصل من خلال طرق اخرى او بعد مدة من الحدث.

المصادر

أولا: الكتب

1. آرسنت ماندل، الاتحاد السوفيتي في ظل غورباتشيف، ترجمة: بولا الخوري، دار الواحة، بيروت، 1991.
2. اندرو بريستون، مقدمة مختصرة في العلاقات الخارجية الأمريكية، ترجمة: احمد طارق البوهي، المركز العربي لابحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2022.
3. زولتان باراني، الجندي والدولة المتغيرة: بناء جيوش ديمقراطية في أفريقيا وآسيا واوربا والامريكيتين، ترجمة: نبيل الخشن، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، قطر، 2018.
4. طه عبد العليم وآخرون، ندوة انهيار الاتحاد السوفيتي وتأثيراته على الوطن العربي القاهرة 23-22 فبراير 1992، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 1992.
5. وجدان كارون فريح التميمي، سياسة إيران تجاه جمهوريات آسيا الوسطى 1991- 1997، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2023.

1. ثانيًا: الرسائل والاطاريح العلمية

زليخة معلم، دور ميخائيل غورباتشوف في سقوط الاتحاد السوفيتي 1991-1985، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية- جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2015.

2. ثالثًا: البحوث والمجلات

محمد السيد سليم، ملف الانقلاب السوفيتي وتداعياته، مجلة السياسة الدولية، العدد (106)، تشرين الأول 1991

3. رابعًا: الصحف

1. صحيفة الاهالي الاردنية.
2. صحيفة الاهرام المصرية.
3. صحيفة البيان الاماراتية .
4. صحيفة الثورة العراقية.
5. صحيفة الجمهورية العراقية .
6. صحيفة الجمهورية المصرية، العدد (13739)، السنة 38، 10 اغسطس «آب» 1991.
7. صحيفة الدستور الاردنية.
8. صحيفة النهار اللبنانية.

Sources

First: Books

1. Ernest Mandel, The Soviet Union Under Gorbachev, translated by Paula Al-Khoury, Dar Al-Waha, Beirut, 1991.
2. Andrew Preston, A Brief

the Soviet Union 1985-1991, unpublished master's thesis, Faculty of Humanities and Social Sciences - University of Mohamed Khider, Algeria, 2015.

Third: Research and magazines

1. Mohamed El Sayed Salim, The file of the Soviet coup and its repercussions, International Politics Magazine, Issue (106), October 1991.

Fourth: Newspapers

1. Al-Ahali Jordanian newspaper.
2. Al-Ahram Egyptian newspaper.
3. Al-Bayan Emirati newspaper.
4. Al-Thawra Iraqi newspaper.
5. Al-Jumhuriya Iraqi newspaper.
6. Al-Jumhuriya Egyptian newspaper, Issue (13739), Year 38, August 10, 1991.
7. Al-Dustour **Jordanian newspaper**.
8. Al-Nahar Lebanese newspaper.

Introduction to American Foreign Relations, translated by Ahmed Tariq Al-Buhi, Arab Center for Research and Policy Studies, Beirut, 2022.

3. Zoltan Barany, The Soldier and the Changing State: Building Democratic Armies in Africa, Asia, Europe, and the Americas, translated by Nabil Al-Khashen, Arab Center for Research and Policy Studies, Qatar, 2018.
4. Taha Abdel-Alim and others, Symposium on the Collapse of the Soviet Union and its Effects on the Arab World, Cairo, February 22-23, 1992, Center for Political and Strategic Studies, Cairo, 1992.
5. Wajdan Karoun Freih Al-Tamimi, Iran's Policy Towards the Central Asian Republics 1991-1997, 1st ed., Academic Book Center, Amman, 2023.

Second: Theses and Dissertations Scientific

1. **Z**uleikha Moallem, Mikhail Gorbachev's role in the fall of

2. نشأة الكيانات الصليبية في المشرق العربي

(مملكة بيت المقدس والإمارات الأخرى)

The emergence of the Crusader entities in the Arab Levant

(the Kingdom of Jerusalem and other emirates)

بقلم الطالبة: ياسمين وحيد هلال

طالبة دكتوراه في جامعة بيروت العربية/ كلية العلوم الإنسانية

Yasmine Waheed Hilal

PhD student at Beirut Arab University,College of Human Sciences

المشرف الرئيسي: الأستاذ الدكتور علي الحلاق

المشرف المساعد: الأستاذ الدكتور محمد علي القوزي

تاريخ الاستلام:2024/12/20 تاريخ القبول: 2024 /12/27 تاريخ النشر: 2025 /3/25

ملخص

بدأت الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي نتيجة أسباب عدة منها ما هو داخلي كالبحث عن مجالات وأماكن جديدة يتم اقطاعها للنبلاء والبحث عن نصر خارجي في ظل العجز الداخلي ومنها ما هو خارجي كحالة المشرق الإسلامي من تفكك، إلا أن هذه الحرب اخذت طابع الحرب الدينية، كونها تم دعمها من الكنيسة والبابا شخصياً، وقد أسست هذه الحملة الأولى التي توجهت إلى المشرق امارة انطاكيا وكذلك الرها، ولم تقف عند هذا الحد بل توجهوا إلى طرابلس وأسسوا إمارة أخرى، علاوة على مملكة بيت المقدس التي اعتبرت من ابرز مراكز الحكم الصليبي في المشرق.

وكان لهذه الامارات دوراً كبيراً في العلاقات الحضارية بين الطرفين وتأثر كل طرف بالآخر على المستويات المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الصليبيون، المسلمون، الحملة الأولى، مملكة بيت المقدس، الرها.

summary

The Crusades against the Islamic East began as a result of various reasons, some of which were internal, such as the search for new areas and places to be granted to the nobles, and the search for an external victory in light of the internal impotence, and external factors, such as the state of disintegration in the Islamic East. However, this war took on the character of a religious war, as it was supported by the Church and the Pope. The first campaign that headed to the East established the Principality of Antioch and Edessa, and did not stop there, but they headed to Tripoli and established another emirate, in addition to the Kingdom of Jerusalem, which was considered one of the most prominent centers of Crusader rule in the East. These emirates played a major role in the civilizational relations between the two parties, and each party influenced the other on different levels.

Keywords: Crusaders, Muslims, first campaign, Kingdom of Jerusalem, Edessa.

مقدمة

جاءت أولى الحملات الصليبية إلى المشرق كان لابد لها من مكان تستقر فيه وتجعله نقطة انطلاق لها للدخول لباقي المناطق المشرقية، وكانت الوجهة بيت المقدس على وجه الخصوص. نشأت الامارات والممالك الصليبية على إثر الحملة الأولى وسرعان ما تتالت الحملات بهدف توسيع رقعة سيطرة الصليبيين.

نتيجة الحملات التي جاءت إلى المشرق في أوقات متباعدة الأمر الذي جعلها تمتد لفترة طويلة من الزمن نسبياً مما أفسح المجال أمام تكوّن هذه الكيانات وبقاءها لفترة من الزمن، فترة تأسيس الامارات الصليبية ومملكة بيت المقدس، وسأورد تباعاً تأسيس الكيانات الصليبية في المشرق وجاءت بطبيعة الحال نتيجة الحملة الصليبية الأولى. وهنا تتولد الإشكالية التالية. ما هي العوامل التي دفعت الصليبيون إلى التوجه شرقاً والقيام بالحملات الصليبية؟

ومنها تتولد الفرضية التالية: هناك عدة عوامل متداخلة فيما بينها أدت إلى بدء الحروب الصليبية، منها عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية. تفاعلت فيما بينها وأدت في نهاية المطاف إلى ارسال الحملة الأولى، وتتالت الحملات بعدها على مدى قرنين من الزمن.

اما المنهج المتبع فهو المنهج التاريخي في عرض للأحداث التاريخية من مصادرها بما يخدم موضوع الدراسة، والمنهج التحليلي المقارن في العرض للمعلومات التاريخية من مصادرها المختلفة العربية منها والأجنبية التي عرضت لتاريخ الدول التي عاصرت الحروب الصليبية وبخاصة المصادر التي عاصرت أكثر من دولة والمقارنة بينها.

وتم تقسيم البحث إلى مبحثين اثنين الأول الحملة الصليبية وامارتي انطاكيا والرها

والثاني تأسيس مملكة بيت المقدس وامارة طرابلس

بالإضافة إلى خاتمة

1. الحملة الصليبية الأولى488هـ-1095م وإمارتي طرابلس والرها

2.1 الحملة الصليبية الأولى488هـ-1095م

وهي أولى الحملات التي قام بها الصليبيون وكان لها بالغ الأثر في تثبيت نفوذهم في الشرق، مدفوعين بأسباب

شتى تم العرض لها آنفاً، وقد بدأت الحملة بعد دعوة البابا اوربان الثاني لهذه الحروب، وقد قاد هذه الحملة في بادئ الامر بطرس الناسك وسرعان ما قاد الحملة الصليبية ثلة من القادة العسكريين الاوربيين وقد عاثت الحملة فساداً في الشرق، من خلال اعمال السيف في كل مكان حلت به وقد اسفرت الحملة عن تأسيس عدة من الامارات الصليبية في المشرق بالإضافة إلى مملكة بيت المقدس (معلوف، 1998، ص13).

ونتج عن الحملة الصليبية الأولى 492هـ- 1099م قيام مملكة بيت المقدس، وذلك بعد حرب كبيرة قامت بين المسلمين والصليبيين بعد ان استمر الحصار لفترة من الزمن تمكن الصليبيون من دخولها وقتل جل من فيها من المسلمين، وتولى بلدوين مملكة بيت المقدس، وشملت معظم مدن الساحل الشامي، بالإضافة إلى نشوء ثلاث إمارات صليبية أخرى في الشام، وهي الرها وانطاكيا وطرابلس سوف يتم الحديث عنها لاحقاً (زكار، 1995، ج13، ص75).

وقد نشأت مملكة بيت المقدس الصليبية على جثث عشرات آلاف المسلمين، وعمد الصليبيون إلى ترتيب أوضاع المدينة لإعلانها مملكة، وذلك في 24 رجب-492هجرية، الموافق 15 حزيران من العام 1099م (الصوري، 1992، ج2، ص136).

وكان من المقرر أن تكون حكومتها دينية لكن موت مندوب البابا الأسقف (أدهيمار) غيّر الأمور فقامت حكومة مدنية يرأسها (جودفري دي بويون) فكان ذلك أكبر لطمة تتلقاها كنيسة روما وكان لقب جودفري دي بويون (حامي القبر المقدس) (قاسم، 2001، ص123).

نتج قيام ثلاث إمارات صليبية أخرى لكل قائد من قادة الحملة في الرها492هـ/1098م وأنطاكية 492هـ/1098م وطرابلس502هـ-1109م، كما تم الاستيلاء على الأراضي والدور ووزعت على البارونات لتحكم حسب الأقطاع الأوروبي وتحول ملاك الأراضي والسكان إلى عبيد عندهم(باركر، 1967، ص55).

2.2 تأسيس إمارتي أنطاكيا والرها 492هـ/1098م:

1.1.1 تأسيس امارة انطاكيا

وصلت القوات الصليبية بقيادة بوهيمند

النورماني إلى انطاكية يساعده روبرت دوق نورماندیا وريموند الرابع أمير تولوز وبروفانس، واقتحمت الطريق المؤدي إلى القلعة وكانت أغلبية أهالي المدينة من المسيحين مع وجود أقلية من اليونان والارمن والسريان والمسلمين وسيطروا عليها بعد حصار كبير (قاسم، 2001، ص196).

1.1.2 إمارة الرها492هـ/1098م:

تأسست امارة الرها في منطقة أعالي الشام والعراق تشرف على كليهما، وغالبية سكانها من الأرمن والسريان، وقد استغل بلدوين العداء بين السريان والسلاجقة من خلال استمالة السريان إلى جانبه وتأسيس هذه الامارة، وقد قامت بدورٍ مهمٍ في تاريخ المنطقة حيث عمد الأرمن إلى استمالة بلدوين إلى حمايتهم من الاتابكة(عطية، 2010، ص59).

وكانت امارة الرها جزيرة مسيحية أرمنية في محيط إسلامي إلا أنها استقبلت الصليبيين والسبب يعود للأخطار التي كانت تحيط بإمارة الرها المسيحية من محيطها الاسلامي، لذلك عمد القائمون عليها إلى إرسال سفارة إلى بلدوين القائد الصليبي المتمركز على مقربة من الإمارة في مدينة انطاكية، وفعلاً لبى النداء ودخل إمارة الرها في سبيل حمايتها من الاتراك المجاورين وكذلك من الاتابك القادم من الموصل قاصداً انطاكية(الجنزوري، 2001، ص60).

إلا أنه متعارف أنها أول امارة صليبية في المشرق إمارة الرها. وقد شكلت هذه الامارة الدرع الأول لحماية الصليبيين من الهجمات الإسلامية التي تأتي من المشرق. وقد احتل بلدوين مكانة كبيرة نتيجة هذا الدور الذي قام به. الأمر الذي جعله الحامي الأول للجيوش الصليبية من خلال صده للهجمات التي تأتي من المشرق من خلال وجوده في إمارة الرها. (طقوش، 2009، ص 196).

وتجدر الإشارة إلى أن امارة الرها كانت هي من أوسع الإمارات الصليبية في المشرق وكانت أشدها أذى للمسلمين، وذلك بسبب موقعها الحصين بين الشرق والغرب هذا من جهة ومن جهة ثانية كونها قاعدة متقدمة للصليبيين في العمق الإسلامي، فقد كانت هذه الامارة بمثابة خط الدفاع الأول للصليبيين تجاه المسلمين. أي أنها وقفت حجر عثرة في أي جيش إسلامي قادم لمحاربة الصليبيين. على الرغم من الاتساع

الكبير الذي كانت تتميز به إمارة الرها إلا أنها من الناحية العسكرية كانت إمارة ضعيفة وذلك لكونها كانت تتعرض بشكل متكرر للهجمات من الجيوش الاسلامية. (طقوش، 2009، ص197).

استطاع الامير بلدوين أن يحرز تقدماً كبيراً وأن يستولي على كثير من المواقع والمدن والقلاع في شمال الجزيرة، وذلك بفضل مساعدة العنصر الارمني الذي كانت له السيادة في تلك الجهات، والذي نظر إلى تقدم الصليبيين بعين الرضا للخلاص من حكم الاتراك المسلمين (عاشور، 2003، ص133).

نجح تنكرد وبلودين البولوني في استرداد كيليكيا، ويذكر أن هذين الاميرين اشتهرا بأنهما أكثر أمراء الحملة الصليبية الأولى حباً للمخاطرة والمجازفة حتى أن الحرب الصليبية كانت في نظرهما لا تعدو مجرد مغامرة سياسية وحربية لغزو الشرق. على أن تنكرد كان لا يزال حتى ذلك الوقت ممتنعاً عن الاعتراف بالاتفاقية بين الصليبيين والبيزنطيين ومن ثم كان حراً في تصرفاته (عاشور، 2003، ص129).

2. تأسيس مملكة بيت المقدس 493هـ/1099م وامارة طرابلس ودورهما في الشرق

3.1 مملكة المقدس ودورها في الشرق

لم يكن الطريق إلى بيت المقدس سهلاً، فالمدن الساحلية على جانب كبير من التحصين والصليبيون يرغبون الوصول إلى بيت المقدس بسرعة خاصة ان الوقت قد طال بهم منذ ان خرجوا من أوروبا عام 1095م. ولكن الاوضاع السياسية بين القوى الاسلامية في المنطقة ساعدت الصليبين على تخطي هذه الصعاب ودخول بيت المقدس (الحريري، 1916، ص36).

تأسست مملكة بيت المقدس جراء دخول جيوش الحملة الصليبية الأولى وذلك في أواسط العام 489هـ/ 1096م على يد بوهيموند، وذلك بعد ان حاصروها لمدة شهر وأخيراً سقطت المدينة بأيديهم وقد اعملوا القتل في أهلها حتى أن الدماء قد سالت في شوارعها(باركر، 1967، ص36).

استطاع الصليبيون السيطرة على سواحل بلاد الشام واتجهوا نحو الرملة، ومنها إلى بيت المقدس ووصلت الطلائع القوات الصليبية أمام أسوار بيت المقدس

في منتصف رجب 492هـ/ 1099 م، وكان افتخار الدولة قد اتخذ أهبته للدفاع عن المدينة وقام بإجراءات عدة في سبيل ذلك، إذ أمر بطمر ما يقع حول المدينة من مياه الينابيع والعيون وإفسادها وتسميم الآبار والقنوات كما قام سكان المدينة بإخفاء الماشية والقطعان في الكهوف والمغاور، فضلاً عن اهتمام افتخار الدولة بتقوية تحصينات المدينة والتأكد من سلامة أسوارها معتمداً على حامية من الجند المصريين والسودان المسلحين تسليحًا جيدًا، كما قام بملأ خزانات المدينة بكميات كافية من المياه وتوفير المؤن والاقوات داخل المدينة، إضافة إلى إخراج جميع المسيحيين منها اعتقادًا منه بعدم فائدتهم من الناحية القتالية وتوفير المؤن لمن تبقى من السكان المحاصرين.

وقد فرض الصليبيون الحصار على المدينة فور وصولهم وشرع قادة الجيش الصليبي في تضييق الخناق عليها وحاصروها من جميع الجهات. ولقد حدث اثناء حصار الصليبيين للمدينة مقاومة شعبية عنيفة ضدهم من قبل سكانها الذين كانوا على اهبة الاستعداد للدفاع عن مدينتهم بكل قوة وبسالة مستفيدين من جميع وسائل المقاومة وعملوا على تصنيع الآلات كالدعامات الخشبية من الأشجار، وجميع ما يلزم لهذا الأمر فضلاً عن اصدارهم مرسومًا عامًا يلزم جميع المواطنين المساعدة في العمل وبدأوا يقذفون كتلًا مشتعلة غمست في الزيت والشحم على الابراج الصليبية التي صنعوها من اجل الوصول إلى الاسوار والدخول إلى المدينة (امطير، 2010، ص 43).

وعلى الرغم من كل الاجراءات والتدابير التي كان يقوم بها المدافعون عن المدينة وسكان الريف المجاور فان المدينة سقطت بيد الصليبيين في رجب 493هـ/ تموز 1099م أي بعد شهر من محاصرتها وقد اقترف الصليبيون فيها مذبحة مروعة ذهب ضحيتها سكان المدينة ومن حضر للدفاع عنها من المناطق المجاورة. وقد شرع ابن كثير إلى ذلك بقوله: «وركب الناس السيف ولبث الافرنج في البلد أسبوعًا يقتلون فيه المسلمين ولم يراع الصليبيون حرمة الاماكن المقدسة، إذ قتلوا ما يزيد عن 70,000 من المسلمين في المسجد الاقصى المبارك، وكان من بينهم عدد من الائمة والعلماء الزهاد ناهيك عن

عمليات السلب والنهب التي تعرضت لها المدينة»(ابن الاثير، 1963، ج10، ص284). ويذكر المؤرخون الصليبيون المعاصرون أن القتلى في ساحات المسجد الاقصى تناثرت جثثهم في الازقة والطرقات والساحات وكل شوارع المدينة وميادينها(ابن كثير، 1991، ج6، ص655).

اتفق الصليبيون على اختيار جودفري البسيوني حاكماً على القدس وقد اقام نظامًا اقطاعيًا شبيها بما كان سائدا في أوروبا، وأصبح بمقتضى ذلك حائزا لجميع الاراضي الخاضعة للسيطرة الصليبية، لكنه لم يحتفظ لنفسه الا بجزء بسيط من الارض اما بقية الاراضي فقام بمنحها للنبلاء وكبار قادة الجيش وأطلق على الاقطاعات في الشام بالمناطق او النواحي المفصولة وهي عبارة عن مصطلح استقاه اهل القدس والشام من كلمة فرنسية vassal (امطير، 2010، ص 51).

وقد بدأت ملامح النظام الاقطاعي الصليبي تظهر في عهد الملك بالدوين الاول الذي تشكلت حدود المملكة الصليبية بعد سيطرة الصليبيين على مزيد من الأراضي، وأصبحت الارض والعلاقات الشخصية محددة وواضحة بطريقة أفضل، ومن المرجح أن يكون تكامل الأنظمة الصليبية قد أصبح واضحاً وأكثر تبلوراً في جميع المجالات في زمن الملك بالدوين الثاني (الصوري، 1992، ج2، ص139).

والواقع أن القوّة العسكرية الصليبية أسهمت في فتح الباب على مصراعيه امام المستوطنين الصليبيين للاستقرار والتملك في القدس، وقد سارع الصليبيون إلى وضع أياديهم على المنازل واستولوا على كل ما وجدوه فيها. وأصبحت القدس أول مستوطنة خضعت للغزاة بالقوة على أن أعدادهم لم تكن تكفي شارعاً واحداً من شوارع المدينة، وكانت أول مشكله تواجه عمليه الاستيطان الصليبي في القدس هي نقص العنصر البشري الصليبي، ولكن اهتم الملك بالدوين الاول بهذه المشكلة ووجد ضالته في المسيحيين الشرقيين الذين يعيشون فيما وراء نهر الاردن ونجح في نقلهم إلى القدس وقام باستقبالهم مع زوجاتهم وأطفالهم ومنحهم أجزاء من المدينة، ووفر لهم المساكن في الحي اليهودي الذي كان يقطنه اليهود قبل المجزرة التي ارتكبها الصليبيون فيها (باركر، 1967، ص40).

وقد اعتنى ملوك بيت المقدس الصليبيين بأمور التجارة ومنحوا حقوق التصدير والاستيراد للتجار كما كانت سائدة قبيل الغزو الصليبي للمنطقة، وشجعوا التجار على اختلاف فئاتهم ومللهم لإحضار المؤن والمحاصيل دون تحصيل اي ضريبه منهم فكان لهم دور في المشرق وكانت هذه فكره الملك الصليبي التي فعلت الحركة التجارية في القدس والمناطق المجاورة لها واستفاد سكان المستوطنات القريبة من المدينة من تلك السياسة إلى تشجيع التجارة الحرة وكان التجار الصليبيون يفتحون محلاتهم بعد طلوع الفجر بقليل ويستمرون في البيع إلى ما بعد الغروب ويغلقون محلاتهم في فتره الظهيرة لتناول الغذاء ونوم القيلولة، وفي الايام المقدسة لا يفتح التجار الصليبيون محلاتهم، وقد اسهمت المدن التجارية الإيطالية إسهاماً فاعلاً في اقتصاد القدس فقد أدت أساطيلها دوراً مهماً في الابقاء على الطرق البحرية إلى الغرب مفتوحة، وذلك من اجل نقل الحجاج والقوات والعتاد والامدادات إلى الشرق فضلا عن ضرب الحصار حول المدينة الساحلية الشامية والمصرية ومن الجدير بالذكر ان الحملات الصليبية كانت ستستغرق وقتا اطول او ربما لم تنجح على الاطلاق لولا المشاركة الإيطالية الكبيرة في الغزو الصليبي.

وقد احتكر التجار الايطاليون التجارة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية فضلاً عن قيامهم بالأنشطة المصرفية واعمال الشحن والتفريغ البحري، وكانت التجارة رائجة بين الصليبيين والعالم الخارجي بشكل مميز فالقوافل التجارية الإسلامية كانت تعبر البلاد الواقعة تحت سيطرة الصليبيين بالرغم من الصراع والحروب بين المسلمين والصليبيين (محمود، 2008، ص55).

تأثرت منطقة القدس وجوارها بمجموعه من المؤثرات السلبية اهمها الكوارث الطبيعية مثل الهزات الأرضية والآفات التي دمرت المحاصيل في مختلف البلاد الخاضعة للحكم الصليبي، وفي سنة 499هـ/ 1105م ليلة عيد الميلاد وقعت هزة ارضية في القدس وتعرضت بلاد الشام بما فيها مملكة بيت المقدس في زلزال عنيف اصاب كثير من المدن ومات بسببه الكثير، وفي سنة507هـ/ 1114م زحفت أسراب لا تحصى من الجراد ووصلت إلى القدس في الفترة الواقعة بين شهري نيسان وأيار، وأتلفت المحاصيل الزراعية وتسببت بأضرار

بالغة وكارثية عمت جميع أنحاء البلاد الخاضعة للسيطرة الصليبية كما تعرضت مره أخرى لغزو أسراب من الجراد التي انتهمت المحاصيل والكرمة والاشجار على مختلف أشكالها وفي عام 513هـ/ 1120م تعرضت المدينة لهجوم حشود من الفئران مما نجم عنه تدمير المحاصيل الزراعية، مما دفع الملك بلدوين الثاني والبطريرك جيرم وند إلى عقد المحكمة العليا في نابلس لمناقشه الكوارث التي حلت بالمملكة والتي أثرت عليها من جميع النواحي (محمود، 2008، ص178).

كما تأثرت الحياه في القدس بسبب الصراع بين الملك بلدوين الاول والبطريرك دايم بيرت البزي من أجل السيطرة على مقاليد الامور في المملكة، ولم تحصل المؤسسات الكنسية على اي اقطاعات خلال فتره النزاع بين الملك والبطريرك، كما كان هناك العديد من التأثيرات الداخلية التي اثرت بشكل سلبي على سير الحياه في مملكة بيت المقدس، أما فيما يتعلق بالعامل الخارجي وتأثيره السلبي على الحياه في المملكة فيتمثل بالهجمات الإسلامية المتكررة على مملكة بيت المقدس الصليبية، وقد تعرضت معظم الاراضي الزراعية الواقعة في حدود المملكة لهجمات المسلمين مما أثّر سلباً على الاقتصاد الصليبي في المملكة بما فيها القدس والمناطق المحيطة بها كما أن الحياة قد تأثرت سلباً بسبب المنازعات الداخلية التي نشبت بين الصليبيين أنفسهم داخل المملكة حيث تسبب سكان بيت المقدس بكارثة لأنفسهم من خلال أخطائهم الخاصة، وليس من شك في أن انقسام الصليبيين على أنفسهم وتنازعهم قد اثر على الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في القدس والمناطق المحيطة بها وفضلا عن ذلك فان الجشع الاقتصادي الذي اتصفت به المدن الإيطالية كان من بين الاسباب التي أثّرت سلباً على الحياه الاقتصادية في القدس وغيرها من المدن التي خضعت للسيطرة الصليبية (محمود، 2008، ص180).

نرى أن الصليبيين استخدموا كافة الوسائل والاساليب من أجل السيطرة على الاراضي المقدسة وخيراتها لفتره امتدت نحو 88 سنة غير ان سيطرته انتهت بالوحدة التي حققها السلطان صلاح الدين الايوبي، وقد شكلت

علاقة مملكة بيت المقدس بالأمارتين الصليبيتين طرابلس وانطاكيا محورا مهما في السياسة الخارجية للملك بلدوين الرابع مع ملاحظة اختلاف تلك السياسة وتباينها من إمارة إلى أخرى بحسب موقعها وما تشكله من أهمية بالنسبة للمملكة الصليبية، كما يلاحظ ان هذه السياسة كان تصل أحياناً إلى مرحلة التحالف وأحياناً أخرى إلى مرحلة العداء (عوض، 2000، ص122).

أما بالنسبة لعلاقة مملكة بيت المقدس بكونتيه طرابلس فإنه قد بدأ أول الاتصالات بينهما بعد تولي الملك بلدوين الرابع المجزوم الحكم سنة 569هـ/ 1174 م حيث تولى ريموند الثالث كونت طرابلس الوصاية على بلدوين الرابع، وكانت وصاية ريموند على الملك بلدوين الرابع مرتين الاولى امتدت سنتين والثانية امتدت سنتين أيضاً، وكانت هذه هي المرة الاولى التي يتولى فيها أمير إمارة صليبية الوصاية على مملكة صليبية لتجاوزه الأعراف أن يتولى ملوك بيت المقدس الوصاية على بقيه الامارات، ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقة تسير في مسار الريبة والشك والعداء والتناحر المتبادل بين الطرفين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس (محمود، 2008، ص180).

والواقع أن نشوء الامارات الصليبية فضلاً عن بيت المقدس كان له بالغ الأثر في تركيز دعائم الوجود الصليبي في الشام والذي سيمتد على مدى قرنين من الزمن، وقد أدت هذه المراكز الصليبية دوراً في إطالة أمد وجودهم كونها كانت قاعدة ارتكاز لهم في المشرق، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى حفز نشوء المراكز الصليبية الكثير من القادة الاوربيين إلى التوجه إلى المشرق الإسلامي والحصول على جزء من هذه التركة التي تمثلت في ضعف القوى الإسلامية التي كانت تحكم المنطقة علاوة على كونها كانت متناحرة متدابرة فيما بينها، الامر الذي سهل على الصليبيين الاستيلاء على المدن وتأسيس الامارات (ابن القلانسي، 1908، ص171).

وبعدما قتل جودفري دي بوايون عام 494هـ/ 1100م استدعى شقيقه بلدوين الاول من إمارته في الرها بناء على وصية من أخيه جودفري فترك بلدوين الرها بعد أن عيّن عليها أحد أقاربه وهو بلدوين دي بورج فوصل إلى أنطاكيا ومكث بها ثلاثة أيام حيث احتفى به

أهلها تكريماً له لمحاولته إنقاذ بوهمند من الأسر. (الشامي، 1985، ص88).

3.2 تأسيس إمارة طرابلس502هـ-1109م:

لم يحقق ريموند الصنجيلي حلمه في أن يكون أميراً على إحدى الإمارات الصليبية الثلاث التي تم تأسيسها مع أنه بذل جهوداً كبيرة في حصارها، والحرب فتكت بأهلها من المسلمين حتى استولى الصليبيون عليها، ويرجع السبب في ذلك إلى أن تنكريد أمير انطاكيا اتهم ريموند بخيانة الصليبيين في الاناضول والانحياز للامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين الذي اتهم هو الاخر بالخيانة والتخلي عن القوات الصليبية ونقضه الاتفاق الذي أبرمه معها (الشامي، 1985، ص114).

توجه ريموند إلى الشمال ليكون على مقربة من حلفاءه البيزنطيين، وتمكن من احتلال اللاذقية وسلمها إلى الكسيوس، ثم استولى على طرطوس عام495هـ/ 1102م بعد ان هاجم مدينة طرابلس وحقق انتصاراً على قوات فخر الملك بن عمّار لكنه لم يدخل المدينة واكتفى بفرض الجزية عليها، وفي عام497هـ/ 1104م تمكن من احتلال جبيل وبذلك يكون قد شكّل الحدود الأولى لإمارته.

وكانت الخطوة الثانية احتلال مدينة طرابلس التي حاصرها لمدة ست سنوات، مات خلالها ريموند متأثراً بجروح أصيب بها عام498هـ/ 1105م فتولى القيادة ابن خالته وليم جوردان، شدد وليم الحصار على المدينة التي لم تستطيع أن تقاوم القوات الصليبية، فاستسلمت عام502هـ/ 1109م، بشرط تامين أهلها وممتلكاتهم، وعندما دخل الصليبيون احترموا الشروط وحافظوا على الأهالي والممتلكات، وهكذا تأسست الامارة الصليبية الرابعة بعد الرها وانطاكيا وبيت المقدس (الحلاق، 2018، ص158-157).

خاتمة

تعد فترة الحروب الصليبية من أكبر الأزمات في تاريخ المسلمين نتيجة المعارك التي حصلت من كر وفر بين الطرفين، وقد عملت الدول الإسلامية التي عاصرت الصليبيين على القيام بما يلزم تجاه مقارعة العدو الصليبي من خلال الحروب والحملات التي قادها جل القادة المسلمون، أمثال نور الدين الزنكي وصلاح الدين الايوبي واسد الدين شيركوه، وهنا لابد من الإشارة إلى ان الدولة الفاطمية نأت بنفسها عن هذه

الحروب بل عمدت إلى التعاون تارة مع الصليبيين والمهادنة تارة أخرى الامر الذي جعل باقي القوى الإسلامية تعمل على اسقاطهم.

وهنا لابد من القول بأن مسألة تأسيس الإمارات ومملكة بيت المقدس الصليبية على مدى خمسة عشر عاماً كان الغرض منها تثبيت اقدام الصليبيين في المشرق، إلا أن للمسلمين كان رأي آخر من خلال الجهاد والمقارعة التي قام بها صلاح الدين وحرر بيت المقدس في معركة حطين في سنة 566هـ/1187م.

على الرغم من الحملات المتتالية التي قام بها الصليبيون إلا أنهم لم يقدروا على توسيع رقعة ملكهم وسيطرتهم إلا في هذه الامارات والمملكة باستثناء بعض التوسعات المرحلية التي سرعان ما تعود إلى يد المسلمين.

المصادر:

- ابن الاثير الجزري، عز الدين(1963) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق عبد القادر الطليمات، القاهرة: دار الكتب الحديثة. بغداد: دار المثنى.
- ابن القلانسي، أبي يعلي حمزة(1908) تاريخ ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين.
- امطير، محمد سامي أحمد(2010) الحياة الاقتصادية في القدس وجوارها فترة الحروب الصليبية، رسالة ماستر، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- باركر، أرنست(1967) تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد باز العريني، بيروت: دار النهضة العربية.
- الجنزوري، علية عبد السميع(2001) إمارة الرها، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب.
- الحلاق، علي(2018) التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت: دار العلوم العربية.
- الحريري، سيد علي(1916) كتاب الاخبار السنية في تاريخ الحروب الصليبية، ط2، مصر: مطبعة النيل.
- زكار، سهيل(1995) الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج13، دمشق: المؤلف.
- الشامي، أحمد(1985) تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، القاهرة: دار النهضة العربية.
- الصوري، وليم(1992) الحروب الصليبية، ج2، تحقيق: جسن حبشي، القاهرة: الهئية المصرية العامة للكتاب.
- طقوش، محمد سهيل(2009) تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، بيروت: دار النفائس.

- عاشور، سعيد(2003) تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، بيروت: دار النهضة العربية.
- عطية، علي سعود(2010) تاريخ الحروب الصليبية، القاهرة: الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات.
- قاسم، قاسم عبده(2001) الحملة الصليبية الأولى، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- امطير، محمد سامي أحمد(2010) الحياة الاقتصادية في القدس وجوارها فترة الحروب الصليبية، رسالة ماستر، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- عوض، محمد مؤنس(2000) الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12-13 م/6-7هـ.

Sources:

•Ibn al-Atheer al-Jazari, Izz al-Din (1963) The Brilliant History of the Atabeg State, edited by Abdul Qadir al-Tulaimat, Cairo: Dar al-Kutub al-Hadithah. Baghdad: Dar Al-Muthanna.

•Ibn al-Qalansi, Abu Yali Hamza (1908), The History of Ibn al-Qalansi, known as the tail of the History of Damascus, Beirut: Jesuit Fathers Press.

•Emtair, Muhammad Sami Ahmed (2010) Economic Life in Jerusalem and its Neighborhood during the Crusades, Master's Thesis, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

•Parker, Ernest (1967) The History of the Crusades, translated by: Mr. Baz Al-Arini, Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabi.

•Al-Ganzouri, Alia Abdel Samie (2001) The Emirate of Edessa, Cairo: Egyptian General Book Authority.

•Al-Hallaq, Ali (2018) Cultural Interaction between East and West in the Middle Ages, Beirut: Dar Al-Ulum Al-Arabi.

•Zakkar, Suhail (1995) The Comprehensive Encyclopedia on the History of the Crusades, Part 13, Damascus: The Author.

•Al-Shami, Ahmed (1985) The History of Relations between East and West in the Middle Ages, Cairo: Dar Al-Nahda Al-Arabiya.

•Al-Souri, William (1992) The

Crusades, Part 2, edited by: Jassan Habashi, Cairo: Egyptian General Book Authority.

•Taqoush, Muhammad Suhail (2009) The History of the Seljuks in the Levant, Beirut: Dar Al-Nafais.

•Ashour, Saeed (2003) History of Relations between East and West, Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabi.

•Attia, Ali Saud (2010) History of the Crusades, Cairo: United Arab Company for Marketing and Supplies.

•Qasim, Qasim Abdo (2001) The First Crusade, Cairo: Ain for Human and Social Studies and Research.

•Emtair, Muhammad Sami Ahmed (2010) Economic Life in Jerusalem and its Neighborhood during the Crusades, Master's Thesis, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

•Awad, Muhammad Mu'nis (2000) The Crusades and relations between the East and the West in the 12-13 centuries AD / 6-7 AH.

3. التطورات السياسية في الفترة الشهابية (فؤاد شهاب 1958-1964)

The Political Developments During the Shihabist Era

(Fouad Chehab, 1958-1964)

بقلم الدكتورة: رباب يوسف وهبي

باحثة في التاريخ الحديث والمعاصر، وأستاذة في ملاك التعليم الثانوي

Rabab Youssef Wehbe

A researcher in modern and contemporary history and a history teacher in the secondary education system.

تاريخ الاستلام: 2025 /1/24 تاريخ القبول:2025 /2/15 تاريخ النشر: 2025/3/25

مستخلص البحث

يتناول هذا البحث الأوضاع السياسية في لبنان خلال عهد الرئيس فؤاد شهاب (1958-1964)، حيث يشكّل هذا العهد نقطة تحول رئيسية في تاريخ لبنان الحديث. يهدف البحث إلى دراسة السياسات والإصلاحات التي انتهجها شهاب لبناء دولة عصرية تتسم بالعدالة الاجتماعية والمواطنة، مع تسليط الضوء على الظروف الداخلية والإقليمية التي أثرت على فترة حكمه. يناقش البحث «الشهابية» كمفهوم سياسي وإصلاحي، ويركز على تحليل نجاحاتها وتحدياتها، بما في ذلك الإصلاح الإداري، والعسكري، العلاقات الطائفية، والدور الإقليمي للبنان. تقدم الدراسة رؤية تحليلية متوازنة لهذه المرحلة التاريخية المهمة، بهدف استنتاج الدروس والعبر التي يمكن تطبيقها في سياقات سياسية مشابهة.

الكلمات المفتاحية: الشهابية، الإصلاحات الإدارية في لبنان، بعثة إيرفد، الطائفية في لبنان، الأزمات الإقليمية، الحرب الباردة في الشرق الأوسط، التوازن السياسي في لبنان.

Abstract

This study examines the political conditions in Lebanon during the presidency of Fouad Chehab (1958–1964), a pivotal era in modern Lebanese history. The research aims to analyze Chehab's policies and reforms to establish a modern state characterized by social justice and citizenship, while highlighting the internal and regional factors influencing his tenure. The study explores "Chehabism" as a political and reformist concept, focusing on its successes and challenges, including administrative reforms, sectarian relations, and Lebanon's regional role. By providing a balanced analytical perspective on this significant historical period, the study seeks to draw lessons and insights applicable to similar political contexts.

Keyword:Chehabism,

Administrative Reforms in Lebanon, IRFED Mission, Sectarianism in Lebanon, Regional Crises, Cold War in the Middle East, Political Balance in Lebanon

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في كونه يتناول فترة محورية في تاريخ لبنان الحديث، وهي عهد الرئيس فؤاد شهاب (1958–1964)، الذي يُعد نموذجًا مميزًا في إدارة الأزمات وإرساء قواعد الدولة الحديثة. ومن خلال دراسة هذه الفترة، يمكن تسليط الضوء على عدد من المحاور ذات الأهمية العلمية والتاريخية، منها:

1. التحليل التاريخي والسياسي :يتيح البحث دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدها لبنان خلال تلك الفترة، مما يساعد على فهم التحولات التي ساهمت في بناء الدولة اللبنانية الحديثة.
2. التجربة الشهابية كدراسة حالة :تعتبر الشهابية نموذجًا فريدًا للإصلاح الإداري والمؤسسي، حيث شكلت محاولة لإحداث توازن بين القوى الطائفية والسياسية، وهو ما يوفر مادة غنية للتحليل العلمي في مجالات العلوم السياسية والإدارة العامة.
3. إثراء الدراسات الأكاديمية :يساهم البحث في توثيق وتحليل السياسات الشهابية، مما يثري المكتبة الأكاديمية العربية بمادة مرجعية يمكن أن تكون أساسًا لدراسات مستقبلية عن الإصلاح السياسي والاجتماعي في المجتمعات المتعددة الطوائف.
4. العبر والدروس المستفادة :يُقدم البحث فرصة لاستنتاج العبر من التجربة الشهابية في التعامل مع الانقسامات الداخلية والتحديات الإقليمية، وهو ما يمكن تطبيقه في السياقات السياسية الراهنة التي تتسم بالتعقيد والتعددية.
5. التداخل الإقليمي والدولي :يُبرز البحث تأثير العوامل الإقليمية والدولية على السياسة اللبنانية خلال تلك الفترة، مما يساعد على فهم أعمق لتأثير القوى الخارجية على الاستقرار الداخلي.
4. من خلال هذه النقاط، يُقدم البحث قيمة علمية في فهم تاريخ لبنان السياسي وتحليل تجربته في بناء الدولة ضمن سياق إقليمي ودولي مضطرب.

المقدمة:

شهد لبنان في النصف الثاني من القرن العشرين تحولات جذرية على مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكان لعهد الرئيس فؤاد شهاب (1958–1964) دور بارز في تشكيل معالم الدولة الحديثة. فقد جاء

هذا العهد في سياقٍ مضطرب تميز بصراعات إقليمية ودولية، وانعكاسات داخلية للثورة العربية وتغير موازين القوى في الشرق الأوسط.

تولى الرئيس فؤاد شهاب السلطة بعد أزمة سياسية حادة عام 1958، ترافقت مع تدخل خارجي وتوتر داخلي، مما جعله أمام تحديات كبيرة لإرساء الاستقرار السياسي والاجتماعي في بلدٍ يعاني من انقسامات طائفية وتجاذبات إقليمية.

تميزت «الشهابية» كمشروع سياسي وإصلاحي بنهجها الذي سعى إلى بناء دولة عصرية ذات طابع مؤسسي، معتمدة على رؤية تجمع بين تحقيق العدالة الاجتماعية وتعزيز مفهوم المواطنة. وقد انعكس ذلك في مبادرات متعددة طالت الإصلاح الإداري، والتنمية الاجتماعية، والعلاقة بين الدولة والطوائف، وهو ما شكّل تجربة فريدة تستحق الدراسة والتحليل(كفوري، 2012، ص12)

في هذا البحث، سنسلط الضوء على أبرز معالم تلك الفترة، ونستعرض الأوضاع السياسية التي واكبت حكم الرئيس شهاب، مع التركيز على العوامل التي أثرت على سياساته الداخلية والخارجية، وساهمت في تشكيل إرثه السياسي الذي لا يزال يثير اهتمام الباحثين حتى اليوم.

فؤاد عبد الله شهاب: الرئيس اللبناني المصلح والقائد العسكري

فؤاد عبد الله شهاب (19 مارس 1902 – 25 أبريل 1973) هو رئيس الجمهورية اللبنانية في الفترة من 23 سبتمبر 1958 إلى 22 سبتمبر 1964، وقائد الجيش اللبناني سابقاً. وُلد في بلدة غزير في جبل لبنان لعائلة مارونية نبيلة، وكان الابن البكر للأمير عبد الله شهاب. واجهت عائلته صعوبات مالية بعد وفاة والده، مما دفع فؤاد إلى العمل في سن مبكرة لدعم أسرته.

تخرج فؤاد من المدرسة الحربية في حمص عام 1923، ليصبح أول قائد للجيش اللبناني في 1 أغسطس 1945. ثم شغل منصب وزير الدفاع في حكومة لبنان بين 18 أكتوبر 1956 و1 مارس 1957. في أعقاب أحداث 1958، انتخب رئيسًا للجمهورية بعد استقالة الرئيس كميل شمعون. عرف نفسه كمرشح توافقي تحت شعار «لا غالب ولا مغلوب»، وأطلق مجموعة من الإصلاحات الإدارية وسعى لتحسين العلاقات مع الدول العربية. رغم ذلك، تعرض لانتقادات بسبب أسلوب حكمه العسكري.

في عام 1961، تعرض نظامه لمحاولة انقلابية فاشلة من قبل الحزب السوري القومي الاجتماعي. تبنى شهاب نهجًا إصلاحيًا أطلق عليه «الشهابية»، وركز على الحفاظ على الاستقرار الداخلي والعلاقات الخارجية. قبل رئاسته، تولى فؤاد شهاب رئاسة حكومة عسكرية في 1952 بعد استقالة الرئيس بشارة الخوري، وأسهم في إجراء الانتخابات التي أنتجت انتخاب كميل شمعون رئيسًا للجمهورية (ناصيف، 2008،ص4).

عُرف شهاب بشخصيته الصارمة، ورغم انتقاد البعض لحكمه الاستبدادي، فإنه ترك بصمة كبيرة في تاريخ لبنان. توفي في 25 أبريل 1973 بعد مسيرة طويلة في القيادة العسكرية والسياسية.

الأزمة السياسية في لبنان قبل تولي فؤاد شهاب الرئاسة

شهدت الفترة التي سبقت عهد الرئيس فؤاد شهاب (1958–1964) تطورات سياسية واجتماعية متسارعة أسهمت في تشكيل الأزمات التي عانى منها لبنان في ذلك الوقت. ومن أبرز المحطات التي أثرت في المسار السياسي اللبناني كان عهد الرئيس كميل شمعون، الذي حملت سياسته الداخلية والخارجية آثارًا كبيرة على الاستقرار الوطني.

1.1 الأوضاع السياسية والاجتماعية في عهد كميل شمعون

1. الانتخابات النيابية لعام 1957 والصراعات الطائفية

شكلت الانتخابات النيابية لعام 1957 نقطة تحول في الحياة السياسية اللبنانية. عمل الرئيس كميل شمعون على تعزيز نفوذه من خلال إجراء تعديلات انتخابية تهدف إلى تقليص تمثيل المعارضة في البرلمان. هذا النهج أثار حفيظة عدد كبير من القوى السياسية المعارضة التي اعتبرت أن الانتخابات كانت وسيلة لإقصائها عن المشاركة الفعلية في السلطة (جنبلاط، 1978، ص 192 وما بعدها).

أدت هذه الانتخابات إلى تصاعد حدة الصراعات الطائفية، إذ شعر المسلمون بأن سياسات شمعون كانت منحازة لصالح الطائفة المسيحية المارونية، مما عمق الانقسامات الطائفية وخلق بيئة مشحونة بالتوتر. كانت هذه الانقسامات مقدمة للاضطرابات التي شهدها لبنان لاحقًا.

2. الانحياز للأحلاف الغربية وتأثيره على الداخل اللبناني

في إطار الحرب الباردة، تبنى الرئيس كميل شمعون سياسة خارجية ممالئة للغرب، حيث انضم إلى مشروع «مبدأ أيزنهاور» عام 1957 الذي يهدف إلى الحد من النفوذ السوفييتي في الشرق الأوسط. كما كان شمعون مؤيدًا لحلف بغداد، وهو ما أثار غضب المعارضة اللبنانية التي كانت ترى في هذه السياسات تهديدًا للسيادة اللبنانية وانحيازًا ضد التيار القومي العربي الذي مثله الرئيس المصري جمال عبد الناصر (أبو خاطر، د.ت، ص 38).

أدت هذه السياسات إلى تعزيز المعارضة الداخلية، حيث انقسم الشارع اللبناني بين مؤيد لشمعون ومناصر لجمال عبد الناصر. وتجلت هذه الانقسامات بشكل واضح في التوترات السياسية والاجتماعية التي كانت مقدمة لأحداث ثورة 1958.

1.2 أحداث ثورة 1958: الأسباب والتداعيات

اغتيال نسيب المتني ودور المعارضة

كان اغتيال الصحافي نسيب المتني في مايو 1958 شرارة الأحداث التي أشعلت فتيل الثورة. شكل هذا الحادث نقطة تحول في العلاقة بين المعارضة والحكومة، حيث اعتبرته المعارضة رسالة واضحة لقمع الأصوات المناهضة للحكم. دفعت هذه الحادثة إلى تصعيد الاحتجاجات الشعبية التي قادتها شخصيات معارضة بارزة مثل كمال جنبلاط وصائب سلام (تويني، 1995، ص 397 – 398).

التدخل الأمريكي في لبنان ونتائج الثورة

مع تفاقم الأوضاع، طلب الرئيس كميل شمعون تدخل القوات الأمريكية لدعم حكومته بموجب «مبدأ أيزنهاور». في يوليو 1958، وصلت قوات المارينز إلى بيروت لتهدئة الأوضاع ومنع تفاقم الصراع إلى حرب أهلية شاملة. أدى التدخل الأمريكي إلى إنهاء الثورة بشكل مؤقت، لكن المعارضة تمكنت من فرض شروطها، ومن أبرزها رفض تجديد ولاية شمعون وانتخاب رئيس جديد (شاهين، 2003، ص 75).

ج – صعود فؤاد شهاب إلى السلطة

1. دوره كقائد للجيش في تهدئة الأوضاع

لعب اللواء فؤاد شهاب، قائد الجيش اللبناني آنذاك، دورًا حاسمًا في احتواء الأزمة. تبنى شهاب موقف الحياد

ورفض زج الجيش في الصراعات الطائفية والسياسية، مما أكسبه احترام مختلف الأطراف. كانت قراراته الحكيمة أساسًا لتجنب انقسام الجيش وضمان بقائه مؤسسة وطنية جامعة (البيانات الوزارية اللبنانية ومناقشتها في مجلس النواب 1926 – 1984)

2. انتخابه رئيسًا كحل توافقي للأزمة

في ظل التوترات الإقليمية والمحلية، تم اختيار فؤاد شهاب رئيسًا للجمهورية عام 1958 كحل توافقي. حظي انتخابه بدعم داخلي ودولي، حيث اعتُبر الشخصية القادرة على تهدئة النفوس وإعادة بناء الدولة اللبنانية على أسس أكثر عدالة ومساواة (شاهين، 2003، ص78).

– الإصلاحات السياسية والإدارية في عهد شهاب

أ – الإصلاحات السياسي

1. إعادة بناء مؤسسات الدولة

في بداية عهده، أدرك فؤاد شهاب أن ضعف المؤسسات الإدارية هو أحد الأسباب الرئيسية للأزمات السياسية والاجتماعية في لبنان. لذلك، ركز على إعادة بناء الجهاز الإداري للدولة ليكون أكثر كفاءة وحيادية، بعيدًا عن الضغوط الطائفية والسياسية (جريدة الأنباءالسبت 21 تشرين الأول/ أكتوبر 1961، ص 5).

إنشاء مجلس الخدمة المدنية:

كان الهدف الأساسي من إنشاء هذا المجلس هو تنظيم عملية التوظيف في القطاع العام وجعلها قائمة على الكفاءة والجدارة بدلاً من المحسوبيات الطائفية. أُقرَّت قوانين صارمة تلزم المرشحين للوظائف بالخضوع لاختبارات شفافة، ما أسهم في تحسين أداء المؤسسات الحكومية (الديري ، 1970، ص 28)

3. التفتيش المركزي:

شُكِّل التفتيش المركزي كجهاز رقابي لضمان الشفافية في عمل الوزارات والمؤسسات العامة. هذا الجهاز ساعد في الحد من الفساد المستشري، حيث أصبح من الممكن محاسبة المسؤولين عن أي تجاوزات(الديري ، 1970، ص 29) .

ب_ السياسة الاقتصادية والاجتماعية

1. إصلاح توزيع الأراضي:

اعتمد شهاب على سياسات تهدف إلى تقليص الفجوة بين ملاك الأراضي الأثرياء والفلاحين الفقراء. ورغم معارضة الطبقة الإقطاعية، تمكن من تمرير

قوانين لتوزيع الأراضي الزراعية بشكل أكثر عدالة.

2. **العدالة الاجتماعية:**

ركز شهاب على تحسين مستوى التعليم والصحة، حيث أُنشئت مدارس ومستشفيات في المناطق المحرومة. كما تم تقديم قروض ميسرة للمزارعين لدعم الإنتاج الزراعي.

واجهت هذه الإصلاحات تحديات كبيرة من القوى التقليدية التي شعرت بتهديد مباشر لمصالحها، إن الصراع بين الإصلاحات الشهابية والقوى التقليدية يعكس صراعًا أعمق بين مفهومي الدولة الحديثة ودولة الطوائف. لقد حاول شهاب تجاوز هذا التناقض من خلال بناء مؤسسات قوية ومستقلة، إلا أن مقاومة القوى التقليدية والطائفية ظلت تحديًا مستمرًا. أما المحاولات الانقلابية، فقد أظهرت مدى تعقيد البيئة السياسية والأمنية في لبنان، وحاجة الإصلاحات إلى توازن دقيق بين الديناميات الداخلية والتأثيرات الخارجية (الديري ، 1970، ص34).

مقارنة بين سياسات شهاب وشمعون:

فؤاد شهاب	كميل شمعون	المجال
سياسة توازن واستقلالية	انحياز للأحلاف الغربية	السياسة الخارجية
إصلاحات شاملة ومؤسسية	غياب إصلاحات واضحة	الإصلاح الإداري
تقليص الفجوة الاجتماعية	تركيز على النخبة	العدالة الاجتماعية

3-التحديات والمعوقات أمام الإصلاحات الشهابية

أ – الصراع مع القوى التقليدية والطائفية

شهد عهد فؤاد شهاب مقاومة شديدة من القوى التقليدية والطائفية التي شعرت بأن الإصلاحات التي يقوم بها تهدد نفوذها. كان نظام الزعامات التقليدية والطائفية متجذرًا في البنية السياسية اللبنانية، حيث اعتمد العديد من القادة على نفوذهم داخل طوائفهم لتأمين مواقعهم السياسية والاجتماعية.

رأى هؤلاء الزعماء في خطوات شهاب لتقوية الدولة المركزية ومحاولة تقليص تأثير الطائفية تهديدًا مباشرًا لمصالحهم. أدى ذلك إلى ظهور معارضة قوية للإصلاحات، شملت رفض محاولات

تحسين كفاءة الإدارة العامة ومقاومة سياسات إعادة توزيع الموارد. كانت هذه المعارضة واضحة بشكل خاص في المناطق التي كانت تخضع لنفوذ زعماء تقليديين، حيث عمدوا إلى تعطيل المشاريع التنموية والعرقلة الإدارية.(أبو صالح، 1998، ص 40 وما بعدها).

ب – الانقلابات والمحاولات المناهضة

بالإضافة إلى التحديات الداخلية، واجه شهاب محاولات انقلابية كانت تهدف إلى زعزعة استقرار الحكم. من أبرز هذه المحاولات انقلاب الحزب السوري القومي الاجتماعي عام 1961، الذي استهدف النظام اللبناني وشكل تهديدًا مباشرًا لمشروع شهاب الإصلاحي (ربّاط، 2002، ص 871).

على الرغم من فشل المحاولة، إلا أنها أبرزت هشاشة النظام السياسي اللبناني والتحديات الأمنية التي واجهها شهاب في سبيل تعزيز الاستقرار. كانت المحاولة الانقلابية دليلًا على أن الإصلاحات لم تكن محصنة من التدخلات الخارجية أو الانقسامات الداخلية.

السياسة الخارجية في عهد شهاب

أ – العلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة

شكلت العلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة (الاتحاد بين مصر وسوريا) تحديًا كبيرًا للرئيس فؤاد شهاب. أدرك شهاب أهمية التوازن في التعامل مع مصر بقيادة جمال عبد الناصر، الذي كان يتمتع بشعبية كبيرة في لبنان، خاصة بين الطوائف الإسلامية. سعى شهاب إلى تبني سياسة الحياد الإيجابي، حيث دعم القضايا العربية المشتركة دون الانحياز الكامل إلى أي طرف.

كان لقاء شهاب بعبد الناصر عام 1959 على الحدود اللبنانية–السورية محطة مهمة في تاريخ العلاقات بين البلدين. ساهم هذا اللقاء في تهدئة التوترات الإقليمية وتعزيز الاستقرار الداخلي، حيث أكد شهاب على احترام السيادة اللبنانية مقابل عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبنان. كان هذا التفاهم أساسًا لتوطيد العلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة خلال تلك الفترة (الجسر،1998، ص 405 – 406)

ب – **موقف لبنان من الأزمات الإقليمية**

اتسمت سياسة شهاب الخارجية بالحذر والمرونة في التعامل مع الأزمات الإقليمية. في ظل صعود تيارات القومية العربية والانقسامات السياسية في المنطقة، حرص شهاب على تبني موقف متزن يحمي لبنان من الانزلاق في صراعات خارجية.

على سبيل المثال، حافظ شهاب على علاقات جيدة مع كل من الدول الغربية والجمهورية العربية المتحدة. هذا التوازن سمح للبنان بلعب دور الوسيط في بعض القضايا الإقليمية دون أن يصبح طرفًا في الصراعات. كما تجنب الانخراط في تحالفات عسكرية أو سياسية قد تؤثر على استقرار لبنان الداخلي (أبو خاطر، د. ت، ص76)

4 – الإرث السياسي للرئيس فؤاد شهاب

أ – تقييم الإصلاحات الشهابية

كانت الإصلاحات التي قادها الرئيس فؤاد شهاب بمثابة نقطة تحول في تاريخ الدولة اللبنانية، حيث وضعت الأسس لبناء مؤسسات حديثة تسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة. وعلى الرغم من التحديات، تمكن شهاب من تنفيذ إصلاحات بنيوية طالت قطاعات متعددة، مثل القضاء والتعليم والإدارة العامة.

ركزت هذه الإصلاحات على تقليص الفوارق الاجتماعية وإعادة توزيع الموارد بشكل أكثر إنصافًا. كما ساهمت في تعزيز ثقافة القانون والنزاهة في الإدارة العامة. ومع ذلك، فإن نجاح هذه الإصلاحات لم يكن دائمًا بالشكل المأمول بسبب مقاومة القوى التقليدية وصعوبة تحقيق التوافق الوطني الكامل (كبّارة، 1993، ص 695).

ب– أثر الشهابية على السياسة اللبنانية بعد 1964

استمر تأثير الشهابية على السياسة اللبنانية حتى بعد انتهاء ولاية فؤاد شهاب. فقد ألهمت أفكاره وإصلاحاته جيلًا جديدًا من السياسيين الذين حاولوا متابعة النهج نفسه في بناء الدولة وتعزيز الاستقرار. كما أثرت الشهابية في النقاشات السياسية حول دور الدولة في تحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية(كبّارة، 1993، ص 697).

لكن مع مرور الوقت، تراجعت بعض المكتسبات التي حققتها الشهابية بسبب تصاعد نفوذ الزعامات الطائفية وضعف الالتزام بالإصلاحات. ورغم ذلك، لا تزال تجربة فؤاد شهاب تُعتبر نموذجًا للإصلاح والقيادة الحكيمة في ظروف معقدة ومليئة بالتحديات.

5 – الجيش اللبناني قبل شهاب

قبل تولي فؤاد شهاب الرئاسة، كان الجيش اللبناني يفتقر إلى التنظيم الفعّال والدور الوطني الموحد. تأسس الجيش اللبناني رسميًا في عام 1945 بعد جلاء القوات الفرنسية، ولكنه ظل يعاني من ضعف التجهيزات، التدخلات السياسية، والانقسامات الطائفية التي حالت دون تطويره كمؤسسة وطنية قادرة على حماية البلاد.

6 – دور فؤاد شهاب في تطوير الجيش

فؤاد شهاب، الذي شغل منصب قائد الجيش اللبناني منذ عام 1945 وحتى انتخابه رئيسًا للجمهورية عام 1958، كان له دور محوري في بناء الجيش اللبناني كأحد أعمدة الدولة الحديثة. ركز على تعزيز هيكلية الجيش وإبعاده عن التجاذبات الطائفية والسياسية. أبرز إنجازاته في هذا المجال شملت:

إعادة هيكلة الجيش:

1. وضع شهاب خططًا لإعادة تنظيم الجيش من خلال تشكيل وحدات عسكرية متوازنة تعكس التنوع الطائفي اللبناني، مما ساعد في تعزيز الهوية الوطنية للجيش.
2. أُعيد توزيع القيادات العسكرية على أسس الكفاءة بدلاً من المحاصصة الطائفية.

تعزيز التدريب والتسليح:

1. عمل شهاب على تحسين مستوى التدريب العسكري من خلال إرسال بعثات من الضباط اللبنانيين إلى دول أجنبية مثل فرنسا والولايات المتحدة.

2. تم تحديث المعدات العسكرية للجيش، حيث سعى شهاب للحصول على دعم خارجي لتزويد الجيش بأسلحة حديثة وتقنيات متطورة.

الحياد العسكري:

أصر شهاب على إبقاء الجيش خارج الصراعات السياسية، خاصة خلال الأزمات الداخلية مثل ثورة 1958. رفض شهاب استخدام الجيش كأداة قمع ضد المعارضة، مما عزز مكانته كقائد وطني يتمتع بثقة مختلف الأطراف.

إنشاء الأكاديمية العسكرية:

في عهده، أُنشئت الأكاديمية العسكرية في لبنان لتكون مركزًا لتدريب الضباط وتأهيلهم. ركزت الأكاديمية على تعزيز روح الانضباط والاحترافية لدى الضباط، بعيدًا عن الانتماءات الطائفية(الجسر، 1998، ص40).

7 – الجيش خلال رئاسة شهاب (1958–1964)

بعد انتخابه رئيسًا، واصل شهاب دعمه للجيش كأداة أساسية لحفظ الاستقرار الداخلي. أهم ما ميّز هذه الفترة:

دور الجيش في استقرار البلاد:

1.2.1 خلال أزمة 1958، لعب الجيش دورًا حاسمًا في منع تفاقم الصراعات الطائفية. تبنى شهاب سياسة عدم الانحياز لأي طرف، مما ساعد على تهدئة الأوضاع.

1.2.2 حرص على أن يكون الجيش ضامنًا للأمن الوطني وليس أداةً بيد السلطة السياسية.

تعزيز دور الجيش في التنمية:

وجه شهاب الجيش للقيام بدور تنموي في المناطق النائية، مثل بناء الطرق والجسور، مما عزز من ارتباط الجيش بالمجتمع اللبناني.

العلاقة مع القوى الإقليمية والدولية:

استفاد شهاب من الدعم الأمريكي في إطار مبدأ أيزنهاور لتطوير الجيش اللبناني، دون أن يسمح بتحويله إلى أداة تخدم المصالح الأجنبية (كفوري، 2012، **ص 464**).

8 – التحديات التي واجهها الجيش في عهد شهاب

رغم الإنجازات، واجه الجيش اللبناني تحديات كبيرة في تلك الفترة:

التدخلات السياسية:

ظل بعض القادة السياسيين يحاولون التأثير على الجيش لتحقيق مصالحهم الخاصة، ما شكّل تهديدًا لوحدته.

الانقسامات الطائفية:

على الرغم من جهود شهاب لتوحيد الجيش، إلا أن الانقسامات الطائفية ظلت تؤثر على بنيته بشكل غير مباشر.

الموارد المحدودة:

ضعف التمويل مقارنة بجيوش الدول المجاورة جعل تطوير الجيش عملية بطيئة نسبيًا.

الخاتمة

إن عهد الرئيس فؤاد شهاب يشكل محطة محورية في التاريخ السياسي اللبناني، حيث كان جهده الإصلاحي محاولة جادة لتأسيس دولة مؤسسات تسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية وتعزيز المواطنة في ظل نظام سياسي واجتماعي مليء بالتعقيدات الطائفية والإقليمية. كان لتوجهه المتوازن وحياديته في إدارة الأزمات دور بارز في تهدئة الأوضاع السياسية والاجتماعية، كما أن رؤيته الإصلاحية عكست إرادة لبناء دولة قوية وقادرة على مواجهة التحديات.

لقد أظهرت سياسات شهاب مدى الحاجة إلى تحديث مؤسسات الدولة وتعزيز الكفاءة والشفافية في إدارتها، وهو ما تحقق جزئيًا من خلال إصلاحات إدارية بارزة مثل إنشاء مجلس الخدمة المدنية والتفتيش المركزي. ومع ذلك، واجهت هذه الإصلاحات عقبات كبيرة نتيجة مقاومة القوى التقليدية والطائفية، مما أبرز التحديات المستمرة أمام مشاريع الإصلاح في لبنان.

على الصعيد الخارجي، نجح شهاب في تبني سياسة متوازنة حافظت على استقرار لبنان وسط صراعات إقليمية ودولية محتدمة. أما داخليًا، فقد أسهمت جهوده في تقليص الفجوة الاجتماعية، لا سيما من خلال مشروعات تنموية شملت تحسين البنية التحتية والتعليم والصحة.

المصادر والمراجع

1. أبو صالح، عباس: الأزمة اللبنانية عام 1958، في ضوء وثائق يكشف عنها لأول مرة، الدار العربية للمنشورات، بيروت، 1998.
2. أبو خاطر، جوزف: لقاءات جمال عبد الناصر – في صميم الأحداث (مذكرات)، تقديم شارل حلو، دار النهار للنشر ش م ل، بيروت (لبنان) دون تاريخ.
3. الأنباء، جريدة الحزب التقدمي الاشتراكي، بيروت، السبت 21 تشرين الأول/ أكتوبر 1961.
4. البيانات الوزارية اللبنانية ومناقشتها في مجلس النواب 1926 – 1984، المجلد الأول 1926 – 1966، إعداد وتحقيق يوسف قزما خوري، مؤسسة الدراسات اللبنانية.
5. تويني، غسان: سر المهنة وأسرار أخرى (المجلّد المصوّر)، دار النهار للنشر، بيروت، 1995.
6. الجسر، باسم: فؤاد شهاب، مؤسسة فؤاد شهاب، 1998، (دون مكان).
7. جنبلاط، كمال: حقيقة الثورة اللبنانية، لجنة

تراث الشهيد، 16 آذار 1978.

8. الديري، الياس: فؤاد شهاب السابق الباقي العائد، ملف النهار 1970 رقم (1) (34 صفحة).

9. ربّاط، أدمون: التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري، ج 2، تعريب حسن قبيسي، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 2002.

10. شاهين، سمير: سنوات الجمر، ذكريات من الصحافة والسياسة مطابع المتوسط، بيروت، 2003.

11. كبّارة، نواف: الشهابية مشروع بناء الدولة في لبنان 1958 - 1970 في كتاب: لبنان في تاريخه وتراثه بإشراف عادل إسماعيل، مركز الحريري الثقافي، أبحاث وتوثيق، ج 2، بيروت، 1993.

12. كفوري، توفيق أنيس: الشهابية وسياسة المواقف، سنة 1980، دون مكان.

Sources and References:

1. -Abu Saleh, Abbas: The Lebanese Crisis of 1958, in Light of Documents Revealed for the First Time, Dar Al-Arabiya for Publishing, Beirut, 1998.

2. -Abu Khater, Joseph: Gamal Abdel Nasser's Meetings – In the Heart of Events (Memoirs), Introduction by Charles Helou, Dar Al-Nahar for Publishing S.A.L., Beirut (Lebanon), undated.

3. -Al-Anbaa, Progressive Socialist Party Newspaper, Beirut, Saturday, October 21, 1961.

4. -Lebanese Ministerial Statements and Their Discussion in the Parliament 1926-1984, Volume One 1926-1966, Prepared and Investigated by Youssef Qazma Khoury, Lebanese Studies Foundation.

5. -Tueni, Ghassan: The Secret of the Profession and Other Secrets (Illustrated Volume), Dar Al-Nahar for Publishing, Beirut, 1995.

6. -Al-Jisr, Bassem: Fouad Chehab, Fouad Chehab Foundation, 1998, (no place).

7. -Jumblatt, Kamal: The Truth of the Lebanese Revolution, Martyr's Heritage Committee, March 16, 1978.

8. -Al-Deiri, Elias: Fouad Chehab, the former, the remaining, the

returning, Al-Nahar file 1970 No. (1) (34 pages).

.9 -Rabbat, Edmond: The Historical Formation of Political and Constitutional Lebanon, Vol. 2, translated by Hassan Qabisi, Lebanese University Publications, Beirut, 2002.

10 .- Shahin, Samir: Years of Embers, Memories of Journalism and Politics, Mediterranean Press, Beirut, 2003.

11 .- Kabara, Nawaf: Chehabism, the State-Building Project in Lebanon 1958-1970 in the book: Lebanon in its History and Heritage, supervised by Adel Ismail, Hariri Cultural Center, Research and Documentation, Vol. 2, Beirut, 1993.

12 .- Kfoury, Tawfiq Anis: Chehabism and the Politics of Positions, 1980, no place.

باب اللغة العربية وآدابها:

1.لحظات التجلي في قصيدة تمهل قليلا: للشاعرة حياة الرايس من تونس (بوح معلّق)

Moments of transfiguration in a little slow down For the poet Hayat Rais from Tunisia

Hanging revelation

بقلم الدكتورة: رفيقة عبد الله بن رجب

أستاذ مشارك الجامعة الأهلية، المنامة/ مملكة البحرين/ قسم اللغة العربية (البلاغة)

Dr. Rafeeqa Abdulla Bin Rajab

Associate Professor, Ahlia University, Manama, Kingdom of Bahrain, Department of Arabic Language (Rhetoric)

تاريخ الاستلام: 7/ 2/ 2025 تاريخ القبول:17/ 2/ 2025 تاريخ النشر:25/ 3 /2025

الملخص باللغة العربية

القصيدة رؤيا لمحاولة إحياء المشهد الشعري تنظيرا وتطبيقا وهذا يكون واضحا لدى الناقد حين قراءة النص خاصة بعد أن تعددت الدراسات النقدية وتشعبت واتسع التفاعل فيما بينها وبين الشعر لتتباين مسارات النهج النقدي، وهو ما دفعنا إلى الوقوف على مقاربات نقدية لحقول شعرية مختلفة عبر الاتجاهات النقدية الحديثة، فالقصيدة يقوم على عدة تكوينات، تناولت فيها الشاعرة مفاصل دقيقة وربما لكونها أديبة متنوعة بين الرواية والشعر والسرد قد ساعدها على التنوع والتميز فاشتملت قصيدتها تلك على مفاصل جمالية تماهت مع شبكات الدلالة لعناصر النصّ الإبداعيّ.

إن تداعيات الخطاب الجمالي يفاجئنا كل يوم بالجديد ويستغرق كما من الإنجازات التي تؤسس في أذهاننا جميعًا قيمًا إبداعية ذات أبعاد عجائبية تنقل النسيج الاستراتيجي لذهن المتلقي وتشير إلى جملة الهواجس التي تدور في مخيلة شاعرتنا في هذه العوالم المتباينة منذ أن أخذت على عاتقها ضرورة الانفتاح على الآخر للتماهي مع تداعيات الخطاب الابداعي وذلك لترسيم الحدود الممتدة بامتداد البصر والتي من خلالها يستطيع أن يتداخل مع سيكولوجية المنظومات التي لا تقف عند حدود زمان أو مكان.

الكلمات المفتاحية: الخطاب المعرفي المتماهي مع الخطاب الجمالي، تنشيط الذاكرة الشعرية، الوصول الى السلم القيمي دون الخروج عن دائرة التذوق الجمالي.

Summary of the analysis of the poem Hayat Al-Rais revelation in the poem

The poem is a vision of an attempt to revive the poetic scene in theory and application. This is clear to the critic when reading the text, especially after critical studies have multiplied and branched out, and the interaction between them and poetry has expanded to vary the paths of the critical approach, which prompted us to stand on critical approaches to different poetic fields through modern critical trends. The poem is based on several formations, in which the poetess dealt with precise joints,

and perhaps because she is a diverse writer between the novel, poetry and narration, it helped her to diversify and excel, so her poem included aesthetic joints that merged with the networks of meaning for the elements of the creative text.

The implications of aesthetic discourse surprise us every day with something new and take up a lot of achievements that establish in our minds creative values with amazing dimensions that convey the strategic fabric of the recipient's mind and point to a set of concerns that revolve in the imagination of our poetess in these different worlds since she took upon herself the necessity of opening up to the other to identify with the implications of creative discourse in order to demarcate the borders that extend as far as the eye can see through which it can interact with the psychology of systems that do not stop at the boundaries of time or place.

Key Words: #Cognitive discourse identified with aesthetic discourse #Activating poetic memory #Reaching the value ladder without departing from the circle of aesthetic taste.

تمهل قليلا للشاعرة حياة الرايس من تونس (بوح معلّق)

النص:

تمهّل قليلا.

تردّد كما شئت

لكن تمهّل قليلا

على شفتي أغنية لم تكتمل بعد

وبالرّوح قصيد بوح معلّق

تمّهل

حتّى أعدّ لك القهوة

ونترشفها قطرة قطرة

بنكهة ماء الزّهر والسّكر

هكذا الحبّ رشفة ورجفة ونكهة وقطرة قطرة....

لكن على مهل

تردّد كما شئت

لكن تمهّل قليلا

فانا لا اشتهي من الصباح غير قهوتك

بل رائحة قهوتك

عندما تَعلق بشفتك السفلى وأنت تلعق آخر قطرة بها

تمهّل.

لا تقلب فنجانك

هي فقط تريد أن تحتفظ لي بتلك النكهة

تمهّل قليلا

فلا اشتهي غير سيجارتك، بل نار سيجارتك

وأنت تلتهم آخر أنفاسها.

وهي تتلوّى بين إصبعيك السمراوين...

رفقا.

هي فقط تريد أن تحتفظ لي بوهجها.

تمّهل قليلا

وابسط كفّيك

هنا نخلة تتفرّع في القلب وتسمق

تأبى أن يسّاقط رطبها

لغيرك.

تمهّل قليلا

لا تسرع ولا تهرب ولا تتنكّر لنبضك

قد تقع في الطرف الآخر من نبضي.

تمهّل قليلا

أنا الرّاحلة فيك وإليك وبك ومعك...

وبقربك دائما...

نجمة على بساط غيمة زاخرة

أعدّ لك السّماء سجاجيد...

أطوي بك الشوق

ولا اترك للمسافات عذرا

تمهّل قليلا

حتّى نتوارى تماما

ونختفي في رحم غيمة

ثمّ في ذروة التوق

يشتعل بنا الكون

ويشرق بنا الفجر

تمهّل قليلا

قلبي يتلاطم بأمواج

لا تشتهي غير التكسّر على صدرك

تمهّل قليلا

حتّى أقاسمك وزر البوح...

ورجفة الشوق

نسمة صيف نحن

حبّة ياسمين قلبي

تتلألأ على كفّك

تفوح من عبق وجدك

تمهّل قليلا

لا شيء سيعود مثلما كان .

لا روحي الهائمة بك ستعود لي

ولا روحك الحائمة حولي ستعود لك

شيء يشبه القدر.

تحليل النص

شاعرة تخطت العديد من الحواجز طوال مسيرتها الثقافية بكل عنفوان تجاوزت المستحيل في مرحلة التحول والانتقال إلى بوتقة عالية الهمة، واثقة الخطى متحدية الزمن ترافقها راية الشعر والرواية ،أطلقت صوتها عاليًا في سماء الشعر والأدب بشكل عام بحضور لافت ووعي ناضج يؤكده خطاب المستويات الذي ينداح عذوبة.

«الشاعرية اليوم هي حالة نفسية منوطة بدرجة الانفعال واتساع نطاقه وأسمى درجات الشاعرية وأفعلها في النفوس ما كان منها واسع الانفتاح على أعماق الحياة وصادرا عن النشوة الداخلية واللذة الوجدانية وحين يتحقق الشكل والمناخ معا ويتخذان لهما طبيعة فريدة تدخل حينئذ في صميم الشعر». (ريمون طحان، دنيز بيطار طحان، 1983)

واليوم نحن بصدد قصيدة تمهل قليلا ...

ما أجمل فضاء المتن الشعري عندما يكون ممتدا إلى مساحات تتسع لها القلوب وتشرئب لها الأعناق وتذوب في جوهرها العيون حتى تصل إلى قصيد بوح معلق نابع من الأعماق ليتماهى مع أغنية لم تكتمل بعد... ومن أجمل مافالته العرب في حضرة الشعر ومكانته»وقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب وأحرى أن تقبل شهادته وتتمثل إرادته «. (القيرواني، 2001).

القصيدة رؤيا لمحاولة إحياء المشهد الشعري تنظيرا وتطبيقا وهذا يكون واضحا لدى الناقد حين قراءة النص خاصة بعد أن تعددت الدراسات النقدية وتشعبت واتسع التفاعل فيما بينها وبين الشعر لتتباين مسارات النهج النقدي، وهو ما دفعنا إلى الوقوف على مقاربات نقدية لحقول شعرية مختلفة عبر الاتجاهات النقدية الحديثة، فالقصيدة يقوم على عدة تكوينات، تناولت فيها الشاعرة مفاصل دقيقة وربما لكونها أديبة متنوعة بين الرواية والشعر والسرد قد

ساعدها على التنوع والتميز فاشتملت قصيدتها تلك على معالجات تحليلية شاملة لامست مفاصل جمالية تماهت مع شبكات الدلالة لعناصر النصّ الإبداعيّ.

تردد كما شئت

لكن تمهل قليلا. على شفتي أغنية لم تكتمل بعد

وبالروح قصيد بوح معلق

عبارات معززة بالوعي المنسجم مع جمالية المجازات في التمهل المتشح بفاعلية تصويرية خرجت عن مألوف الاستعمال العادي وحددت الصور المتمثلة في رشفة القهوة قطرة قطرة: هكذا الحب رشفة ورجفة ونكهة وقطرة وهذ كله عبرت عنه بصور مجازية بحب متناغم الأهواء ومتمثل في استسقاء الغرام المتعالق مع نخلة ذات خصوصية تتفرع في القلب وتسمو وتكسر حاجز الصمت في كبرياء لا تسمح فيه من تساقط الرطب لأحد سواه..... عمل إبداعي ارتدادي يستفز ذهن الناقد والمتلقي.

يتحدث ابن الأثير عن المجاز ويقول:» العرب تستعمله لأنه يدل على الفصاحة والبلاغة وهو في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعا في القلوب والأسماء وما عدا الحقيقة من جميع الألفاظ ثم لم يكن محال محضا وهو مجاز لاحتماله وجوه التأويل على إن ما يحكم الصور عنده هو التقاطها في حاله الحركة.» (بدوي، 1987).

هذه هي التعالقات التي تتغلغل في عمق الصورة المجازية ؛لتحقيق جماليات قد تكون مرسومة في الذاكرة منذ زمن طويل وبينهما ترف جمالي وثراء ذوقي قائم على جدلية الوعي الخاضعة لعوالم متباينة قادرة على اختزال العديد من المفارقات التي تمثل تعاريج الفكر.

ومدارس النقد متنوعة ومتشعبة ومعتمدة في محاورها على الوعي والنضج الفني مع الإيحاء بما في هذه الدراسة من إيجابيات أو سلبيات وهذا يتوقف على رأي الناقد في النتاج الأدبي الذي هو بصدده، حيث إن النسق الذوقي يقودنا بلا شك إلى كاريزما مختلفة وقادرة على الولوج إلى الفضاء النقدي الذي يولد فسيفساء الوجد وهذا ماحققه العدول البلاغي.

فهو خروج عن المألوف زاد المعنى قوة وجمالا « يصبح الخروج على المألوف مبررا نقديا لأنه قد ارتبط بطلب الجودة

وتحقيق الذ العقلية كما تصبح الغرابة والغموض خاصته لكل شعر محدث». (عصفور، 1991)

تمهل قليلا

وابسط كفّيك

هنا نخلة تتفرّع في القلب وتسمق

تأبى أن يسّاقط رطبها

لغيرك

وتأتي صناعة الكلام والعبارات المستمدة من الخطاب المتعدد الأوجه والمتداخل المرايا قي نسق استراتيجي واضح المعالم «اذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه بباله وتفوق له كرائم اللفظ واجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها ولا يتعبك تطلبها واعمله ما دمت في شباب نشاطك فاذا غشيت الفتور وتخونك الملال فامسك فان الكثير مع الملال قليل والنفيس مع الضجر خسيس.» (العسكري، 1989)

وهي لاتتوانى في طرح العديد من آليات البدائل المستحدثة في قولها:

تمهّل قليلا

أنا الرّاحلة فيك وإليك وبك ومعك...

وبقربك دائما...

نجمة على بساط غيمة زاخرة

أعدّ لك السّماء سجاجيد...

أطوي بك الشوق

ولا اترك للمسافات عذرا

تداعيات ونقلات نوعية تجاوزت بها الشاعرة المتميزة جوهر العاشقين؛ لترسم لنا كمتلقين ذكريات قابعة في أعماق هؤلاء المحبين الذين يحلقون على بساط غيمة زاخرة على ضفاف الأنهار تحدوهم أحلامهم الوردية المحاطة بمنظومة العشق والغيث والشوق دون تقاعس او السماح لتقديم الأعذار في صورة فانتازيا من الفرضيات الاستفزازية القادرة على كشف مواقف خلقت تواترا خفيا في ثنايا ذاك التمهل .. ونجحت الشاعرة في نقل مشاعرها إلينا.

«إن طبيعة المتلقي حاضرة حضورا بينا للعملية الإبداعية وهذا راجع إلى إن المبدع يحاول بقدر ما أوتي من قوة بيانية أن ينقل المتلقي إلى الحالة التي يعايشها أو بمعنى آخر يحاول أن ينقله إلى التجربة التي دفعته إلى هذا الإبداع.» (برهم، 2000)

ومرة أخرى تمهل قليلا

حتى تتوارى تماما

وتختفي في رحم غيمة

ثم في ذروة التوق

يشتعل بنا الكون ويشرق الفجر

ما أجمل ذروة الأمنيات خاصة إذا ما اتسعت لها القلوب والعيون مظللة بشحنة من المجازات المتنامية المفتقة للحوارات والمجادلات والقراءات التخيلية لاستيعاب كل هذا الشروق والفجر الذي أنار الكون بعد الغيمات.. وما أروع تطريز الأحلام بتلك الإضاءات المفاجئة. لتجسد أسطورة عشق لا تنتهي.. أسطورة النبض الإبداعي.

« ولم يتعاط أحد من الناس القول في الإعجاز إلا ذكرها وجعلها العمد والأركان فيما يوجب الفضل والمزية وخصوصا الاستعارة والمجاز فإنك تراهم يجعلونها عنوان ما يفكرون وأول ما يوردون.» (الجرجاني، 1984)

وعبر التطواف الجميل حول تلك الأبيات.. وعبر سعة الخيال وإيقاع المفردات وتجديد الصور الشعرية التي نالت من المنجز النقدي والتراكم المعرفي والثقافي والفني والجمالي يتجدد النسق القرائي. مما يرقى إلى مستوى الحصافة وسيرورة الإبداع وإثراء العملية التحليلية الوظيفية المتجددة.

إننا نلتقي بمشهد شعري شامخ زاوجت فيه الشاعرة بين مستويات الخطاب المرتبطة بمؤشرات كشفت لنا فيها عن مخزون فكري تغلغل في عمق الأحاسيس والمشاعر لتقوم بدورها العجائبي الذي تخطى كل العقباتوالصعوبات ؛لتتمكن من الوصول إلى السلم القيمي دون الخروج عن دائرة التذوق الجمالي .

إنه تأسيس لخطاب ثقافي مختلف يسعى وراء المعطيات التي تربط بين الرموز الثقافية والشفرة المصاحبة للمفردات بغية اكتمال اللوحة الفنية المؤطرة بتلاطم القلب الممزوج بأمواج قوية وجريئة تقبل التكسر فقط على صدر الحبيب...ما اجمله من مجاز عميق» .

تمهل قليلا

قلبي يتلاطم بأمواج

لا تشتهي غير التكسر على صدرك

جمالية تدخل ضمن مضمار جماليات المجازات الاستعارية الفارهة: هو أسلوب وقوة تعبير تداخلت في هذه المقطوعة ؛لتستكمل فكرة سابقة تتوازن معها المعطيات فتبدو لافتة « قوة التعبير هي أيضا توازن وتعادل قوة الأسلوب وقوة

الموضوع ،فإذا طغى أحدهما على الآخر فإنك تشعر في الحال أن الوضع غير طبيعي ..... الأسلوب هو طريقتك الخاصة في الظفر بإعجاب غيرك.» (حسين، 1984)

إنه السعي وراء المفردات الأرستقراطية التي باتت تضع إكليلا ماسيا له بريق ولمعان باحترافية وجمال... إن القراءة الشعرية في مفرداتها لا تنحصر فقط في جمالياتها الإبداعية أو في طرق تعبيرها عن المراد بل نجدها تتجاوز هذه المحاور لتقفز على قواعد وأيديولوجيات ذات دلالات وإيحاءات رمزية تجعل المتلقي يدور في دائرة التأويلات المؤتلفة حينا والمختلفة حينا آخر طبقا للغتها الشعرية وجدلية تحولات المفهوم لديها بما يتناسب ومنهجية التأسيس المبني على فرضيات متباينة.

وهذه الصور الوظيفية قد أعطت النص كاريزما تحديثية تجاوزت الخطاب المعرفي للخطاب الجمالي لتتلاقى القلوب وتبصر العيون حين تسجل لنا تلك الدوال حضورا بارزا تتضح فيه مشاعر التواشج وفقا لميلاد النسق الثقافي الملهم. والذي عبرت فيه تعبيرا حققت ذاتها عبر التصوير والرمز والمجاز والأسطورة والإيقاع وسواها من التمثلات « لكون الاستعارةعنصرا تصوريا تتجلى في اللغة كما تتجلى في سلوكنا وفي أعمالنا وفي الأظمة الأخرى التي يخلقها أو يبدعها الإسان وقد أضحت الإستعارة أساس كل المعاني والأفكار والتمثلات». (العامري، 2018)

فأطلقت صوتها عاليًا بحضور لافت وعفوي دون اضطرار إلى إقحام الألفاظ في غير مواطنها –«لا خير في المعاني إذا أكرهت قهرا، والألفاظ إذا أجبرت قصرا، ولاخير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه ‘ولا في غرابة المعنى إلا إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى وظهور المقصد . وبوعي ناضج يؤكده خطاب المستويات الذي يندا ح عذوبة بثوابت استوعبت جميع الأنساق (سابق)

وتختتم الأبيات برجفة الشوق ونسمة الصيف وحبات الياسمين التي تفوح بعبق الوجد المعلق:

تمهل قليلا

حين اقاسمك وجد البوح

ورجفة الشوق.... الخ

كيف تنبثق هذه لمشاعر يا ترى؟ إنها تلك المزاوجة وهي من القرائن الجمالية التي

تحول الألفاظ إلى قرائن جمالية تحتضن معالم تقصي الأثر بثقة والتماع وهذا يمنحها رمقا جديدا ذا بعد دلالي عميق طبقا للبحوث اللغوية واللسانية المرتبطة بالدراسات الأسلوبية، والتداولية.

«إن مصطلح البلاغة قد خضع للتطور بفعل حضور الدرس اللساني والبحوث اللغوية واللسانية حيث أصبح مرتبطا بالأسلوبية، والتداولية، والسيمائية، ولسانيات النص، وتحليل الخطاب لكن مع اختلاف بين مدلول البلاغة المعياري، وما قدمته اللسانيات من نجاحات باهرة كان لها الأثر الواضح في دراسة اللغة والأدب» (سمعون، 2012)حيث كسرت به الشاعرة الأسلوب النمطي التقعيدي بحثا عن اللمسات المختلفة التي تستجلي المخفي لتتغلغل في عمق الصورة الحجاجية المؤطرة ببعض الصور الغرائبية البعيدة عن التناول القريب .

«والمخالفة تغدو فاعلية أساسيه يتلقاها القارئ عبر كسر السياق والخروج عليه حتى إن ريفا تير عرف الاسلوب على إنه سياق يكسره عنصر غير متوقع» (ربابعه، 1998).

جماليات مجازية جسدت ماهية النص حتى استطاعت بصورها استقطاب جملة من الصور الحسية التي حققت الأبعاد العجائبية التي تظهر سماتها بوضوح على النص: وهذا هو االإبداع المختلف المتفرد دائم البريق والتوهج عمله كالسحر المؤطر بالخلفيات الجديدة المتناغمة مع درجات الفكر وامتدادات الثقافة وتشعبات الزمن.

وهنا تتجلى ثقافة الشاعرة التي لا تزال تبحث عن المجهول الغريب وغير المكرور والمتماهي باحترافية مع النسيج الاجتماعي.

إنها في هذا النص تعمل على تنشيط الذاكرة الشعرية المرتبطة بالسياقات الثقافية؛ رغبة منها على اجتياز الرهان، وتعزيز محور الشراكة الفاعلة على الإبداع ، بحضور متميز قد ساعدها على الخروج من عباءة النمطية ؛سعيًا وراء التجديد لتقديم المخرجات الاستراتيجية الممنهجة ؛ لتجسيد العمل الشعري المتكامل بالشكل الذي يليق بها عندما تبوأت المكانة المرموقة وأسست عملا متكاملا يذكره الناس بصفة عامة.

« النص نسيج متداخل إلى شبكاته بالقارئ الذي هو جزء من النسيج الاجتماعي؛ ليساهم بقراءاته في تأويل ما سكت عنه النص.» (باخشن، 2001)

رغبة في الوصول إلى المطلوب لكن دون القفز أو الخروج القسري عن دائرة الخطاب الجمالي وما تمخض عنه من أسس مركزية لامست الوجدان وأعطت للحب مساحة جميلة اختصرت فيها وبأناقة لفظية كل جماليات النص في لوحة إبداعيه رائعة تجلى فيها العمق الفكري والأيدلوجي من خلال بناء وتشكيل كل ما ورد في الأبيات السابقة من آفاق وأحاسيس وأطر تماهت معه جملة من المفردات والمضامين التي صيغت في سرد شعري مميز تحكمه شاعرية عميقة مع توخي الدقة سعيًا وراء ضبط مكونات العمل الشعري المتكامل حتى أصبحت قادرة على خلق العلاقات المتناغمة على مستوى المفردات والتراكيب ؛فتداخلت مع الأطر المنهجية لاقتران معالم السياقات، ورصد الوقائع على الصعيد الفكري الذي سوف يتضح في النصوص ذات الملامح البرجماتية أو النصوص التي تؤسس لتهشيم زمنية الصورة النمطية حتى تتحقق أسمى درجات الشاعرية على اوسع نطاق.

والشعراء أكثرمن أن يحاط بهم عدد، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم وسار شعرهم ،وكثر ذكرهم حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم» (سابق).

والشاعرة تنشد التطواف الجديد والرؤية المتطورة والاستثمار المنجز؛ لتوظيفه في تجديد النسق القرائي وتجديد منهجية الخطاب الجمالي والبنية التصويرية دون التعمية المفرطة او الغريب البعيد؛ للوصول إلى القفزة النوعية بلمسات جديدة مدعمة بديناميكية الألفاظ وجدتها وابتكار الأوتار الموسيقة النابعة من القلب في رشاقة وأناقة متفردة .

«فتصرف الشاعر في اللغة مشروط بمراعاة صيرورته لدى مستهلكه ،ولذلك كانو يحذرون الشعراء من الإغراب والإبعاد، ومعلوم أن مفهومي القرب والبعد كانا من أهم المفاهيم النقدية في باب الصورة» (صمود، 1990)

مثل هذا التميز والنسق اللافت للشاعرة يعد مشروعا حضاريا ثقافيا جماليا تحمل مفرداتها أسرارا لاتقف عند زاوية واحدة ولا مؤشر واحد ولا غرض من الأغراض الشعرية وتوظيفها يعني تفعيل تقنية غاية في الأهمية والخطورة لأنها بقصائدها ألهبت حماس متتبعيها وحددت مسارهم و خاضت روافد فكرية ذات تجارب ثرية أظهرت فها تنوعًا ملحوظًا في المفاهيم

الشعرية على جميع المستويات، وصدق من قال:«الشعر طبع ودافع وإرادة وصناعة وجهد» (محمد مندور، ترجمة لانسون وماينة، 1964)

إن تداعيات الخطاب الجمالي يفاجئنا كل يوم بالجديد ويستغرق كما من الإنجازات التي تؤسس في أذهاننا جميعًا قيمًا إبداعية ذات أبعاد عجائبية تنقل النسيج الاستراتيجي لذهن المتلقي وتشير إلى جملة الهواجس التي تدور في مخيلة شاعرتنا في هذه العوالم المتباينة منذ أن أخذت على عاتقها ضرورة الانفتاح على الآخر للتماهي مع تداعيات الخطاب الابداعي وذلك لترسيم الحدود الممتدة بامتداد البصر والتي من خلالها يستطيع أن يتداخل مع سيكولوجية المنظومات التي لا تقف عند حدود زمان أو مكان .

«وهذا التطور لأدبنا في شكله ومضمونه وأساليبه وفنونه حري أن يقابله تطور في بلاغتنا بحيث تصور فنوننا الشعرية والنثرية وأساليبها المتنوعة وبحيث تكون صورة صادقة لحياتنا الأدبية الحديثة .» (ضيف، 1987)

وختاما نقول: أحيانا ونحن في خضم الدراسة النقدية تراودنا بعض الأسئلة مثل :ماذا لو حاولنا التعبير عن العلاقة الجدلية التي تتعالق فيها الدلالات الشعرية المنتقاة؛ لتتنقل بنا من ظاهرة المشاعر السرية إلى البوح بما نريد دون عوائق تجبرنا على التغاضي عن تلك الجماليات العفوية كما وجدنا في تلك القصيدة ؟

وماذا لو حاولنا إسقاط تلك الذات الفاعلة على ما يجول في خواطرنا دون التمويه أو تغافل زمنية البوح وتاريخ التأصيل له رغم اختلاف الرؤيا، وتضارب الآراء من حوله.؟

لا شك أننا سوف نجد بين الشاعر والمتلقي علاقة حميمية بما تحتويها تلك العلاقة من بنى حوارية عالية المستوى تعمل جاهدة على الإفصاح عن مكنونات النفس التواقة إلى ترجمة تلك العلاقة عن طريق الإبحار في عوالم البناء القيمي. لتنجح في عملية الانصهار في بوتقة الفضاءات الجديدة بتوازن خلاق مع ضرورة أن يضع في اعتباره مسالة هامة وهي البعد عن الغريب والسوقي المبتذل فيكون بهذا قد أمسك بزمام الأمور « ولكن ليس معنى هذا، ألا ينتقي الشاعر ألفاظه، وينأى بلغته عن الغريب والأعجمي والسوقي والمبتذل الذي يفقد لغة الشعر سماتها الفنية الخاصة بها، ويجعلها أشبه بلغة الكلام العادي» (موافي، 1984)

وفي هذا الإطار التقييمي لمثل هذه النصوص اللافتة لابد أن نضع في اعتبارنا دور المتلقي لكونه أحد المحاور الرئيسة في العملية النقدية الناجحة التي تناقش الخطاب الفكري وتؤكد على الهوية الثقافية في ظل الانفتاح الحضاري مع الحفاظ على جوهر الأصالة ؛ليحقق المتلقي بذلك جملة من الجماليات المرسومة في الذاكرة والمحاطة بالخطاب المعرفي الذي تجاوز به الناقد الحدود الإقليمية إلى الدولية ومنها إلى العالمية ولكن في حيز الأطر المرسومة والتي يستطيع النص الأدبي المطروح أمامه ؛ ليستنطق جملة منها حول خارطة النقد الجمالي الذي سوف يتماهى مع اتساع المشهد الادبي الذي يشكل بنية النص رغم الازدواجية لمتباينة بين النصوص.

المراجع:

1. ابن رشيق القيرواني. (2001). العمدة في محاسن الشعر وآدابه. بيروت: دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة.
2. الجرجاني, ع. ا. (1984). دلائل الاعجاز في علم المعاني. القاهرة: مكتبة الخافقي .
3. العامري, ع. ا. (2018). الأسس الفيزيائية والتجريبية للاستعارة الفضائية. مجلة البحرين الثقافية(المجلد 25), 91-47.
4. العسكري, أ. هـ. (1989). الصناعتين (الكتابة والشعر) (الطبعة الثانيه ed.). بيروت: دار الكتب العلمية .
5. باخشن, ل. (2001). نظريات قراءة النص. مجلة علامات في النقد(الجزء 39), 21.
6. بدوي, ع. (1987). دراسات في النص الأدبي-عصر الإسلام وبني أمية. الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع.
7. برهم, ل. ا. (2000). اتجاهات تلقي الشعر في النقد العربي المعاصر. علامات في النقد, المجلد التاسع(35), 265.
8. جابر عصفور. (1991). قراءة في التراث النقدي- تعارضات الحداثة (الإصدار الطبعة الأولى). قبرص: مؤسسة عيبال للدراسات والنشر.
9. حسين, ع. ا. (1984). فن البلاغة (الطبعة الثانية ed.). بيروت: عالم الكتب.
10. دعيبس, س. (2000). اللغة العربية والتكوين الثقافي لطلاب الجامعة. مجلة علامات في النقد, 87.
11. ربابعه, م. (1998). الأسلوبية (الاتصال والتأثير). مجلة علامات في النقد, الجزء 27(المجلد 7), 35.

12. ريمون طحان، دنيز بيطار طحان. (1983). فنون التقعيد وعلوم الألسنية (الإصدار الطبعة الاولى). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

13. سمعون, س. ب. (2012). البلاغة وعلاقتها بالتداولية والأسلوبية وعلم النص. (ج. غرداية, Ed.) مجلة الواحات للبحوث والدراسات, 46.

14. صمود, ح. (1990). في نظرية الأدب عند العرب (الطبعة الأولى ed.). جدة: النادي الأدبي الثقافي.

15. ضيف, ش. (1987). البلاغة تطور وتاريخ (الطبعة السابعة ed.). القاهرة: دار المعارف.

16. عبده بدوي. (1987). دراسات في النص الأدبي (عصر الإسلام وبني أمية) (الإصدار الطبعة الأولى). الكويت: ذات السلاسل للطباعةوالنشر والتوزيع.

17. محمد مندور، ترجمة لانسون وماينة. (1964). النقد المنهجي عند العرب. القاهرة: نهضة مصر للطبع والنشر.

18. موافي, ع. (1984). في نظرية الأدب (من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي). الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

Sources and references:

1. Ibn Rasheeq Al-Qayrawani. (2001). Al-Umdah in the Beauties of Poetry and its Literature. Beirut: Dar Al-Jeel for Publishing, Distribution and Printing.

2. Al-Jurjani, A. A. (1984). Evidence of Miracles in the Science of Semantics. Cairo: Al-Khafiqi Library.

3. Al-Amri, A. A. (2018). The Physical and Experimental Foundations of Spatial Metaphor. Bahrain Cultural Magazine (Volume 25), 47-91.

4. Al-Askari, A. H. (1989). The Two Industries (Writing and Poetry) (Second Edition ed.). Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.

5. Bakhshen, L. (2001). Theories of Reading the Text. Alamat Magazine in Criticism (Part 39), 21.

6. Badawi, A. (1987). Studies in Literary Text - The Era of Islam and the Umayyads. Kuwait: That Al-Salasil for Printing, Publishing and Distribution.

7. Barham, L. A. (2000). Trends in the reception of poetry in

for Research and Studies, 46.

16. Samoud, H. (1990). In the Theory of Literature among the Arabs (First Edition ed.). Jeddah: Cultural Literary Club.
17. Daif, Sh. (1987). Rhetoric: Development and History (Seventh Edition ed.). Cairo: Dar Al-Maaref.
18. Abdo Badawi. (1987). Studies in the Literary Text (The Era of Islam and the Umayyads) (First Edition). Kuwait: That Al-Salasil for Printing, Publishing and Distribution.
19. Muhammad Mandour, translated by Lanson and Mayna. (1964). Methodological Criticism among the Arabs. Cairo: Nahdet Misr for Printing and Publishing.
20. Mawafi, A. (1984). In the Theory of Literature (From Issues of Poetry and Prose in Arab Criticism). Alexandria: Dar Al-Ma'rifah Al-Jami'iyah.

contemporary Arab criticism. Signs in Criticism, Volume IX (35), 265.

8. Jaber Asfour. (1991). Reading in the critical heritage - Conflicts of modernity (first edition). Cyprus: Ebal Foundation for Studies and Publishing.
9. Hussein, A. A. (1984). The art of rhetoric (second edition ed.). Beirut: Alam Al-Kutub.
10. Daibes, S. (2000). The Arabic language and the cultural formation of university students. Signs in Criticism Magazine, 87.
11. Rababa, M. (1998). Stylistics (communication and influence). Signs in Criticism Magazine, Part 27 (Volume 7), 35.
12. Raymond Tahhan, Denise Bitar Tahhan. (1983). The arts of codification and linguistics (first edition). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Lubnani.
13. Sabaq, M. (n.d.).
14. Sabaq, M. (n.d.).
15. Samoun, S. B. (2012). Rhetoric and its relationship to pragmatics, stylistics and text science. (Ghardaia, Ed.) Al-Wahat Journal

2. مفهومُ الخَضرمةِ وانعكاساتُها على اللغةِ في عصرِ صدرِ الإسلام

The Concept of "Khudrama" and Its Reflections on Language in the Early Islamic Literary Period

بقلم الطالب: محمود محمد شحيمي

طالب دكتوراه في جامعة بيروت العربية– قسم اللغة العربية وآدابها

إشراف الدكتور بشير فرج

Researcher: Mahmoud Mohamed CHEHIMI

Beirut Arab University– Department of Arabic Language

Mah.chehimi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025 /1/25 تاريخ القبول: 2/ 4/ 2025 تاريخ النشر: 2025 /3/25

مستخلص البحث

تتناولُ هذه الدراسةُ بالبحثِ مفهومَ الخضرمة، وتحدِّد معناه اللغويّ وكذلك الاصطلاحيّ، ثمّ ترصد تطوّر هذا المفهوم وتعدّدَ دلالاته عبر التاريخ مع لحظِ أسبابِ هذا التطوّر. وتعالجُ إشكالية تجلّي خضرمةِ الشعراء على اللغة في عصر صدر الإسلام من خلال انعكاسها على شعرهم على مستوى الكلمة والجملة والنصّ.

توصّلت الدراسة إلى تعدّد الدلالات اللغويّة للخضرمة بين معانٍ كثيرة كالقطعِ والسعة، والهُجنة، والاختلاط، والجود وغيرها، وتوزّع المفهوم القديم لها بين ثلاثةِ معانٍ، ثم توسَّع هذا المفهوم لاحقًا في الاستعمال اللغويّ المعاصر استنادًا إلى مبدأ التطور الدلالي، ليشملَ معاني سعةِ الخبرةِ والثقافة، أو قِدَمِ العهد بالسياسة ومعايشةِ أجيالٍ وعهودٍ تاريخيّة. وكانت أبرز انعكاسات الخضرمة على الكلمة من خلال دخول مفرداتٍ جديدةٍ تنتمي إلى الحقل المعجميِّ الإسلامي، وعلى الجملة من خلال الاقتباس الكليّ أو الجزئيّ من القرآن الكريم، وعلى النصّ من خلال ظهور أغراضٍ شعريةٍ جديدة أو تأثُّرِ أغراضٍ قديمةٍ كانت موجودةً في الجاهلية واكتسبت نفَسًا إسلاميًّا جديدًا.

كلمات مفتاحية: الخضرمة– الشعراء المخضرمون– العصر الجاهليّ– عصر صدر الإسلام– الكلمة– الجملة– النص.

Abstract:

This study examines the concept of “Khudrama,” defining its linguistic and technical meanings, and traces the evolution of this concept and the multiplicity of its connotations throughout history, identifying the reasons for its development. The study addresses the issue of the manifestation of the poets’ influence on the language during the early Islamic era, through its reflection in the poetry of the veterans at the levels of the word, the sentence, and the text.

The study concludes that the linguistic connotations of Khudrama are diverse, encompassing meanings such as cutting, breadth, hybridity, mixture, generosity, and others. The original concept was

divided into three main meanings, which later expanded to include meanings related to broad experience and culture, or to long exposure to politics and interaction with different generations and historical periods, based on the principle of semantic development. The most notable reflections of Khudrama on words are through the introduction of new terms belonging to the Islamic lexical field. As for sentences, it is evident in the total or partial quotations from the Qur'an. At the level of the text, the influence is seen in the emergence of new poetic themes or the transformation of old themes from the pre-Islamic era, which acquired a new Islamic dimension.

Keywords: Khudrama, Contemporaneous of Two Epochs, Pre-Islamic Era, Early Islamic Era, Word, Sentence, Text.

مقدّمة:

كان الشعرُ أبرزَ الفنون الأدبيّة في العصر الجاهلي وأهمَّها، فقد بلغَ مكانةً لم يبلغها أيُّ فنٍّ آخر. ويمكن القولُ إنَّ مجدَ العرب الأدبيَّ بُنِيَ بالدرجة الأولى على الشعر. فهو المستودعُ لحضارتِهم، والمُخلِّد لمآثرهم، والمؤرِّخ لمعاركهم وحروبهم، والمُخبر عن عاداتهم وتقاليدهم، وقد نُقِلَ عن عمر بن الخطاب قوله: «كان الشعر عِلمَ قومٍ لم يكن لهم علمٌ أصحّ منه» (الجمحي، تحقيق 1980، مج1، ص24)، حتى قيل: الشعرُ ديوانُ العرب. وكان الشاعر الجاهليّ أداةً إعلاميّةً لقبيلته، ينطق لسانه بمفاخرِها ويذود عن حياضها، فيُعلي من شأن قبيلةٍ بالفخر والمدح ويحطُّ من أخرى بالذم والهجاء. لذلك لا عجب إذا علمنا أنّ القبيلة في الجاهلية كانت تقيم الولائم والأفراح وتأتيها القبائل لتهنأتها إذا نبغ فيها شاعر، «وكانوا لا يهنؤون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج» (القيرواني، تحقيق 1981، مج1، ص65).

بعد بزوغِ فجر الإسلام من قلب جزيرة العرب، شَهِدَ المجتمع العربيُّ أحداثًا وتحوّلاتٍ كبرى على المستوى الدينيّ

والاجتماعيّ والسياسيّ تركت بصمتها على الشعر العربي، فجاء شعر المخضرمين يعكسُ البيئة الإسلاميّة الطارئةَ التي صبغت أدبَ هذا المرحلة بصبغةٍ جديدةٍ لم يألفها العربيُّ في شعر أسلافه. وقد تظهَّرت تأثيراتُ هذا التحوّل على مستوى الكلمة والجملة والنصّ بشكلٍ عام.

بناءً على ما تقدّم، تتلخّص إشكاليّة هذا البحث بالسؤال الآتي: كيف تجلّت انعكاسات الخضرمة على اللغة في صدر الإسلام؟ ويتفرّع عن هذا الإشكاليّة أسئلةٌ أخرى تُسهِمُ في إنجاز هذا البحث وسبرِ أغوارِه وهي: ما هو مفهوم الخضرمة لغةً واصطلاحًا؟ كيف تطوّر هذا المفهوم على مرِّ الزمن؟ وكيف أثّر الإسلام في شعر المخضرمين على مستوى الكلمة والجملة والنصّ؟

إنَّ هذا البحث يهدف إلى الإحاطة بمفهوم الخضرمة بشكلٍ عامّ واستعراضِ دلالاته المختلفة، وإظهار أثر التطوّر الدلاليّ في اكتساب هذا المفهوم لمعانٍ متعدِّدةٍ على مرِّ التاريخ، ومن ثَمَّ الإضاءة على أثر الإسلام في البنية اللغوية لشعرِ المخضرمين الذين عاصروا الحقبتينِ الجاهليّة والإسلاميّة.

1- مفهوم الخضرمة

1-1 لغة

توزَّعت الدلالات اللغويَّة لكلمة «الخضرمة» في المعاجم بين معانٍ كثيرة، فقد جاء في لسان العرب: «بِئْرٌ خِضْرِمٌ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. وَمَاءٌ مُخَضرَمٌ وخُضارِم: كَثِير... وكلُّ شَيءٍ كَثِير وَاسِع خِضْرِمٌ... وَنَاقَةٌ مُخَضرَمَة: قُطِعَ طرَف أُذنها. والخَضرَمة: قَطْعُ إحدى الأُذنين، وَهِيَ سِمَةُ الْجَاهِلِيَّة... وأَصل الخَضرَمَةِ أَن يُجعَلَ الشَّيءُ بَينَ بَينَ» (ابن منظور، تحقيق 1993، مج12، ص185-184). ونقل ابن منظور عن ابْن خَالَوَيْهِ قوله: «خَضرَمَ خَلَّطَ» (ص185)، وفي الصحاح للجوهري «لحمٌ مُخَضْرَمٌ بفتح الراء: لا يُدْرى مِن ذكرٍ هو أو أنثى» (الجوهري، تحقيق 1987، مج5، ص1914)

من المعاني الإضافية ما جاء في القاموس المحيط: «والمُخَضرَمِ بفَتْحِ الراءِ: من لم يَخْتَتِن... وأسْوَدُ أبوهُ أبيضُ، والناقِصُ الحَسَبِ، والدَّعِيُّ، ومن لا يُعْرَفُ أبوهُ، أو وَلَدَتْهُ السَّرارِي، وَلَحْمٌ لا يُدْرَى أمِنْ ذَكَرٍ أمْ أنْثَى، والطعامُ التافِهُ، والماءُ بين الثَّقِيلِ والخفيفِ» (الفيروزآبادي، تحقيق 2005، ص1103).

ذكر ابن قتيبة في «الجراثيم» معنىً آخر للخضرمة فقال: «في كلامه خضرمةٌ: إذا لحنَ وخالفَ الإعراب» (ابن قتيبة، تحقيق 1997، مج2، ص311). وهذا المعنى أورده ابن منظور في اللسان ولكنْ للحَضرمة بالحاء المهمَلة وليس بالخاء المعجمة، إذ يقول: «وحَضْرَمَ فِي كَلَامِهِ حَضْرَمةً: لَحَن، بِالْحَاءِ، وَخَالَفَ بالإعراب عَنْ وَجْهِ الصَّوَابِ. والحَضْرَمَةُ: الْخَلْطُ» (ابن منظور، تحقيق 1993، مج12، ص137)، وعلى أيِّ حالٍ فإنَّ اللفظين (الخضرمة والحضرمة) –وفقًا لما سبق– يشتركان في معنى الخلط، لذلك قد يكون أحدُها تطوّرًا صوتيًّا للآخر نتج عنه ترادف.

ومما ورد حول الخضرمة ومشتقاتها في شعر الأقدمين قول جرير

[الكامل]:

آباؤكَ المتخيَّرونَ ذوو النُّهــى

يا ابن الخضارمِ يترعونَ المرفد

والخضارم هنا بمعنى الأجواد (ديوان جرير، تحقيق 1986، مج1، ص379)

وقال كثير بن جابر المحاربيّ

[الطويل]:

إلى ابنِ حَصانٍ، لَمْ تُخَضْرَمْ جدودُها

كـريمِ النثا والخـيمِ والعقــلِ والأصل

وقد أورد الزمخشري هذا البيت في «أساس البلاغة» ثمَّ قال معلِّقًا «والمخضرم: الذي ولدته الإماء من جهة الأبوين» (الزمخشري، تحقيق 1998، مج1، ص638)

وفي الحَدِيثِ الشريف ما رواه الإمام أحمد عن وكيع: « خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مُخَضْرَمَةٍ» (الإمام أحمد، تحقيق 2001، ج25، 221). والناقة المخضرمة هي التي قُطِعَ طرف أذنها، وقد ورد هذا المعنى آنفًا في معاجم التراث.

يتَّضِح ممَّا سبق أنَّ الدلالة اللغوية للخضرمة تشعَّبَت وتنوَّعت بين معانٍ كثيرةٍ منها الكثرة والسعة، والقطع، وجعلُ الشيء بينَ بين، والهجنة، ووضاعة النسب، والاختلاط، والجود، وصفة للحم أو الطعام أو الماء، وصفة للكلام الملحون الذي يخالف الإعراب.

2-1 مفهومها القديم

إنَّ قوانين التطوّر الدلاليّ في اللغات

عامّة، وفي العربية خاصَّة تقضي بأن تكتسب الألفاظ معانٍ جديدةً عبر الزمن بفعل عدّة عوامل، فاللغة «ليست هامِدةً أو ساكنةً بحالٍ من الأحوال، على الرغم من أنَّ تقدُّمَها يبدو بطيئًا في بعض الأحايين. فالأصوات والتراكيب والعناصر النحويّة وصيغ الكلمات ومعانيها معرَّضة كلُّها للتغير والتطوّر» (أولمان، 1997، ص178).

هذه السنَّة في التطوّر الدلاليّ تنطبق على مفهوم الخضرمة الذي لم يقتصر على المعاني الأصليَّة التي ذُكرت سابقا، بل اكتسب دلالات جديدة في العصور الأولى التي تلت الجاهلية، ومما يؤيِّد هذه القول ما نُقِلَ عن العسكري «أَنَّ الْمُخَضْرَمَ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي حَدَثَتْ فِي الْإِسْلَامِ، وَسُمِّيَتْ بِأَسْمَاءٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمَعَانٍ أُخَرَ» (السيوطي، تحقيق 1994، مج2، ص706)، وكأنَّه يقول إنَّ المعاني المتعلقة بمفهوم الخضرمة في الجاهلية طرأَ عليها تطوّرٌ دلاليٌّ تمثَّل بمعانٍ جديدةٍ اكتسبها هذا المفهوم في العصور الإسلامية اللاحقة.

من خلال استقراءِ الدلالات التي انتشرت في العصور الإسلامية يمكن الخروج بثلاثةِ اتّجاهاتٍ دلاليّةٍ لمفهوم الخضرمة أو المخضرم، وهي تتلخّصُ بالآتي:

- **الشاعر الذي أدرك الجاهلية والإسلام أو كلّ من أدركهما**

يكاد وصف «المخضرم» يكون حِكرًا على الشعراء دون غيرهم، فقد كانوا أكثرَ من لُقِّبَ به، وقد يعود السبب في ذلك إلى مكانة الشعر والشعراء في العصور الأولى، وإلى شهرتهم في المجتمع آنذاك. فالمخضرم هو «الشاعر الذي أدركَ الجاهليَّة والإسلام، مثل لبيد» (الجوهري، تحقيق 1987، مج5، ص1914)، وهناك عشرات الشعراء المخضرمين وفق هذا الشرط، من أشهرهم: كعب بن زهير وحسّان بن ثابت ولبيد بن أبي ربيعة وأبو ذؤيب الهذلي والنابغة الجعديّ.

لكنَّ هذا المعنى لم يقتصر على الشعراء، فقد أُطلق على كلِّ رجلٍ أدرك الجاهلية والإسلام، سواءٌ أكانَ شاعرًا أم غيرَ ذلك، وقد حاول البعضُ إيجادَ العلاقة بين هذا المعنى الاصطلاحيِّ المحدَث والمعنى اللغويِّ المرتبط بالجاهلية، فقال أبو الحسن الأخفش: «يقال: ماءٌ خِضرِم، إذا تناهى في الكثرة والسعة، فمنه سمي الرجل الذي شهد الجاهلية والإسلام مخضرماً، كأنَّه استوفى الأمرين» (القيرواني، تحقيق 1981،

مج1، ص113).

- **كل من أدْرك الْجَاهِلِيَّة وزمن النَّبِي وَلم يره**

تمايز أهل الحديث عن أهل اللغة في تحديد مفهوم الخضرمة، فقد انفردوا بمعنًى خاصٍّ بهم. فالمخضرم عندهم هو من أدرك زمن الجاهلية وزمن البعثة النبوية الشريفة. ولكنَّهم اشترطوا لتحقق هذا المعنى أو هذه الصفة له أمرين، الأوّل دخوله في الإسلام، والثاني عدم صحبته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد نقل جلال الدين السيوطي ملخِّصًا هذا المفهوم للمخضرم عند أهل الحديث قائلًا: «الْمُخَضْرَمُونَ وَاحِدُهُمْ مُخَضْرَمٌ « بِفَتْحِ الرَّاءِ « وَهُوَ الَّذِي أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَزَمَنَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَسْلَمَ، وَلَمْ يَرَهُ، وَلَا صُحْبَةَ لَهُ» (السيوطي، تحقيق 1994، مج2، ص705).

وكان ابن قتيبة قد أشار إلى هذا المعنى للمخضرم، لكنَّه أنكره وصرَّح بأنَّه خطأ « لأنَّ النابغة الجعدي ولبيداً قد وقع عليهما هذا الاسم» (القيرواني، تحقيق 1981، مج1، ص113). فهذان الشاعران صحابيَّان كما هو معلوم، وقد استوفيا شرط رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك فقد اعتُبِرا من ضمن الشعراء المخضرمين، وهذا ما جعل ابنَ قتيبة يرفض هذا الاتجاه في معنى الخضرمة.

- **كلّ من أدرك عهدين مطلقا**

توسَّعت دلالات الخضرمة فيما بعد لتشمل كلَّ من أدرك عهدين مطلقًا، فلم تعد خاصَّةً بالعصرين الجاهلي وصدر الإسلام، وقد أطلق أبو الفرج الأصفهاني لقب المخضرمين على الشعراء الذين شهدوا العصرين الأموي والعبَّاسي كابن ميّادة وغيره (الأصفهاني، تحقيق 1994، مج2، ص504). وفي كتاب «الحيوان» ذكر الجاحظ الشاعر سليمان بن يحيى وعرَّفه بأنه من مخضرمي الدولتين، أي الأمويَّة والعباسيَّة (الجاحظ، تحقيق 2003، مج7، ص454).

ولعلَّ ارتباط الخضرمة بدايةً بالعصرين الجاهلي وصدر الإسلام يعود لأوّلية هذين العصرين الأدبيَّين، فلم تكن هناك من عصورٍ أدبيَّةٍ آنذاك سواهما، لذلك مع تقادم العصور فيما بعد بدأت تتوسَّع دلالة هذا المفهوم لتشمل كلَّ من أدرك عصرين متتابعين مطلقًا بغضِّ النظر عن حُقبتهما الزمنية.

3-1 مفهومها المعاصر

لم تبقَ دلالات الخضرمة مقتصِرَةً

على المعاني القديمة التي شاعت في العصور الأدبية الأولى، بل تطوَّرت فيما بعد واكتسبت معانٍ جديدة، فالتطوُّر سنَّةٌ من سنن هذا الكون، واللغة ليست بِدعًا من هذا القانون، فهي كائنٌ حيّ، تنمو وتتطوَّر على مرِّ الأزمان، وتكتسب ألفاظُها دلالاتٍ يستحدثها متكلِّمو اللغة كلّما دعت الحاجة، فتشيعُ هذا الدلالات الجديدة وتشتهرُ وتفرض نفسها في الاستعمال اللغويّ، وما تلبث أن تتلقَّفها المعاجم الحديثة أو المجامع اللغويَّة المختلفة بدلالاتها المحدثة فتضفي عليها الشرعيَّة اللغويَّة والصلاحيَّة للاستخدام الفصيح. ومن يطالع المعاجم الجديدة أو قرارات المجامع اللغوية المختلفة يجد الكثير من الألفاظ التي دخلت بدلالات معجميّة جديدة لم تكن موجودة في أصل استعمالها.

وفي سياق ذلك، أصبح المعاصرون يستخدمون صفة الخضرمة في ميدان السياسة والإعلام والأدب، فنجدهم يقولون: «فلانٌ سياسيٌّ مخضرَم»، إذا كان قديمَ عهدٍ بالسياسة وعايش أجيالًا وعهودًا تاريخية، وكذلك يطلقون هذا اللقب على كلِّ من كان واسعَ الخبرة والثقافة، كقولهم «كاتبٌ مخضرَم»، وقد أورد أحمد مختار عمر هذه الدلالات الجديدة للخضرمة في «معجم اللغة العربية المعاصرة» (عمر، 2008، مج1، ص657).

2- انعكاسات الخضرمة على اللغة

2-1 على مستوى المفردة

إنَّ أوَّل ما يمكنُ ملاحظته عند قراءة شعر المخضرمين في عصر صدر الإسلام، ظهورُ مفردات جديدة متعلِّقة بالدين الجديد، وهذه المفردات مستمدَّة من المعتقدات والعبادات الإسلاميَّة كالصلاة والزكاة والصوم والحج، أو من القرآن الكريم أو من الأحاديث النبوية الشريفة.

ومن ذلك ذكرُ مناسك الحج والعمرة في قول حسان بن ثابت (حسان بن ثابت، تحقيق 1994، ص39)

[الوافر]:

ومـا لـــهمُ إن اعتمروا وحجوّا
من الحجرينِ والمسعى نصيبُ

وذكر الجنَّة صراحةً كقول حسان (ص66-65)

[الكامل]:

يا رب فاجمعنا معا ونبينا
فـي جنَّةٍ تَثْني عـيونَ الحُسَّدِ
في جنَّةِ الفردوسِ فاكتُبْها لنا
يا ذا الجلالِ وذا العلا والسؤدَدِ

أو ذكر الجنة تعريضًا، إذ يروي النابغة الجعدي وهو من الشعراء المخضرمين أنَّه أنشدَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يومًا شعرًا قال فيه

[الطويل]:

بلغنا السماءَ مجدُنا وجدودُنا

وإنَّا لنرجو فوقَ ذلك مظهرا

فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلّم فأين المظهرُ يا أبا ليلى؟ فقال النابغة: «الجنة» فقال له النبيّ: «قل إن شاء الله» (ديوان النابغة الجعدي، تحقيق1998، ص206).

ومن ذلك أيضًا ذكر التقوى، وذكر النار والرهبة منها كقول الجَعديّ (م ن)

[الطويل]:

أُقيمُ على التقوى وأرضَى بفعلِها

وكنت من النارِ المَخوفةِ أوجَرا

وذكرُ كتابِ الله والقضاءِ والقدر، كنحوِ قول لبيد (ديوان لبيد، تحقيق 2004، ص81)

[الكامل]:

لا يستطيعُ الناسُ محوَ كتابِهِ

أنَّى وليسَ قضاؤهُ بمبدَّلِ

وغير ذلك من المفردات الكثيرة التي حفل بها شعرهم، وإذا أردنا أن نوجز في تصنيف تلك المفردات الوافدة إلى شعر المخضرمين، فيمكن القول إنَّها تنتمي إلى الحقل المعجميِّ الخاصِّ بالدين الإسلامي الذي يضمُّ مفرداتٍ مثل: القرآن، الصلاة، الصيام، الحج، الزكاة، النبي، الإيمان، التقوى، الجنة، النار، ... وغيرها كثير.

والجدير بالذكر أنَّ هذه المفردات المذكورة لم تنشأ في عصر صدر الإسلام، بل كانت موجودةً في زمن الجاهلية لمعانٍ معروفةٍ عند أهل تلك الحقبة، لكنها اكتسبت فيما بعد معانٍ اصطلاحيَّةً جديدة، وأصبحت تعبِّرُ عن دلالاتٍ ترتبط بالعقائد أو بالعبادات التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، وفي ذلك يقول ابن فارس إنَّه لما جاء الإسلام «نُقِلت من اللغة ألفاظٌ من مواضعَ إِلَى مواضع أخَر بزياداتٍ زيدت، وشرائعَ شُرِعَت، وشرائطَ شُرِطَت. فَعفَّى الآخرُ الأوّلَ» (ابن فارس، تحقيق 1997، ص44).

2-2 على مستوى الجملة

لم يقتصرْ تأثير الخضرمة على دخول مفردات جديدة، بل تعدَّى ذلك إلى تأثيراتٍ على مستوى الجمَلِ والتراكيب المستعمَلَة،

وفي هذا الإطار حفلت قصائد المخضرمين في العصر الإسلامي بجملٍ وتراكيبَ مقتبَسَةٍ من القرآن الكريم، فقد شكَّلَ القرآن مَعينًا ينهلُ منه الشعراء المخضرمون ويُضمِّنونَ آياتِهِ في أشعارهم، فكان مفخرةً للعرب في لغتهم جعلتهم يقِفون أمامَه موقِفَ الإعجاب والانبهار.

ومن دلائل ذلك قول حسان مفتخِرًا بشخصيَّتِهِ الإسلاميّةِ الجديدةِ وعقيدةِ التوحيد، ومندِّدًا بالتشبُّهِ بالأعاجم في ملبسهم (ديوان حسان بن ثابت، **تحقيق 1994، ص227)**

[الطويل]:

فَلا تَجعَلوا لِلَّهِ نِدّاً وَأَسلِموا

وَلا تَلبَسوا زَيّاً كَزَيِّ الأَعاجِمِ

ففي هذا البيت نجده يقتبس في الشطر الأوَّل من الآية الكريمة في سورة البقرة: ﴿...فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (القرآن الكريم، البقرة، 22)

وفي قصيدةٍ انبرى فيها للدفاع عن المسلمين وهجاء قريش حين نقضت العهد معهم، فجهَّز النبيُّ صلى الله عليه وسلم جيشا لقتالهم، قال حسان واصفًا الخيل وسرعتها في الإغارة على الأعداء (حسان بن ثابت، تحقيق 1994، ص19)

[الوافر]:

عدِمنا خيلَنا إن لم ترَوها

تثيرُ النَّقعَ موعدُها كداءُ

إنَّ وصف الخيل العاديات إلى الجهاد في سبيل الله بإثارة النقع، وهو الغبار المتصاعد من التربة من شدِّة سرعتها هو صورةٌ قرآنيّةٌ مقتبَسةٌ من آيةٍ تَصِفُ هذه الخيل، وقد وردت في سورة العاديات وهي: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ (القرآن الكريم، العاديات، 4)

وهذا النابغة الجعدي في مطلع قصيدة من شعر الفتوحات يبدؤها بالحمد والثناء على ربِّه، وممَّا جاء فيها (ديوان النابغة الجعدي، تحقيق1998، ص148)

[المنسرح]:

المُولِجِ الليلَ في النهار

وَفِي الليلِ نَهاراً يُفرّجُ الظُّلَما

والملاحَظ أنَّه في البيت الأول يقتبس من الآية الكريمة في سورة الحديد: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ (القرآن الكريم، الحديد، 6)، ويضمِّنُ في البيت الثاني معنى الآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (القرآن الكريم، الرعد، 2).

ومن اقتباسات المخضرمين أيضًا ما جاء في شعر عبد الله بن رواحة حين مدح النبي صلى الله عليه وسلم (ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق 1981، ص94) فقال فيه [الطويل]:

وهذا اقتباس من الآية التي تثني على المؤمنين الذين يقيمون الليل ولا ينامون إلا قليلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا... ﴾ (القرآن الكريم، السجدة، 6)

3-2 على مستوى النصّ

لقد عايش المخضرمون حقبة الصراع بين حضارتين، حضارة تمثّل القيم الموروثة التي يشوبها الكثير من العادات الجاهلية المذمومة، كالعصبية القبلية، وعبادة الأصنام، وقطع الطرق، والعبودية وغيرها، وبين حضارة تمثِّل القيم الإنسانية والمبادئ الحميدة التي جاء بها الإسلام، فكان أن قامت هذه الحضارة الجديدة بثورةٍ على معتقدات وتقاليد الأولى، وأبقت منها على مكارم الأخلاق من كرمٍ وشجاعةٍ وإغاثةِ ملهوفٍ وغيرها.

ولأنَّ الأدب ابنُ بيئته كان من الطبيعيِّ أن ينعكس هذا الصراع بين الحضارتين على الشعراء المخضرمين، وأن يُسمَعَ صدى هذه الثورة في نصوص شعرهم. فتنوَّعت أنماط تلك النصوص، وظهرت أغراضٌ شعريَّةٌ جديدةٌ لم تكن موجودةً في الجاهلية، صَبَغَت نصوص المخضرمين بصبغةٍ جديدة، وكذلك تأثَّرَت أغراضٌ قديمةٌ كانت موجودةً في الجاهلية ولكنَّها لبست ثوبًا إسلاميًّا جديدًا، ويمكن استعراض أبرزها بالآتي:

- أولاً: الأغراض التي كانت موجودةً في الجاهلية:

- **المدح**

يُعَدّ المدح من أشهر الأغراض التي كانت منتشرةً في العصر الجاهلي، فقد دأبَ الشعراء على مدح القبائل ووجهائها، تخليدًا لمآثرهم واحتفاءً بخصالهم المحمودة كالكرم والشجاعة وإغاثة الملهوف، ودأبوا أيضًا على مدح ملوك الجاهلية وأعيانها تكسُّبًا ورغبةً في العطاء.

لكن مع دخول الإسلام تأثَّر هذا الغرض الشعريُّ وتحوَّل من مدح القبيلة ورموزها بدافعِ العصبية إلى مدح الإسلام ورموزه بدافع التديُّن، خاصَّةً وأنَّ تعاليم الإسلام كانت تذمُّ العصبيَّة الجاهلية وتسعى لتوحيد القبائل وعدم التفرقة على أسسٍ قبليَّةٍ أو عِرقيَّة، لذلك كان مديح النبيّ صلى الله عليه وسلم بارزًا في شعر

المخضرمين، فتبارى هؤلاء في مدح نبيِّهم، ولعلَّ قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير من أشهر قصائد المدح للنبي صلى الله عليه وسلم، حين أتاه كعبٌ تائبًا ومادِحًا فأجازه وعفا عنه وخلع عليه بردته (البغدادي، تحقيق 1997، مج9، ص155)، وأشهر ما قال فيها في مدح النبي (ديوان كعب بن زهير، تحقيق 1997، ص67)

[البسيط]:

إنَّ الرسولَ لسيفٌ يستضاءُ به

مهنَّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

ويُروى أنَّ بعد هذه القصيدة شقَّ على الأنصار عدمُ ذكرِهم مع إخوانهم المهاجرين، فقيلَ له: «ألا ذكرتنا مع إخواننا من قريش» فأنشد كعب يسترضيهم مادحًا إيَّاهم (ص19)

[الكامل]:

مَنْ سَرّهُ كَرمُ الحَياةِ فلا يزَلْ

في مِقنَبٍ مِنْ صالحي الأنصارِ

ويعدُّ حسان بن ثابت الأنصاري أشهرَ المخضرمين المادحينَ للنبيّ صلى الله عليه وسلم وقد استحقَّ لذلك لقبَ شاعرِ الرسول، وقد ضمَّ ديوانه قصائد عديدةً في ذلك الغرض، لعلَّ من أشهرها ما يقول في مطلعِها (حسان بن ثابت، تحقيق 1994، ص54)

[الطويل]:

أغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ

مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ ويُشْهَدُ

وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلى اسمهِ

إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤذِّنُ أشْهَدُ

وللنابغة الجعدي مطوَّلةٌ شهيرةٌ في مدح النبيِّ صلى الله عليه وسلم يقول في مطلعها (ديوان النابغة الجعدي، تحقيق1998، ص78)

[الطويل]:

خَلِيلَيَّ عُوجا ساعَةً وَتَهَجَّرا

ولُوما عَلى ما أَحدَثَ الدَهرُ أَو ذَرا

ثم يقول فيها مادحًا النبيّ صلّى الله عليه وسلم:

أَتَيتُ رَسُولَ اللهِ إذ جاءَ بالهُدى

وَيَتلُو كِتاباً كالمجرَّةِ نَيِّرا

والملاحظُ أنَّ النابغةَ يبدأ قصيدته هذه على طريقة الشعراء الجاهليين، إذ كان من عادتهم مخاطبة المثنَّى في مطالع قصائدهم كما فعل امرؤ القيس وكثيرونَ غيره، ولعلَّ ذلك من تأثير موروثاتِ

الجاهلية في بنية القصيدة العربية، وقد بدأت هذه الموروثات تتلاشى فيما بعد مع العصور الأدبيَّة اللاحقة.

ولم يقتصر مدح المخضرمين على النبيَّ صلَّى الله عليه وسلم وحسب، بل ورد من أشعارهم ما فيه مدح للعديد من الشخصيات الإسلامية، وتضمَّنت نصوصهم ذكرًا لمناقب هؤلاء من صدقٍ وعدلٍ وشجاعةٍ وغيرها من الصفات الحميدة، ومن ذلك مدح أبي ذؤيبٍ الهذليّ لعبد الله بن الزبير في قصيدةٍ جاءَ فيها (ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق2014، ص109)

[المتقارب]:

فصاحبَ صدقٍ كسيدِ الضّرا

ءِ ينهضُ فى الغزوِ نهضًا نجيحا

وشيكَ الفضولِ بعيدَ القفو

لِ إلَّا مُـشاحًا بــه أو مُشـــيحا

- **الاعتذار**

وهو من الأغراض الشعرية التي ارتبطت بشكلٍ كبيرٍ بالمديح، فقد كان الاعتذار يأتي غالبًا مصاحِبًا لمديح المعتذَرِ منه، وغاية الشاعر فيه إبداءُ الأسف على ما بدر منه والطمع بالصفح عنه، ومن روَّاده في الجاهلية النابغة الذبياني الذي اعتذر من النعمان بن المنذر في قصيدةٍ مدَحَه فيها بعد ذلك.

وفي صدر الإسلام اعتذر كثيرٌ من الشعراء عمَّا بدر منهم تُجاهَ الإسلام والمسلمين، وما قصيدة كعب بن زهير التي مدح فيها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلم، إلا وسيلةٌ لاعتذاره منه وإبداءٌ لأسفه عن الإيذاءِ اللفظيِّ الذي كان قد تعرَّض فيه للنبي، وممَّا جاء فيها (ديوان كعب بن زهير، تحقيق 1997، ص65)

[البسيط]:

أُنْبِئْتُ أنَّ رَسولَ اللهِ أوْعَدَني

والعَفْوُ عنْدَ رَسولِ اللهِ مَأمولُ

لا تَأخُذَنّي بأقْوالِ الوُشاةِ، وَلم

أُذنِبْ وإن كَثُرَتْ فيَّ الأقاويلُ

- **الهجاء**

كان الهجاء غرضًا شعريًّا رائجًا في الجاهلية وسلاحًا يتسلَّحُ به الشاعر ضدَّ خصومه وأعدائه، وإذا كان المدح يختصُّ بإعلاء شأن الممدوح وإظهار الخصائل الحميدة فيه، فإنَّ الهجاء نقيضه، ويختصُّ بإظهار الخصائل المذمومة في المهجوِّ والحطِّ من قدرِه.

ولأنَّ تعاليم الإسلام تحرِّمُ الفاحشَ من القول، شُذِّبَ الهجاءُ في عصر صدر

الإسلام، فخلا من بذاءة الألفاظ أو التعرُّض للأعراض، وكانت الغاية الأساس في الهجاء عند المخضرمين هي الذود عن الإسلام ومهاجمة أعدائه، فكان لسان الشاعر آنذاك سيفًا مُصلتًا على الأعداء يضاهي ما تفعلهُ السيوف والرِّماح في المعارك. وقد انقسم هجاء المخضرمين تِبعًا لمدى تأثُّرهم بالإسلام وتعاليمه وتغلغلِ قِيَمِهِ في نفوسهم إلى مذهبينِ (حلاوي، 2003، مج1، ص255):

أ- المذهب الأوَّل: هجاءٌ يشبه الهجاءَ الجاهليَّ في الشكل والمضمون، ركَّز فيه المخضرمون على الحطِّ من قدر المهجوِّ اعتمادًا على الأيام والوقائع الجاهليَّة ومآثر القبائل وتحالفاتها، وعلى الأنساب والأحساب. وقد مثَّل هذا الاتجاه حسان بن ثابت وكعب بن مالك.

ب- المذهب الثاني: وهو اتجاهٌ إسلاميٌّ صرف، إذ كان سلاحُ المخضرمين فيه معتمِدًا على التعييرِ بكفر المهجوِّين وابتعادهم عن منهج الإسلام القويم، وتعييرهم بمعتقداتهم الشركيَّة التي كانت سائدةً في الجاهليَّة كعبادةِ الأوثان. ويمثِّل هذا المذهب عبد الله بن رواحة.

إنَّ من أهمِّ العوامل التي أسهمت في اشتمال نصوصِ المخضرمين على الهجاء توفُّرَ التأييدِ الشرعيِّ لهذا الغرض مع التزام ضوابطه الإسلامية، ويؤيِّدُ هذا الاتجاهَ قولُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ القُدُسِ مَا يُفَاخِرُ، أَوْ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (الترمذي، تحقيق 1996، مج4، ص529).

لقد ذهب التأييدُ الرسميُّ لهذا النوع من الشعر أبعدَ من ذلك، فقد روى أبو داود عن عائشة: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ لِحَسَّانَ مِنْبَرًا فِي الْمَسْجِدِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ يَهْجُو مَنْ قَالَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (أبو داوود، تحقيق 2009، مج7، ص361)، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنّه يدلُّ على أهميَّة الهجاءِ في عصر صدر الإسلام ودوره الإعلامي، واتخاذِهِ طابعًا سياسيًّا، ومكانةِ من انبرى لاستخدامِهِ من الشعراء المخضرمين. ومن ذلك الشعر ما قاله حسان يهجو فيه الحارث بن عوف، وكان من سادات العرب في الجاهليَّة ومن رؤوس المشركين قبل إسلامه، فهجاه حسان بعد واقعةٍ غدَرَ فيها بالمسلمين قائلًا (حسان بن ثابت، تحقيق 1994، ص127)

[الكامل]:

يا حارِ مَن يَغدِر بِذِمَّةِ جارِهِ
مِنكُم فَإِن مُحَمَّداً لَم يَغدِرِ
إِن تَغدِروا فَالغَدرُ مِنكُم شيمَةٌ
وَالغَدرُ يَنبُتُ في أُصولِ السَخبَرِ

ووقف مرة أخرى يهجو بني عوف ويعيرهم في نسبهم (حسان بن ثابت، تحقيق 1994، ص44)

[المتقارب]:

سائِلْ قُرَيشاً وَأَحلافَها
مَتى كانَ عَوفٌ لَها يُنسَبُ
أَفيما مَضى نَسَبٌ ثابِتٌ
فَيُعلَمُ أَم دَعوَةٌ تُكذَبُ
فَإِنَّ قُرَيشاً سَتَنفيكُمُ
إِلى نَسَبٍ غَيرُهُ أَثقَبُ

ومن المعلوم مكانة النسب عند العرب واهتمامهم فيه وخاصَّةً قبل الإسلام، لذلك فإنَّ تعيير حسان لقبيلةٍ جاهليَّةٍ بنَسَبِها له وقعٌ شديدٌ عليها.

وفي مقابل ذلك برزت نصوصٌ تضمَّنت هجاءً ينتمي إلى المذهب الثاني في التصنيف المذكور آنفا، وهو الذي يعيّر المهجوَّ بالكفر والابتعاد عن الهداية كنحوِ قول عبد الله بن رواحة (ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق 1981، ص89-90)

[الطويل]:

نَزوعُ قُرَيشَ الكُفرَ حَتّى نَعُلَّها
بِخاطِمَةٍ فَوقَ الأُنوفِ بِمَيسَمِ
فَأَبلِغ أَبا سُفيانَ إِمّا لَقيتَهُ
لَئِن أَنتَ لَم تُخلِص سُجوداً وَتُسلِمِ
فَأَبشِر بِخِزيٍ في الحَياةِ مُعَجَّلٍ
وَسِربالِ قارٍ خالِداً في جَهَنَّمِ

فالأبيات بالإضافة إلى التعيير بالكفر، تتضمن تحذيرا لأبي سفيان إن لم يدخل في الإسلام، ووعيدا بالخزي في الحياة الدنيا والخلود في نار جهنم في الآخرة.

- **الرثاء**

وهو من الأغراض الشعرية التي كانت منتشرةً في الجاهلية، واشتُهِرَ فيه شعراءُ كثُرٌ كالمهلهل والخنساء وغيرهما، ويقوم على تعداد فضائل الميت وخصاله الحميدة، وإظهار مشاعر الحزن والأسى على فقده. وقد نهج الجاهليّون في رثائهم ثلاثَ طرق (العاني، 1996، ص130):

أ- الندب: وهو ضربٌ من البكاء على الميت، يُظهِر الراثي فيه حزنه وأنينه وتفجُّعه على الفقيد، من خلال الشعر الذي يفيض بمشاعر اللوعة والحرقة والألم.

ب- التأبين: وهو يختلف عن النوع

الأول، فهو ليس بالبكاء ولا النواح، بل هو نوع من الثناء على الفقيد والإشادة بأفعاله الراسخة على مرّ الزمان، وتعبير عن حزن المجتمع بفقد الميت، وخسارة شخصٍ ذي منزلةٍ ساميةٍ في الأخلاق والأدب والعلم وغير ذلك من الصفات الحميدة.

ج- العزاء: وهي مرتبةٌ ذاتُ أبعادٍ فلسفيَّة عميقة، يخرج فيها الشاعر من الندب والتأبين إلى التفكير بحقيقة الحياة والموت واستخلاص العبر منهما، فتكون حادثةُ الموت الفرديَّةُ موضعَ الرثاء جسرَ عبور له إلى عالم الحكمة والتأمُّل.

وفي عصر صدر الإسلام، نهج المخضرمون هذه الطرق الثلاثة، وأبقوا على بعض المعاني التي تتفق مع تعاليم الدين الإسلامي، وهذَّبوا البعض الآخر، فأزالوا منه عوالق الجاهلية وركَّزوا في مراثيهم على الشمائل التي تختصُّ بالدين، عبر تمجيد بطولات الشهداء والإشادة بمواقفهم في نُصرة الإسلام (أبو شارب، 1996، ص222).

وقد تضمَّن كثيرٌ من قصائد المخضرمين مزيجًا بين الرثاء والهجاء، وخاصَّة قصائدَ رثاءِ الشهداء، وذلك من أجل تبيانِ الفارق بين سوءِ المنقلب الذي يؤول إليه قتلى المشركين، ومصيرِ الشهداء من المسلمين ومكانتهم الرفيعة في الجنَّة (ص221).

ويمكن القول إنَّ الرثاء في صدر الإسلام يتَّفق مع الرثاء الجاهليِّ في إظهار معاني الحزن والأسى ولكنَّه يختلف عنه في تضمين المعاني الإسلاميَّة واستبعاد المعتقدات الجاهليَّة التي كانت سائدة، ومن ذلك رثاء حسان بن ثابت لأبي بكر في أبياتٍ يقول في مطلعِها (حسان بن ثابت، تحقيق 1994، ص179)

[البسيط]:

إذا تذكَّرتَ شجواً من أخي ثقةٍ

فاذكرْ أخاكَ أبا بكرٍ بما فعلا

التاليَ الثانيَ المحمودُ شيمتُهُ

وأوَّلُ الناسِ طرًّا صدَّقَ الرُّسُلا

والثانيَ اثنينِ في الغارِ المنيف وقد

طافَ العدوُّ به إذ صعَّدَ الجبلا

والملاحظ أن أبيات حسان يغلب عليها التأبين وذكر محاسن ومناقب المرثي، وهو النوع الثاني في أنواع الرثاء المذكورة.

أما النوع الأول (الندب) فيظهر فيما رُوِيَ من رثاء أبي ذؤيبٍ الهُذلي للنبيِّ صلّى

الله عليه وسلم إذ يقول (ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق2014، ص24)

[الكامل]:

لمَّا رأيتُ الناسَ في أحوالِهِم

ما بين ملحودٍ له ومُضرّحِ

فهناك صرتُ إلى الهمومِ ومن يَبِتْ

جارَ الهمومِ يبيتُ غيرَ مُرَوّحِ

كُسِفَت لمصرعهِ النجومُ وبدرُها

وتزعزَعَت آطامُ بطنِ الأبطحِ

فالشاعر يُظهِرُ في أبياته الحزنَ واللوعةَ على فراق النبي، ويصف حاله بعد سماعه نبأَ وفاته، إذ بات مهمومًا لا يجد إلى الراحةِ سبيلا.

لقد أضاف الإسلام لمن يُقتَلُ في المعارك بُعدًا دينيًّا يختلف عما كان عليه الأمرُ في الجاهلية، فعُدَّ هذا الموتُ شهادةً في سبيل الله، ينالُ صاحبُها منزلةً عاليةً في الجنة. لذلك تنافسَ الشعراء المخضرمون على رثاءِ الشهداء وسُطِّرَت الكثيرُ من القصائد لهذا الغرض، ومن ذلك رثاء كعب بن مالك لحمزة بن عبد المطلب إذ يقول واصفًا حاله بعد استشهاده ومبينًا حجم الألم والحُرقة على فقدِه (ديوان كعب بن مالك، تح1997، ص36-35)

[الكامل]:

طَرَقَتْ هُمومُكَ فالرقادُ مسهَّدُ

وَجَزِعْتُ أَنْ سُلِخَ الشَّبابُ الأَغْيَدُ

وَلَقَدْ هُدِدْتُ لفَقْدِ حَمزَةَ هُدَّةً

ظَلَّتْ بَناتُ الجَوْفِ مِنْها تَرْعُدُ

وَلَوَ انَّهُ فَجِعَتْ حِراءُ بمِثْلِهِ

لَرَأَيْتَ رأسَي صَخْرِها يَتَبَدَّدُ

- **الغزل والنسيب**

يُعَدُّ الغزل من الأغراض الشعرية القديمة عند العرب وخاصَّةً في العصر الجاهلي، فقد كان الشعراء الجاهليون مولَعينَ بذكر المرأة ووصفها والتغزُّل بمفاتنها، وكان غزلهم يتنوَّع بين الصراحة والعذرية، ولكن لمَّا جاء الإسلام وتغيَّرت القيم والمفاهيم الأخلاقية والاجتماعية، تأثَّر هذا الفنّ ببيئته الجديدة، فتعفَّف الشعراء عن الغزل الفاحش والتصريح بالفجور والفسق، بفضل تعاليم الدين الإسلامي التي ذمَّت مثل هذه الأفعال ووضعت إطارًا لحدود العلاقة بين الرجل والمرأة (أبو شارب، 1996، ص258).

ولقد استمرَّ بعض الشعراء في عصر صدر الإسلام بنهج طريقة الجاهليين في مطالع قصائدهم، فاستهلوها بمطالع طلليَّة غزليَّة، وقد سبق ذكر قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير، ومثله فعل حسان

بن ثابت في قصائد كثيرة، وعندما أراد مدح النبي صلى الله عليه وسلم، استهلَّ قصيدتَه بقوله (حسان بن ثابت، تحقيق 1994، ص17–16)

[الوافر]:

عَفَت ذاتُ الأَصابِعِ فَالجِواءُ
إِلى عَذراءَ مَنزِلُها خَلاءُ
فَدَع هَذا وَلَكِن مَن لَطيفٍ
يُؤَرِّقُني إِذا ذَهَبَ العِشاءُ
لِشَعثاءَ الَّتي قَد تَيَّمَتهُ
فَلَيسَ لِقَلبِهِ مِنها شِفاءُ

وفي مقابل الغزل الصريح، لجأ بعض الشعراء في عصر صدر الإسلام بفعل تأثير الواقع الدينيِّ الجديد إلى اعتماد الرمزيَّة في غزلهم (ص262) مثل حميد بن ثور الهلالي الذي يذكُرُ قصَّةً بين حمامةٍ وصقرٍ، وكأنّه يريد أن يعبّر عن شوقه لمحبوبته من خلال تصويره هذه القصّة، فيقول في مطلع أبياته (ديوان حميد بن ثور، تحقيق 1951، ص24)

[الطويل]:

وما هاجَ هذا الشوقَ إلا حمامةٌ
دعَت ساقَ حرٍّ ترحةً وترنُّما

وفي قصيدة أخرى يرمز إلى محبوبته بالشجرة التي فاقت سائر الأشجار في البهاء والظلّ، ثمَّ بعد ذلك يصف حاله إثر تعذُّر الوصال بينهما، فالطريقُ إليها مسدودٌ بسبب الموانع التي فرضتها البيئةُ الجديدة فيقول (ص40)

[الطويل]:

فَيا طيبَ رَيّاها وَيا بَردَ ظِلِّها
إِذا حانَ من حامي النَّهارِ ودوقُ
وَهَل أَنا إِن عَلَّلتُ نَفسي بِسَرحَةٍ
مِنَ السَّرحِ مَسدودٌ عَلى طريقُ
فَلا الظِلّ مِنها بِالضُّحى تَستَطيعَهُ
وَلا الفيءَ مِنها بِالعشي تَذوقُ

ويبدو جليًّا أن الشاعر لا يقصد من أبياته الشجرةَ المعروفة، بل كان يرمز من خلالها إلى حبيبته، فطيبُ الريا وبرد الظلِّ ما هما إلا طيب ريا محبوبته وبرد نفسه بلقائها (فيصل، 1959، ص201).

- **الفخر**

كان الفخر من الأغراض التقليديَّة في أشعار الجاهليّين، وقد سلكوا فيه مسلكين: الأوَّل شخصيّ يتغنَّى فيه الشاعر ببطولاته وشجاعته وجودة سلاحه وشهامته وحسبه ونسبه وكرمه ومروءته ووفائه وغير ذلك من الصفات المحمودة، والثاني قبليّ يفخر فيه الشاعر بأمجاد قبيلته وأصلها وقوَّتها وكثرة عددها وغلبتها في الحروب والمعارك وكثرة غنائمها وأسراها، وما إلى

ذلك ممّا تَعتَدُّ به الجماعة آنذاك. ويمكن القول إنَّ معلقتا عنترة وطرفة تنتميان إلى الصنف الأول، وتنتمي معلقتا عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة إلى الصنف الثاني (الجندي، 1991، ص364).

وعندما جاء الإسلام تحوَّل تركيز الشعراء في الفخر من الاعتداد بالذات والقبيلة إلى الاعتداد بالدين والإسلام وما يرتبط به من شخصيَّات ورموز، ومن ذلك ما قاله كعب بن مالك مفاخِرًا باتِّباع النبيِّ صلى الله عليه وسلم ومقارِنًا بين حال أهل الشرك الذين كذَّبوه وحالِ من اتَّبعه من العرب الذين باتوا أسعد الناس (ديوان كعب بن مالك، تح1997، ص25)

[البسيط]:

فِينا الرسُولُ شِهابٌ ثُمَّ يَتبعُهُ
نُورٌ مُضيءٌ لَهُ فَضْلٌ على الشُّهُبِ
بَدَا لنا فاتَّبعناهُ نُصَدِّقُهُ
وَكَذَّبوه فكُنَّا أسْعَدَ العَرَبِ
ليسَا سواءً وشتَّى بين أمرِهمَا
حِزْبُ الإلهِ وأهْلُ الشِّركِ والنُّصُبِ

لكن في مقابل هذا النوع من الفخر بالإسلام والنبيِّ صلى الله عليه وسلم والاعتداد باتِّباع النهج القويم، لم يتحلَّلْ بعضُ المخضرمين بشكلٍ نهائيٍّ من الفخر بالقوم والقبيلة والنسب كما هي عادةُ الجاهليين، كقولِ كعب بن مالك (ص53)

[الطويل]:

أَلا أَيُّها السّائِلي عَنْ عَشِرَتي
هَلُمَّ إلى أَهْلِ المكارمِ والفَخْرِ
أنا ابنُ مُبَاري الرّيحِ عمرو بنِ عامرٍ
نَمَوْتُ إلى قحطانَ في سَالِفِ الدّهْرِ
نَصَرْنَا رَسُولَ اللهِ إذْ حَلَّ وسْطَنَا
بِبيضِ اليَمَاني والمثَقَّفَةِ السُّمرِ

فنجد أنَّ الشاعر قد استهلَّ أبياتُهُ بالفخر بأصله وتعداد نسب قبيلته وصفاتها الكريمة، ليخلُصَ بعد ذلك إلى الفخر باتِّباع قومِهِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ونصرته.

هذه النزعة لم تقتصر على كعب بن مالك، فقد استمرَّت مع غيره من المخضرمين، وبرزت في شعر حسان بن ثابت الذي كان يفخر بقومه ومكانة قبيلته قبل الإسلام، واستمرار هذه المكانة الرفيعة بعده إذ يقول (حسان بن ثابت، تحقيق 1994، ص193)

[الطويل]:

وكُنّا مُلوكَ الناسِ قَبلَ مُحَمَّدٍ
فلَمّا أَتى الإسلامُ كانَ لَنا الفَضلُ
وَأَكرَمَنا اللهُ الَّذي لَيسَ غَيرَه
إلَهٌ بِأَيّامٍ مَضَت ما لَها شَكلُ
أولَئِكَ قَومي خَيرُ قَومٍ بِأَسرِهِم
فَما عُدَّ مِن خَيرٍ فَقَومي لَهُ أَهلُ

- **الحماسة**

هي نوعٌ من الفخر يختصُّ بالافتخار بخوض المعارك والحروب، وقد كان رائجًا في الجاهليَّة ويهدف إلى إثارةِ الحميَّة بين أبناء القبيلة لتحفيزِهم على القتال ضدَّ القبائل الأخرى. أمَّا في صدر الإسلام فقد تحوَّل المخضرمون من الحماسة لأجلِ القبيلة إلى الحماسة لحثِّ المؤمنينَ على الجهاد في سبيل الله.

وفي هذا السياق يروي ابن هشام في سيرته (ابن هشام، تحقيق 1955، مج2، ص375) تحت عنوان «تَخَوُّفُ النَّاسِ مِن لقاءِ هِرَقْلَ وَشِعْرُ ابنِ رَوَاحَةَ يُشَجِّعُهُم» أنَّ المسلمين عندما بلغهم أنَّ عدد جيش هرقل مع القبائل الموالية له يقارب المئتي ألفٍ أقاموا في منطقةٍ تُسمَّى «معان» يفكِّرون في أمرهم نظرًا لقلَّةِ عددهم آنذاك مقارنةً بجيش الروم، فَشَجَّعَ النَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَقَالَ: يَا قَوْمِ، وَاَللَّهِ إنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ، لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةُ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إحْدَى الْحُسنيينِ إمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا شَهَادَةٌ»، وأنشد ابن رواحة يحمِّسُهُم على القتال (ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق 1981، ص149)

[الوافر]:

جَلَبنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَإٍ وَفَرعٍ
تُغَرُّ مِنْ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ
حَذَوْنَاهَا مِنْ الصَّوَّانِ سِبْتًا
أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ
أَقَامَتْ ليلتينِ عَلَى مَعَانٍ
فَأُعْقِبَ بَعدَ فترتها جُمُومُ

وكان لهذه الحماسة تأثيرٌ بالغٌ في نفوس المسلمين كانت نتيجته أن مضَوا لقتال الروم وحلفائِهم رغم الفارق العدديِّ الشاسعِ بين الجيشين.

- **شعر العتاب**

هو نوعٌ من اللوم الذي يدور بين الأحبَّة أو الأصدقاء، يسلك في المعاتب مسلك استنكار ما يُعكِّرُ صفو المودَّة بين الطرفين، وقد يهدف للتودُّدِ إليه لثنيهِ عن موقفٍ أو قرارٍ ما. وقد كان هذا الشعر موجودًا في الجاهلية، ولما جاء الإسلام كان لتعاليمه التي بُثَّت في نفوسِ أبنائِه آثارُها في سلوكِهِم مع الآخرين، فتطرَّقَ الشعراء المخضرمون إلى معانٍ في العتابِ لم يألفْها الشعرُ العربي، كعتابِ وُلاةِ الأمور وتوجيهِهِم ، وكلُّ ذلك ضمن الالتزام بأخلاقِ وقيم الدين الإسلامي الحنيف (أبو شارب، 1996، ص–302 304).

وفي هذا السياق يروي ابْنُ هِشَامٍ في سيرته (ابن هشام، تحقيق 1955، مج2، ص497) أنه لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُعَاتِبُهُ فِي ذَلِكَ (حسان بن ثابت، تحقيق 1994، ص120)

[البسيط]:

دَعْ عَنْكَ شَمَّاءَ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا
نَزْرًا وَشَرُّ وِصَالِ الْوَاصِلِ النَّزِر
وَأْتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ
لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدِّدَ الْبَشَرُ
عَلَامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْيَ نَازِحَةٌ
قُدَّامَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا

والملاحظ أنَّ عتاب حسان لم يتجاوز حدود الأدب واللياقة، فكان عتابًا ليّنًا وهادئًا بفعل تأثير تعاليم الدين الإسلامي التي صقلت أخلاقَ الشعراء المخضرمين وهذَّبت أشعارهم، بالإضافة إلى استشعارِهِ مكانةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأدبياتِ خطابِهِ وعتابِه.

– ثانيًا: الأغراض الجديدة التي نشأت في العصر الإسلامي:

- **شعر الفتوح**

كان شعر الفتوح من أهمِّ الأغراض الشعرية التي نشأت في عصر صدر الإسلام، فلم يكن للعرب في الجاهليِّة فتوحاتٌ تُذكَر، با كانوا قبائلَ متفرِّقةً يتناحرون تارةً ويتصالحون تارةً أخرى، ويُغيرُ بعضُهم على بعض، وقد شهدت حقبتهم حروبًا شهيرةً كحرب البسوس وداحس والغبراء، ولمَّا جاء النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأرسى دعائمَ دولة الإسلام، كان الاتّجاهُ لنشر الدعوة الإسلامية في أصقاع الأرض والدفاع عن المسلمين، فنشأ الجهاد في سبيل الله الذي شجَّع عليه النبي والخلفاءُ من بعدِه، فكان للمسلمين فتوحاتٌ في الشرق والشام ومصر وإفريقية. وإزاءَ هذا الواقع الجديد نشأت أشعارٌ ارتبطت بحقبةِ فتح المسلمين لهذه الأقطار سُمِّيَت بشعر الفتوحات. وقد عكفَ الشعراء فيها على وصف المعارك مع أعدائِهِم وذكرِ انتصاراتهم ومواجهاتهم لأهوال الحروب وما يرافق ذلك من تسجيل نتائج هذه الفتوحات، كالاحتكاك بالبيئات الجديدة والحنين إلى الوطن (القاضي، 2005، ص10).

وفي هذا الشأن يروي النابغةُ الجعديّ كيف وقفت زوجته تبكي وتراوده على القعود وعدم اللحاق بجيش المسلمين المنطلِقِ إلى الجهاد، لكنَّه لا يلينُ لبكائِها فيُجيبُها بأنَّ الذي أخرَجَهُ هو كتابُ الله ولا يستطيع ردَّ دعوةِ الله له، وأن لا عذرَ له أو رخصة تخوِّلُهُ تركَ الجهاد كمرضٍ أو عمى، وقد فصّل هذه المعاني في أبياته التي يقول فيها (ديوان النابغة الجعدي، تحقيق1998، ص138-137)

[البسيط]:

باتَت تُذَكِّرِنُي بِاللهِ قاعِدَةً
وَالدَمعُ يَنهَلُّ مِن شَأنَيهِما سَبَلا
يا بنَةَ عَمّي كِتابُ اللهِ أَخرَجَني
عَنكُم وَهَل أَمنَعَنَّ اللهَ ما فَعَلا
فَإِن رَجَعتُ فَرَبُّ الناسِ
وَإِن لَحِقتُ بِرَبّي فَابتَغي بَدَلا
ما كُنتُ أَعرَجَ أَو أَعمَى فَيَعذِر
أَو ضارِعاً مِن ضنًى لَم يَستَطِع حِوَلا

- **شعر التوبة**

وهو من الأغراض الشعريَّة التي نشأت في عصر صدر الإسلام، مع تحوّل كثيرٍ من الشعراء من عبادة الأوثان إلى الإيمان والتوحيد، ومن حياة اللهو والمجون وشرب الخمر، إلى الالتزام بتعاليم الدين الحنيف. فشعر التوبة يعكس ندم الشاعر على معاصيه ورغبته بالعودة إلى الله، وهذا أبو محجن الثقفي يُعلِنُ توبَتَهُ عن شُرب الخمر ويعاهد ربَّه بعدم العودة إليها قائلًا (سالمان، تحقيق2007، ص69)

[الطويل]:

أتوبُ إلى الله الرحيم فإنَّهُ
غفورٌ لذنبِ المرءِ ما لم يُعاودِ
ولستُ إلى الصَّهباءِ ما عِشتُ عائداً
ولا تابعاً قولَ السفيهِ المُعاندِ
وكيفَ وقد أعطَيتُ ربَّي مَواثِقاً
أعودُ لها واللهُ ذو العرشِ شاهدي
سأترُكُها مَذمومةً لا أذوقُها
وإن رَغِمَت فيها أنوفُ حواسدي

- **شعر الدعوة إلى الإسلام**

كانت تعاليم الدين الإسلامي تدعو إلى نشر الإسلام وتبليغه إلى الآخرين عبر دعوتهم بالدخول في سماحة هذا الدين، فقد أُمِرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم بإبلاغ رسالته للبشريةِ جمعاء، وكذلك أمَرَ النبي أتباعَهُ بنشر الدعوة الإسلامية بقوله: «بلِّغوا عني ولو آية» (البخاري، تحقيق1993، مج3، ص1275)، وكان من هؤلاء الذي انبروا لهذه المهمة شعراءُ مخضرمون حملوا على عاتقهم همَّ تبليغِ دعوةِ نبيّهم، فكان شعرهم وسيلة لتبليغ هذا الدين، ككعب بن زهير الذي

أسلَمَ وحَسُنَ إسلامُهُ ثمَّ رَكِبَ إلى قومِهِ يدعوهم للدخولِ في الإسلام، وفي ذلك يقول (ديوان كعب بن مالك، تح1997، ص156)

[الطويل]:

رَحَلتُ إلى قَومي لِأَدعو جُلَّهُم

إلى أَمرِ حَزْمٍ أَحكَمَتهُ الجَوامِعُ

لِيوفوا بِما كانوا عَلَيهِ تَعاقَدوا

بِخَيفِ مِنىً وَاللهُ راءٍ وَسامِعُ

وَتوصَلَ أَرحامٌ وَيُفَرَجَ مُغرَمٌ

وَتَرجِعَ بِالوُدِّ القَديمِ الرَواجِعُ

سَأَدعوهُمُ جُهدي إِلى البِرِّ وَالتُقى

وَأَمرِ العُلا ما شايَعَتني الأَصابِعُ

- **شعر الوعظ والإرشاد**

هو شعر يختصُّ بوعظ المؤمنين وإرشادهم وتحفيزهم لفعل الخيرات وترك المنكرات، وقد أطلق البعض على هذا النوع من الشعر اسم الشعر التعليمي (أبوشارب،1996، ص266). ومن ذلك قول عبد الله بن رواحة حين كان المسلمون منهمكين ببناء مسجد قباء (ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق 1981، ص95)

[الرجز]:

أَفلَحَ مَن يُعالِجُ المَساجِدا

وَيَقرَأُ القُرآنَ قائِماً وَقاعِداً

وَلا يَبيتُ اللَيلَ عَنهُ راقِدا

وَمَن يُرى عَنِ الغُبارِ حائِدا

ففي هذه الأبيات يحثُّ عبد الله بن أبي رواحة المؤمنين على عباداتٍ مخصوصَةٍ في الدين الإسلامي، وهي بناءُ المساجد، وقراءة القرآن، وقيام الليل.

- **شعر الحنين**

نشأ هذا اللون في أشعار المخضرمين بفعل خروج بعض الشعراء إلى الجهاد في سبيل الله والابتعاد عن أحبَّتهم، فكان الشعر متنفَّسَهم الذي يبثُّون فيه اشتياقَهُم وحنينهم إليهم، فهذا أبو ذؤيبٍ الهُذلي يخرج غازيًا إلى إفريقيا مع عبد الله بن الزبير فيأخذه الحنين إلى أمِّ سفيان فيقول (ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق2014، ص109)

[المتقارب]:

أَمِن أُمِّ سُفيانَ طَيفٌ سَرى

إليَّ فَأَرَّقَ قَلباً قَريحا

عَصاني الفُؤادُ فَأَسلَمتُهُ

وَلَم أَكُ مِمّا عَناهُ ضَريحا

خاتمة:

بعد استعراض مفهوم الخضرمة في اللغة ومفهوميها الاصطلاحيَّينِ القديم والحديث، وانعكاساتها على اللغة على مستوى المفردة والجملة والنصّ، يمكن الخلوص إلى النتائج الآتية:

- تعدَّدت الدلالاتُ اللغويّة للخضرمة بين معانٍ متنوّعة كالقطع والكثرة والسعة وجعل الشيء بين بين، والهجنة، ووضاعة النسب، والاختلاط، والجود وغيرها.
- توزَّع المفهومُ القديم للخضرمة بين ثلاثةِ معانٍ هي: الشاعر الذي أدركَ الجاهلية والإسلام أو كلّ من أدركهما، وكلّ من أدْرك الْجَاهِلِيَّة وزمن النَّبِي وَلم يره، وكلّ من أدرك عهدين مطلقا.
- توسَّعَ المفهومُ المعاصِرُ للحضرمة ليشملَ معاني سعةِ الخبرةِ والثقافة، أو قِدَمِ العهد بالسياسة ومعايشةِ أجيالٍ وعهودٍ تاريخيّة.
- كان مبدأ التطور الدلاليّ سببًا رئيسًا في اكتسابِ مفهوم الخضرمة دلالاتٍ جديدةً عبر العصور.
- تمثَّلت انعاكاساتُ الخضرمة على مستوى الكلمة بدخول مفرداتٍ جديدةٍ إلى شعر المخضرمين تنتمي إلى الحقل المعجميِّ الإسلامي. وقد كانت هذه المفردات موجودةً في الجاهلية لمعانٍ معيّنة، لكنَّها اكتسبت دلالاتٍ جديدة في عصر صدر الإسلام.
- كان من أبرز تأثيرات الخضرمة على مستوى الجملة أن اشتمل شعر المخضرمين على تراكيبَ مقتبسةٍ من القرآن الكريم بشكلٍ كليٍّ أو جزئيّ.
- انعكست الخضرمة على نصوص شعراء صدر الإسلام من خلال تنوّع أنماطها وظهور أغراضٍ شعريةٍ جديدة لم تكن موجودةً في الجاهلية، وكذلك من خلال تأثُّرِ أغراضٍ قديمةٍ كانت موجودة في الجاهلية واكتسبت نفَسًا إسلاميًّا جديدًا.

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

– ابن أبي ربيعة، لبيد (2004). ديوان لبيد بن أبي ربيعة (ط1)، تح. حمدو طماس. بيروت: دار المعرفة.

– ابن الأشعث، سليمان أبو داوود (2009). سنن أبي داود (ط1)، تح. شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي. بيروت: دار الرسالة العالمية.

– ابن ثابت، حسّان (1994). ديوان حسّان بن ثابت (ط2)، تح. عبد مهنّا. بيروت: دار الكتب العلمية.

– ابن ثور، حميد (1951). ديوان حميد بن ثور الهلالي، تح. عبد العزيز الميمني. القاهرة: دار الكتب المصرية.

– ابن حنبل، أحمد (2001). مسند الإمام أحمد بن حنبل (ط1)، تح. شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين. بيروت: مؤسسة الرسالة.

– ابن رواحة، عبد الله (1981). ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره (ط1)، تح. وليد قصّاب. الرياض: دار العلوم.

– ابن زهير، كعب (1997). ديوان كعب بن زهير، تح. علي فاعور. بيروت: دار الكتب العلمية.

– ابن فارس، أحمد (1997). الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ط1)، تح. أحمد حسن بسج. بيروت: دار الكتب العلمية.

– ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (1997). كتاب الجراثيم، تح. محمد جاسم الحميدي. دمشق: وزارة الثقافة.

– ابن مالك، كعب (1997). ديوان كعب بن مالك الأنصاري (ط1)، تح. مجيد طراد. بيروت: دار صادر.

– ابن منظور، جمال الدين (1993). لسان العرب (ط3)، تح. إبراهيم اليازجي وآخرين. بيروت: دار صادر.

– ابن هشام، عبد الملك (1955). السيرة النبوية لابن هشام (ط2)، تح. مصطفى السقا وآخرين. القاهرة: مطبعة ومكتبة مصطفى البابي.

– أبو شارب، مصطفى (1996). الظواهر الإسلامية في شعر المخضرمين (ط1). الرياض: دار عالم الكتب.

– الأصفهاني، أبو الفرج (1994). كتاب الأغاني (ط1)، تح. مكتب تحقيق دار إحيار التراث العربي. بيروت: دار إحيار التراث العربي.

– البغدادي، عبد القادر (1997). خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب (ط4)، تح.عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي.

– الجاحظ، عمر بن بحر (2003). كتاب الحيوان (ط2)، تح. محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية.

– الجعديّ، النابغة (1998). ديوان النابغة الجعدي (ط1)، تح. واضح الصمد. بيروت: دار صادر.

– الجمحي، محمد بن سلّام (1980). طبقات فحول الشعراء، تح. محمود شاكر. جدة: دار المدني.

- الجندي، علي (1991). في تاريخ الأدب الجاهلي (ط1). القاهرة: مكتبة دار التراث.

- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (1987). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ط4)، تح. أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين.

- الزمخشري، محمود بن عمرو (1998). أساس البلاغة (ط1)، تح. محمد عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية.

- السيوطي، جلال الدين (1994). تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (ط2)، تح. نظر محمد الفاريابي. الرياض: دار طيبة.

- العاني، سامي (1996). الإسلام والشعر (ط1). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (2005). القاموس المحيط (ط8)، تح. محمد نعيم عرقسوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

- القاضي، النعمان عبد المتعال (2005). شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام (ط1) ز القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

- القيروانيّ، ابن رشيق (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ط5)، تح. محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل.

- الهذلي، أبو ذؤيب (2014). ديوان أبي ذؤيب الهذلي (ط1)، تح. أحمد خليل الشال. بورسعيد: مركز الدراسات والبحوث الإسلامية.

- أولمان، ستيفن (1997). دور الكلمة في اللغة (ط12). تر. كمال بشر. القاهرة: دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع.

- جرير، ابن عطيّة (1986). ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (ط3)، تح. نعمان طه. القاهرة: دار المعارف.

- حلاوي، محمود مصطفى (2003). الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام (ط1). بيروت: دار الذخائر.

- سالمان، محمد (2007). من ديوان الشعر العربي (ط1). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- فيصل، شكري (1959). تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام. دمشق: مطبعة جامعة دمشق.

Sources and References:

- The Holy Quran

- Ibn Abi Rabi'ah, Labid (2004). Diwan Labid bin Abi Rabi'ah (1st ed.), ed. Hamdou Tammas. Beirut: Dar Al-Ma'rifah.

- Ibn Al-Ash'ath, Sulayman Abu

and the traditions of the Arabs in their speech (1st ed.), ed. Ahmad Hassan Basaj. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.

- Ibn Qutaybah, Abdullah bin Muslim (1997). The Book of Germs, ed. Muhammad Jassim Al-Hamidi. Damascus: Ministry of Culture.

- Ibn Malik, Kaab (1997). Diwan of Kaab bin Malik Al-Ansari (1st ed.), ed. Majeed Tarrad. Beirut: Dar Sadir.

- Ibn Manzur, Jamal Al-Din (1993). Lisan Al-Arab (3rd ed.), ed. Ibrahim Al-Yaziji and others. Beirut: Dar Sadir.

- Ibn Hisham, Abdul Malik (1955). The Biography of the Prophet by Ibn Hisham (2nd ed.), ed. Mustafa Al-Saqa and others. Cairo: Mustafa Al-Babi Printing and Library.

- Abu Sharb, Mustafa (1996). Islamic Phenomena in the Poetry of the Veterans (1st ed.). Riyadh: Dar Alam Al-Kutub.

- Al-Isfahani, Abu Al-Faraj (1994). The Book of Songs (1st ed.), ed. Office of Investigation of Dar Ihyar Dawud (2009). Sunan Abi Dawud (1st ed.), ed. Shu'ayb Al-Arna'ut and Muhammad Kamil Qara Balli. Beirut: Dar Al-Risalah Al-Alamiyah.

- Ibn Thabit, Hassan (1994). Diwan Hassan bin Thabit (2nd ed.), ed. Abdul Muhanna. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

- Ibn Thawr, Hamid (1951). Diwan Hamid bin Thawr Al-Hilali, ed. Abdul Aziz Al-Maymani. Cairo: Dar Al-Kutub Al-Masryah.

- Ibn Hanbal, Ahmad (2001). Musnad Al-Imam Ahmad bin Hanbal (1st ed.), ed. Shu'ayb Al-Arna'ut and Adel Murshid and others. Beirut: Dar Al-Risalah.

- Ibn Rawahah, Abdullah (1981). Diwan of Abdullah bin Rawahah and a study of his biography and poetry (1st ed.), ed. Walid Qassab. Riyadh: Dar Al-Ulum.

- Ibn Zuhair, Kaab (1997). Diwan of Kaab bin Zuhair, ed. Ali Faour. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.

- Ibn Faris, Ahmad (1997). Al-Sahibi in the jurisprudence of the Arabic language and its issues

Lil-Malayin.

- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amr (1998). The Basis of Rhetoric (1st ed.), ed. Muhammad Ayoun Al-Sud. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.

- Al-Suyuti, Jalal Al-Din (1994). Training the Narrator in Explaining Taqrib Al-Nawawi (2nd ed.), ed. Nazar Muhammad Al-Faryabi. Riyadh: Dar Taybah.

- Al-Ani, Sami (1996). Islam and Poetry (1st ed.). Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters.

- Al-Fayruzabadi, Muhammad bin Yaqoub (2005). Al-Qamoos Al-Muhit (8th ed.), ed. Muhammad Naim Arqasousi. Beirut: Al-Risalah Foundation for Printing, Publishing and Distribution.

- Al-Qadi, Al-Nu'man Abdul Muttal (2005). Poetry of the Islamic Conquests in Early Islam (1st ed.) Cairo: Library of Religious Culture.

- Al-Qayrawani, Ibn Rasheeq (1981). Al-'Umda fi Mahasin Al-Shi'r wa Adabuh (5th ed.), trans. Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Al-Turath Al-Arabi. Beirut: Dar Ihyar Al-Turath Al-Arabi.

- Al-Baghdadi, Abdul Qadir (1997). The Treasury of Literature and the Core of the Core of the Arabic Language (4th ed.), ed. Abdul Salam Haroun. Cairo: Al-Khanji Library.

- Al-Jahiz, Omar bin Bahr (2003). The Book of Animals (2nd ed.), ed. Muhammad Basil Uyun Al-Sud. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

- Al-Ja'di, Al-Nabigha (1998). Diwan Al-Nabigha Al-Ja'di (1st ed.), ed. Wadih Al-Samad. Beirut: Dar Sadir.

- Al-Jamhi, Muhammad bin Sallam (1980). Classes of the Great Poets, ed. Mahmoud Shaker. Jeddah: Dar Al-Madani.

- Al-Jundi, Ali (1991). In the History of Pre-Islamic Literature (1st ed.). Cairo: Dar Al-Turath Library.

- Al-Jawhari, Ismail bin Hammad (1987). Al-Sihah, the Crown of Language and the Correctness of Arabic (4th ed.), ed. Ahmed Abdul Ghafour Attar. Beirut: Dar Al-Ilm

Hamid. Beirut: Dar Al-Jeel.

- Al-Hudhali, Abu Dhu'ayb (2014). Diwan of Abu Dhu'ayb Al-Hudhali (1st ed.), trans. Ahmad Khalil Al-Shal. Port Said: Center for Islamic Studies and Research.

- Ullman, Stephen (1997). The Role of the Word in Language (12th ed.). Trans. Kamal Bishr. Cairo: Dar Ghareeb for Printing, Publishing and Distribution.

- Jarir, Ibn Atiyah (1986). Diwan of Jarir with the Commentary of Muhammad bin Habib (3rd ed.), trans. Nu'man Taha. Cairo: Dar Al-Ma'arif.

- Halawi, Mahmoud Mustafa (2003). Literary Life in the Early Islamic Era (1st ed.). Beirut: Dar Al-Dhakha'ir.

- Salman, Muhammad (2007). From the Diwan of Arabic Poetry (1st ed.). Cairo: Egyptian General Book Authority.

- Faisal, Shukri (1959). The Development of Love Poetry between Pre-Islamic and Islamic Times. Damascus: Damascus University Press.

1. «الصّورة الفنّيّة في شعر علي زيتون» قصائد زينب أنموذجًا

"The Artistic Image in Ali Zaytoun's Poetry" is an example of Zainab's poems

بقلم الدّكتورة آمنة إبراهيم شكر

طالبة دكتوراه في كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة/قسم اللّغة العربيّة وآدابها/

جامعة الجنان

المشرف الأستاذ الدّكتور علي مهدي زيتون

Written by: Dr. Amina Ibrahim Chokr

PhD student in the Faculty of Arts and Humanities / Department of Arabic Language and Literature / Al_Jinan University

aminachoker71@gmail.com

تاريخ الاستلام24:/ 1/ 2025 تاريخ القبول:31 /1 / 2025 تاريخ النشر:25/ 3 /2025

مستخلص البحث:

تعدّ الصّورة الفنّيّة من أهم الوسائل الّتي تُترجِم ما في داخل الأديب وتنقل أفكاره بطريقة إبداعيّة مشوّقة لتمنح النّصّ قيمة جماليّة عالية وتبعد المتلقّي عن الرّتابة والجمود أمام التّقريريّة البحتة، لذا لا ضير في القول بأنّها أصالة الشّعر وخيمته وهي عين الشّعر وملجأ الشّعراء في التّعبير منذ العصر الجاهليّ لذا اتكأت في بحثي عليها وخصّصتها عنوانًا له لأدرس من خلالها قصائد زينب في ديوان «بين الرّوية والرّؤيا» للشّاعر الكبير علي زيتون. وفي الحقيقة إنّ أوّل ما جرى الوقوف عليه في هذا البحث هومهاد نظريّ يظهر تعريف الصّورة لغة واصطلاحًا ثمّ التّطرّق من خلاله إلى التّشبيه والاستعارة والكناية وبعد ذلك قُدّمَت دراسة إجرائيّة لمكوّنات الصّورة الثّلاثة: التّشبيه والاستعارة والكناية في قصائد «زينب».

كلمات مفتاحيّة: الصّورة الفنّيّة، التّشبيه، الاستعارة، الكناية، زينب، الشّاعر، رؤية.

Research abstract

The artistic image is one of the most important means that translates what is inside the writer and conveys his ideas in a creative and interesting way, giving the text a high aesthetic value and keeping the recipient away from monotony and stagnation in the face of pure reportage. Therefore, there is no harm in saying that it is the originality and tent of poetry, and it is the eye of poetry and the refuge of poets in expression since the pre-Islamic era. So I relied on it in my research and assigned it as a title to study from During which Zainab's poems are in the collection "Between Narration and Vision" by the great poet Ali Zaytoun .In fact, the first thing that was examined in this research was a theoretical background that shows the definition of the image linguistically and terminologically, then simile, metaphor, and metonymy were discussed. After that, a procedural study was presented of the three components of the image: simile, metaphor, and metonymy in Zainab's poems.

Keywords: artistic image, simile, metaphor, metonymy, Zainab, the poet, vision.

مهاد نظري

ظهر الاهتمام بالصّورة الفنّيّة في الأدب العربيّ منذ حركة التّرجمة الّتي عرفها الفكر العربيّ عن الفلسفة اليونانيّة نتيجة الاحتكاك الّذي حصل بين الحضارتين العربيّة والغربيّة. ولمّا كان الأديب إنسانًا يحمل اهتمامات شتّى ووجهات نظر ورغبات ومشاعر ويتأثّر بكلّ ما يدور حوله وتجوب في رأسه أفكار غير متناهية لم يستطع الارتكاز إلى دلالة الأسماء والصّفات، فـ «دلالة الأسماء والصّفات متناهية، أمّا دلالة التّأليف فليس لها نهاية»[1]، لذا انبعثت الصّورة من التّأليف لكي تترجم كلّ ما في داخله:» صورة توحي إلى النّفس بشتّى الإيحاءات، ويؤثّر فيها بمختلف المؤثّرات، حتّى تنطبع في الأذهان، وتستقرّ في الأعماق»[2] ولقد تحدّث العلماء قديمًا وحديثًا عن الصّورة في العمل الأدبيّ، واختلفت آراؤهم في تحديد المراد بها «فكان لكلّ نظرته الخاصّة به وفهمه المعيّن لها»[3] ومن خلال نظرة فاحصة للصّورة نجدها «تستقي حيثيّاتها من علم البيان كالتّشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها»[4] فبلاغة الأديب لا يمكنها أن تظهر بعيدًا عن الصّورة الفنّيّة الّتي تؤدّى بكلّ معانيه بأساليب شتّى وحسب ذوقه وأدبه.

بداية سنتتبّع تعريفات الصّورة لغة واصطلاحًا عند القدماء مرورًا بالغربيّين ثمّ المحدثين العرب في المهاد النّظريّ حتّى نحاط علمًا بأصل تكوينها.

أ–الصّورة لغة: جاء في الصّحاح مادّة «ص و ر» «صوّر تصويرًا (فتصوّر) وتصوّرت الشّيء توهّمت. صوّرته فتصوّر لي. التّصاوير التّماثيل...»[5] و«لفظة الصّورة تشير إلى فعل التّصوير وإلى فعل التّركيب وهما لا يقوم أحدهما دون الآخر»[6] فالتّصور إذًا هو: «مرور الفكر بالصّورة الطّبيعيّة الّتي سبق أن شاهدها

1– الرّمّاني، علي بن عيسى، 1976 م، النّكت في إعجاز القرآن(من ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، تحقيق: محمّد خلف الله ود.محمّد زغلول، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص107.

2 – عبد التّوّاب، صلاح الدّين،1995م، الصّورة الأدبيّة في القرآن الكريم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، ص9.

3– الصّغير، محمّد حسين علي، 1412هـ، **الصّورة الفنّيّة في المثل القرآنيّ**، دار الهادي، بيروت، ط1، ص21.

4– التّونجي، محمّد، 1413هـ، **المعجم المفصّل في الأدب**، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، ص591.

5 – الرّازي، محمّد بن أبي بكر، **مختار الصّحاح**، تحقيق: شرح محمود عقيل، دار الجيل، بيروت، 2002م، مادّة (صور)، ص386.

6– علي، أحمد يوسف، **مفهوم الشّعر عند العبّاسيّين، مصر**، أطروحة دكتوراه ، كلّيّة الآداب، جامعة الزّقازيق، 1984م، ص400.

وانفعل بها، ثمّ اختزلها في مخيّلته»[1] وأمّا التّصوير فهو أن تبرز الصّورة إلى الخارج بشكلها الفنّيّ، فالتّصوّر إذًا عقليّ أمّا التّصوير فهو شكليّ، «إنّ التّصوّر هو العلاقة بين الصّورة والتّصوير، وأداته الفكر فقط، وأمّا التّصوير فأداته الفكر واللّسان واللّغة»[2]

ب_ الصّورة اصطلاحًا عند القدماء والغربيّين والمحدثين: عند دراستنا للأدب العربيّ القديم لن نعثر على تعبير الصّورة الفنّيّة في التّراث الأدبيّ بالمفهوم المتداول الآن، لكننا سنلاحظ أنّ الجذور العربيّة لدراسة الصّورة متوافرة وليست مفقودة، ولقد حظيت الصّورة بمكانة قيّمة عند النّقّاد الّذين اهتمّوا بجمال التّعبير، فأرسطو (Ἀριστοτέλης) مثلًا شرّفها بقوله: «إنّها أعظم الأساليب وهي «آية الموهبة» [3]، «وكان الجاحظ أوّل من سعى إلى التّجديد الدّلاليّ لمصطلح الصّورة وخطوته هذه تمثّلت بمقولته الشّهيرة: «المعاني مطروحة في الطّريق ... فإنّما الشّعر صناعة وضرب من النّسج وجنس من التّصوير»[4]، وقد أثّرت الفلسفة اليونانيّة في نقد قدامة، فتناول مقوّمات الصّورة في الشّعر فجعل له مادّة وهي المعاني، وصورة وهي الصّياغة اللّفظيّة «فالصّورة إذًا، طبقًا لتحديده، الوسيلة أو السّبيل لتشكيل المادّة وصوغها وشأنها في ذلك شأن غيرها من الصّناعات»[5] كما تفاعل العسكريّ أبو هلال مع التّصوير الّذي طرحه الجاحظ قائلًا: «الألفاظ أجساد والمعاني أرواح»[6]ثمّ أضحى البيان على يد السّكاكيّ ومن تبعه «أسير دلالات المطابقة والتّضمين والالتزام وغيرها»[7]

أمّا المذاهب الأدبيّة الغربيّة فقد اهتمّت بالصّورة ووجّهتها وجهة تعبّر عن خصوصيّة مذهب كلّ منها، فقد تبعت الصّورة عند الرّومانسيّين نظرتهم في المعرفة والأفكار التّجريديّة. أمّا

1 – الخالدي، صلاح عبد الفتّاح، 1988م، **نظريّة التّصوير عند سيّد قطب**، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة الجزائريّة، الجزائر، ص74.

2 – الحومانيّ، **الصّورة والتّصوّر والتّصوير**، مجلّة الرّسالة، المجلّد الثّاني، السّنة الثّانية، العدد 64، تاريخ 24/9/1934، ص 1756.

3 – أرسطو، 1967م، **فنّ الشّعر**، ترجمة: محمّد شكري عيّاد، دار الكتاب العربيّ، القاهرة، لاط، ص128.

4 – الجاحظ، عمرو بن بحر، 1424هـ، **الحيوان**، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، ج3، ص67.

5– صالح، بشرى موسى، 1994م، **الصّورة الشّعريّة في النّقد العربيّ الحديث**، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط1، ص22.

6– العسكري، أبو هلال، **الصّناعتين**، تحقيق: مفيد قبيحة، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط2، 1984، ص167.

7– شرف، حنفي محمّد،1965م، **الصّور البيانيّة بين النّظريّة والتّطبيق**، دار النّهضة، مصر، ط1، ص41.

الرّومنسيّين، فقد اعتدّوا بالخيال مصدرًا لصورهم، وصورة الرومنطيكيّين تجلّت في أنّها: «تنفد إلى مخيّلة المتلقّي فتنطبع بشكل معيّن وهيئة مخصوصة ناقلة إحساس الشّاعر تجاه الأشياء»[1] والبرناسيّين تعرّضوا إلى الصّورة من خارج مجال الذّات.

وقد اهتمّ نقّادنا المعاصرون بالصّورة وتوسّعوا في دراستها، فمنهم، من رآها منهجًا يبيّن حقيقة الأشياء في كتابه الصّورة الأدبيّة، ودعا آخرون إلى النّظر إلى الصّورة بحدّ ذاتها والتّخلّي عن التّصنيف المذهبي للشّعر في كتابه الصّورة والبناء الشّعري، أمّا علي البطل فقد رفض أن تقف الصّورة عند حدود الصّور البلاغيّة قائلًا: «لقد رفضت بعض الدّراسات الّتي أنجزت حديثًا عن الصّورة لأنّها تسعى إلى التّقنين النّظريّ للصّورة من وجهة النّظر البلاغيّة القديمة»[2] وقد أشاد الصّائغ بجهود القدماء في دراسة الصّورة في كتابه الصّورة الفنّيّة معيارًا نقديًّا، في حين أنّ الرّباعي قد تأثر كلّ التّأثير بالمناهج الغربيّة وتبنّى بعض أفكارها وآرائها :»إنّ هذه الآراء وأمثالها تعزّز ثقتنا بهذه الوسيلة الجماليّة وتدفعنا للاعتماد عليها في حركتنا نحو اكتشاف المعنى الأشمل للحياة».[3]

والحاصل أنّ من يتتبّع تعريفات القدامى فلن يجد تعريفًا واحدًا موحّدًا وإن كانت الدّلالة واحدة ولعلّ ما انتقيناه من جهودهم في تحديد مصطلح الصّورة يقدّم لنا خلاصة وافية عنه، وعلى ضوء ذلك نجد أنّ قصور اللّغة المنهجيّ يرتكز إلى التّصوير ووحدها الصّورة قادرة على تعويض اللّغة عن قصورها.

ونحن في صدد دراسة المستوى التّصويريّ من ناحية تعويض القصور اللّغويّ بوساطة التّشبيه والاستعارة والكناية في قصائد زينب للشّاعر الكبير علي مهدي زيتون لذا من الواجب أن نتطرّق إلى دراسة نظريّة تمهّد إلى كيفيّة دراسة هذه التّقنيّات في تحليل القصائد.

أوّلًا :التّشبيه

إنّ تعرّف حقيقة التّشبيه يساعدنا في دراسة أدب التّرسّل دراسة معمّقة تخرج الخفيّ من الجليّ وتدني البعيد من القريب وتزيد المعاني رفعة وتكسبها جمالًا ورونقًا

1- الأخضر عيكوس، **الخيال الشّعريّ وعلاقته بالصّورة الشّعريّة**، مجلّة الآداب، عدد1، 1994م، ص77.

2- البطل، علي، 1981م، **الصّورة في الشّعر العربيّ حتّى أواخر القرن الثّاني هجري**، دار الأندلس، بيروت، ط2، ص8.

3- الرّباعيّ، عبد القادر،1984م، **الصّورة الفنّيّة في النّقد الشّعريّ**(دراسة في النّظريّة والتّطبيق)، دار العلوم للطّباعة والنّشر، الرّياض، ط1، ص120.

لأنّه إحدى الأدوات المبتكرة القادرة على تعويض القصور اللّغويّ للكلمات خاصّة أنّ دلالة الألفاظ ما عادت قادرة على سدّ حاجة التّعبير عن أشياء العالم الحسّيّة والمجرّدة هذا من ناحية، من ناحية أخرى جُعل التّشبيه وسيلة من وسائل التّأليف تسلّط الضّوء على جوانب العالم الّتي لم تستطع المشابهة الإفصاح عنها، فلا تكتسب هذه الوسيلة هويّة الفعل الموازن بين شيئين متشابهين إنّما تتركّز وظيفتها على أبعاد من هويّة الشّيء المقروء وإبرازها بهويّة الشّيء الآخر من خلال دمجها بالقرائن الّتي تفسح المجال أمام الدّلالة المطلوبة بالظّهور وهكذا أضحت المشابهة «عمليّة تعبيريّة تفقد طرفيّ التّشبيه هويّتهما الواقعيّة لتقيم على أنقاضها هويّة جديدة هي الحاصل الدّلاليّ الّذي تسرّب إلى أذهاننا جرّاء هذه العمليّة»[1] غير أنّه لا يمكن تغييب أيّ من هاتين الهويّتين لأنّ الهويّة الواقعيّة للعالم المرجعيّ هي الّتي تستحضر هويّة العالم الفنّيّ الجديدة ومن دونها لا يمكن للتّشبيه تقديم خصوصيّة رؤية الكاتب.

ثانيًا: الاستعارة

تقوم الاستعارة على قراءة العالم الفنّيّ وحده بعد أن تعزل عنها الهويّة الواقعيّة للعالم المرجعيّ. هذا العزل الّذي ينقل المتلقّي إلى عالم فنّيّ ذاتيّ بامتياز، إذًا فالاستعارة تغيّب حضور العالم المرجعيّ الكائن في المستعار له لتنتج عالمًا فنّيًّا من خلال المستعار منه. والجدير ذكره «أنّ رؤية الأديب في الاستعارة رؤية مهيمنة تهدف إلى إلحاق رؤية المتلقّي بسببيّتها الخاصّة»[2] وهذا يعني أنّ الشّراكة القائمة بين الأديب والمتلقّي كوّنت شراكة في الرّؤية وقد تشكّلت في الدّرجة الأولى من رؤية الأديب من داخل الاستعارة بهويّتها الفنّيّة وفي الدّرجة الثّانية من رؤية حرّة للمتلقّي من داخل الرّؤية الأولى هذه الرّؤية الّتي تمكّن المتلقّي من الانتقال إلى عالم مختلف له فيه ما للمؤلّف من حرّيّة في التّعبير.

ثالثًا: الكناية

لا يمكن تقديم هذه التّقنيّة التّعبيريّة الجديدة ما لم يُضَوّ على أصل اللّغة (الكلمة)، هذه اللّغة الّتي أوجدت لكلّ محسوس أو مجرّد علامة، وقد كانت هذه العلامة محدودة وعامّة تمنع أشياء العالم الواقعيّ المرجعيّ من التّعبير عن خصوصيّاتها الّتي لا حصر لها،

1- زيتون، علي مهدي، 2012، **أدبية الخطابة الإسلامية**، دار الفارابي، بيروت، لاط، ص76.

2- م.ن، ص142.

ذلك أنّ مفردات اللّغة في إطار هذه المحدوديّة تقف عاجزة عن نقل الأبعاد غير المتناهية الّتي اكتسبتها من عالمها. لذا ظهرت الكناية علامة سيمائيّة دلاليّة إلى جانب العلامتين السّابقتين: التّشبيه والاستعارة، غير أنّ هذه العلامة هي علامة ذات وظيفة كشفيّة تخدم رؤية الأديب وقد تنفد إلى خصوصيّته وأعماق رؤاه مستقلّة أو غير مستقلّة، فإن كانت مستقلّة تكتفي بذاتها الكنائيّ بعيدًا عن التّقنيّات الأخرى، وإن لم تكن فإنّها تتصل بالتّشبيه أو الاستعارة أو الوصف أو غيرها من الأساليب فتستدرجها إلى المدى التّعبيريّ الأبعد لتعبّر عن دلالة احتماليّة تقع في مسافة أبعد، فيتضح من ذلك أنّ هذه العلامة «ليست كغيرها من العلامات السّيمائيّة لأنّ تحيّزها داخل اللّغة يجعل منها مقترِضة للغة بحثًا عن معنى المعنى»[1] هذا الاقتراض الّذي يسعى نحو إبراز الدّلالة الاحتماليّة الأبعد للشّاعر أو الأديب لا الدّلالة التّقريريّة المرجعيّة ولا يكون هذا الاقتراض ما لم يصل المتلقّي إلى نتائج مجهولة تسلّط الضّوء على احتماليّة مفتوحة تضمّها الكناية تحت جناحيها.

1- زيتون، علي مهدي، الكناية ودورها الدّلاليّ في نهج البلاغة، مؤتمر حول نهج البلاغة، إيران، 2018، ص6.

الدّراسة الإجرائيّة

تقوم هذه الدّراسة على معالجة الصّور الفنّيّة في القصائد الآتية :»أسماء زينب، زينب أنثى، زينب يا وجع الحال، ما زالت زينب قائمة، هاء زينب» في ديوان سجال الرّؤية والرّؤيا للشّاعر المثقّف الكبير «علي زيتون».

تتكفّل القصيدة الأولى «أسماء زينب» بجملة من الصّور الفنّيّة إذ شكّلت مكانة «زينب» الجانب الّذي دفع الشّاعر لاستخدام اللّغة تعبيرًا عن رؤيته الخاصّة فبانت «زينب» سرًّا محفوظًا

هل يوجد من يشبه زينب؟

زينب سرّ محفوظ في الوجع البريّ الأوّل للإنسان:

هذا السّر الّذي يعيدنا إلى التّفكّر في ذاك اللّوح المحفوظ الّذي لم يصل إليه إنسيّ ولا جنّيّ من ناحية والوقوف عند الوجع البريّ الأوّل للإنسان من ناحية أخرى، فمهما يكن من أمر إنّ العذابات الّتي تجرّعها الإنسان الأوّل محاولًا تخطّي العقبات الّتي واجهته في أثناء انتقاله إلى حيوات تاريخيّة جديدة هو سرّ استُودع في «زينب» في أثناء تنقّلها مع «الحسين» هو صرخة شعريّة ترسلنا إلى

عالم خاصّ مليء بالأسرار بين الشّاعر و»زينب» الّتي تكشّفت هويّتها الأنثويّة الصّالحة في الأسطر الشّعريّة اللّاحقة.

زينب

صوت يكتنز البرّ الأوّل للأكوان

ففي الحقيقة لم تكن هويّة السّرّ كافية للإضاءة بهويّة زينب الجديدة لذا أضاف الشّاعر إلى سرّه الصّوت الأوّل وبما أنّ «زينب» أنثى فلا بدّ أن يكون ذاك الصّوت صوت حوّاء أمّ البشر وما يملكه من قدسيّة والجدير ذكره هنا أنّ هاتين الهويّتين الجديدتين تشكّلان صورتين متوازيتين لزينب للارتقاء بهذه المخلوقة الإنسيّة الأولى إلى ذات الشّاعر وامتلاكه بصوت الحقّ النّابض.

ويقول في قصيدة أخرى موسومة بعنوان «زينب»:

زينب فاتحة الأزهار

تمشي تتبعها الأشجار

يستحوذ اسم «زينب» في التّشبيه على الأزهار كما تستحوذ فاتحة الكتاب على القرآن، فأمّ الكتاب فضلى السّور و»زينب» فضلى الأزهار، ومن الطّبيعيّ أن ترتبط هذه الأمّ بهويّة فنيّة جديدة بعدما شبّهت باسم اختيرعنوانًا للقصيدة، فالفاتحة سورة تقرأ في الأفراح والأتراح وهي الحديث الأوّل في اللّقاء وهي السّباقة أنّى حللنا، ومع انفعال الشّاعر خرجت الفاتحة عن هويّتها الموضوعيّة إلى هويّة فنيّة تشعّ بزينب فرادة حتّى تبِعَتها الأشجار فشكّلت هذه الاستعارة طريقًا لمن أضلّ طريقه حيث وضعت أحمالها الدّلاليّة عند هويّة فنيّة أفادت بأنّ «زينب» هي القدوة الحسنة لكلّ صغير وكبير وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنّ التّعاون بين التّشبيه والاستعارة أفضى إلى الإفصاح عن خبرة «زينب» وعمق ثقافتها وتجربتها الحياتيّة النّاجحة بما يجعلها مرجعًا يُستحقّ العيش في إمرته أو تحت سلطته.

ويأتي هذا الإنسان الشّاعر في قصيدة «زينب أنثى» بصور فنيّة شتّى ملأى بالأحزان متّسمة بجماليّة لا يمكن تجاوزها:

زينب تحزنها القدس فتبكي

يحزنها أنّ العالم أقصر من قامتها

يحزنها، في هذا العمر النّازف

ترجيع الأبواق

فها هو ذا يرقب القدس من قلب زينب ويرسل إليها انكساراته وغمومه، فلا يخفى

على قارىء كيف أنّ القدس (القضيّة) شكّلت حاجزًا بين الفرح وإنسانيّة المرسل عبر دلالات جديدة نسمت على العالم المتخاذل والماضي المقيّد بسلطة الجبابرة، قلم يستطع شاعرنا إضمار رؤية الخيبة في كلامه وهي الّتي ترينا عجز الفرد أمام الجماعة وكيف لا يكون ذلك؟ والعالم أقصر من قامة زينب، ثمّ إنّ صرخة ترجيع أبواق الكهنة في منعطف تاريخيّ مخضّب بنزيف الشّهداء تومئ إلينا بالرّضوخ والاستسلام لأزلام السّيادة، فالتّبويق يشير إلى تنفيذ الأحكام والتّرجيع يشير إلى الماضي اللّئيم إلى الجهل والعيش بدوّامة التّخلّف فلم تكن الأبواق عند الشّاعر سبعة كما في سفر الرّؤيا للإشارة إلى الملائكة المخلّصين من شرور الأعداء لكنّها أبواق كثيرة محزنة غير معدودة تنذر بالويلات والخوف فلا أمل فيها ولا حياة.

ثمّ يتكفّل في قصيدة «زينب يا وجع الحال» بإعادة النّظر إلى الصّور الفنّيّة فلا ينسى أن يقدّم إلينا أحوال «زينب» المتغيّرة:

زينب حال يسعى الصّوفيّ لتدرّكه

ومقام يتمنّى الصّوفيّ السّكنى فيه

زينب من طين

زينب من نار

زينب تطعم نورسها من حبّات القلب

ومن

وجع الأشعار

ولعلّ أبرز ما يستوقفنا في هذه الأسطر الشّعريّة هو انتقال «الحال» من العالم المرجعيّ الدّال على الهيئة أو الصّفات المتعلّقة بالأمور الحسّيّة أو المعنويّة والمختصّة بالإنسان العاديّ إلى عالم يقصده الصّوفيّ متخلّيًا عن الصّفات البشريّة، متجرّدًا من المطامع الدّنيويّة، مزكّيًا النّفس الأمّارة بالسّوء، مصفّيًا أخلاقه، معمّرًا ظاهره وباطنه، قاصدًا السّعادة الأبديّة لبلوغ خيرالآخرة ونعمها، والشّاعر حين حصر هذه الحال في «زينب» إنّما أراد أن يختصر عمق المشبّه وقداسته ليصبح أمنية لاستقرار الصّوفيّ في أعلى علّيين عند اللّه إذًا يمكننا القول إنّ هذا الاستقرار يفسّر إبعاد المشبّه به «المقام» عن العالم المرجعيّ الخاصّ به على اعتبار أنّه سكن لبني البشر إلى عالم أسمى وأرفع يتمثّل بالوصول إلى اللّه، غير أنّ المشبّه «زينب» يظهر في حال جديدة تُمثّل الصّراع القائم بين الخير والشّرّ، (زينب من طين/ زينب من نار)، والجدير بالذّكر أنّ هذا التّناقض القائم في

«زينب» يعود بنا إلى قصّة الإنسان الأوّل «آدم» المخلوق من الطّين المطبوع على التّواضع والثّبات والمحبّة وحبّ الخير ونقيضه «الشّيطان» المخلوق من النّار المطبوع على الفساد والإهلاك والطّيش والأنانيّة وحبّ الذّات، وما هذان إلّا مُعلّم واحد يقرأ تفاصيله وقسماته شاعر عاشق آلمه الحبّ فثأر لقلبه بالإفصاح عن مواجعه وافتضاح أمر المحبوبة المجبولة خيرًا وشرًّا والتّشهير بها.

وفي قصيدة «ما زالت زينب قائمة» كان اللّافت حضور دلالتين: السّعي والخيبة

وكانت زينب

تحمل منجلها

أو جرّتها كي تملأها

في برّ الله

حقول الله تناهت

حتّى تاهت

عطش النّبع!

ولا نقف هنا عند الهويّات الفنّيّة الجديدة الّتي أكسبتها الصّور الفنّيّة للكلام فحسب إنّما نتأمّل إيمان الشّاعر بزينب، إيمانه بقوّة زينب وبقدرتها على الفعل، وقد حُمّل هذا الفعل من الإيحائيّة ما حُمّل فزينب الّتي تحمل منجلها لم تذهب إلى الحقل وزينب الّتي تحمل جرّتها لم تقصد النّبع كانت تحمل كي تملأ في برّ اللّه، لتترك للقارئ تساؤلات مفتوحة حول كيفيّة سلوكها مع اللّه، لا سيّما أنّ الشّاعر قد أقفل صوره على ما لم يكن بالحسبان، فحقول اللّه تناهت على الرّغم من سعيها إليه وتخلّيها عن حاجات الإنسان الأساسيّة لتأمين استمراريّته والنّبع قد عطش فهي لم تغذّ سيرها إليه، خسرت زينب ما أرادت في صورة قاتمة رسمها الشّاعر لها حزنًا على فقدانها غير أنّ التّعجّب الأخير يمنع المتلقي من إدراك أبعاد النّهاية لأنّ المرسل يسعى إلى تعظيم أمر النّبع في قلب زينب مخاطبًا حماستها الّتي دفعتها إلى الاستغناء عن مكاسب الحياة وأطماعها بالعودة إلى النّبع: إلى قلب الشّاعر.

أمّا «هاء زينب» فقد كان لها حكاية تروى لأنّ الصّور الفنّيّة في هذه القصيدة لا تقلّ أهمّيّة عن سابقاتها:

جاءت زينب كي توقظ فيّ الشّعر

كي توقظ أشعارًا ما زالت في أكمام معانيها

جاءت كي تبحث سرًّا، عن أسرار مبانيها

فتحت زينب أبواب مدائنها

أو عمرتها

دخلت كي تصمت فيها

تستوجب الإشارة أوّلًا وقبل كلّ شيء إلى أنّ مجيء زينب لإيقاظ الشّعر أشعارًا ولبلوغ أسراره استطاع أن يجرّنا إلى القول: بأنّ زينب فاتحة الشّعر وعنوانه، فهي رمز الفرج بعد شقاء وانتظار وهذه الدّلالة قد حدّثتنا عنها الهويّة الفنّيّة الجديدة للشّعر وذلك لأنّ رؤية الشّاعر ألحقت بالشّعر حياة جديدة أزالت عنها غبار الغفلة ولأنّ يقظة الشّعر رسمت له طريق الفلاح والنّجاح و السعادة حتّى سار نحو النّور ببصيرة المتمكّن العارف بالخفايا. وهكذا تنتهي حكاية «هاء زينب» في المعاني والمباني والمدائن والعمرة بعد أن أدخلت الشّعر في مرحلة جديدة من العرفانيّة والانتصار.

خاتمة البحث

إنّ أبرز النّتائج الّتي تمخّض عنها هذا البحث تتوزّع على الشّكل الآتي:

1_ قدرة الصّورة الفنّيّة في التّعبير عن رؤية الشّاعر الخاصّة تجاه عالمه واستخدام المرأة وسيلة للبوح بهذه الرّؤية وذلك من خلال إزالة الحدود بين الذّات والآخر.

2_ امتلك الشّاعر منطقين: منطقًا يائسًا من التّغيير يحاكي فيه التّاريخ العربيّ وآخر قد خلط فيه مشاعره الصّادقة بثقافة نابضة قادرة على النّهوض.

3_ دخل الشّاعرمناخًا ثقافيًّا راقيًا لذّ له في أثناء سلوكه طريق الانفتاح على عالم المرأة فلم يستطع الصّمت أمامها بل أفشى أسراره شعرًا وجمالًا.

4_ نجحت الصّور الفنّيّة من تشبيه إلى استعارة فكناية إلى حدّ بعيد في جعل المتلقّي جزءًا من آليّات اشتغال العالم الفنّي الّذي أنتجته.

قائمة المصادر والمراجع:

1_التّونجي، محمّد، 1413هـ، المعجم المفصّل في الأدب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1.

2_زيتون، علي مهدي،2012، أدبية الخطابة الإسلامية، دار الفارابي، بيروت، لاط._2015، سجال الرّؤيا والرّؤية، دار العودة، لاط._ الكناية ودورها الدّلاليّ في نهج البلاغة، مؤتمر حول نهج البلاغة، إيران، 2018.

List of sources and references:

1 _Al-Tunji, Muhammad, 1413 AH, The Detailed Dictionary of Literature, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed.

2 _Zaytoun, Ali Mahdi, 2012, The Literature of Islamic Rhetoric, Dar Al-Farabi, Beirut, ed.

,2015_The Debate of Vision and Vision, Dar Al-Awda, ed.

_Metaphor and its Semantic Role in Nahj Al-Balagha, Conference on Nahj Al-Balagha, Iran, 2018.

باب العلوم السياسية والقانونية:

1.العمليات السيبرانية وتأثيرها على تحولات السيادة في الفضاء السيبراني

Cyber Operations and Their Impact on Sovereignty Transformations in Cyberspace

بقلم الباحث: محمد محمود زيتون

طالب دكتوراه في جامعة بيروت العربية / كلية الحقوق والعلوم السياسية، فرع علوم سياسية

إشراف أ. د. إبراهيم شاكر

Muhammad Mahmoud Zaytoun

PhD student at Beirut Arab University / Faculty of Law and Political Science, Political Science Department

mzeitoun@outlook.com

تاريخ الاستلام: 2025/1/24 تاريخ القبول: 2/ 3/ 2025 تاريخ النشر: 25/3/ 2025

مستخلص البحث:

تتناول الدّراسة مفهوم العمليّات السّيبرانيّة وتأثيرها على تحوّلات السيّادة في الفضاء السيبراني، حيث كانت العمليّات السيادة السّيبرانيّة ركيزة أساسيّة للدّراسة، تناولت إطاراً نظرياً للسيادة والعمليات السيبرانية الفضاء السيبراني، وناقشت مفهوم العمليات السيبرانية وخصائصها وانواعها وتصنيف العمليّات السّيبرانيّة بما فيها الهجوميّة والدّفاعيّة في إطار عمليٍّ وأكاديميٍّ، وإبراز التّأثيرات التي تؤثّر على السّيادة السّيبرانية من انتهاكات وتدّخل سيبراني. وبعد فهم طبيعة المتغيّرات، اقترحنا قيام معاهدة تنظّم الفضاء السيبراني والعمليات السيبرانية، وبناء استراتيجيّة أمن سيبراني دوليّة للتّخفيف من أثر العمليّات السّيبرانيّة ولحماية سيادتها الرقمية.

كلمات مفتاحية: السيادة السيبرانية، العمليات السيبرانية، الفضاء السيبراني

Abstract:

The study addresses the concept of cyber operations and their impact on transformations in sovereignty within cyberspace. Cyber sovereignty served as a fundamental pillar of the study, which provided a theoretical framework for sovereignty and cyber operations within cyberspace. It discussed the concept, characteristics, and types of cyber operations, as well as the classification of cyber operations, including offensive and defensive ones, in both practical and academic contexts. The study highlighted the effects on cyber sovereignty, such as violations and cyber interference. After understanding the nature of these variables, the study proposed the establishment of a treaty to regulate cyberspace and cyber operations, along with the development of an international cybersecurity strategy to mitigate the impact of cyber operations and protect digital sovereignty

Keywords: Cyber sovereignty, cyber operations, cyberspace

مقدمة:

في هذا العصر المتسارع، أصبح فيه الفضاء السيبرانيّ أحد الميادين الحيويّة التي تُعاد فيه صياغة مفاهيم تقليديّة عديدة، كالسيادة التقليديّة، والقوّة، والامن القومي والوسائل القتالية. ونتيجةً للتطور التكنولوجي والتحولات الذي يشهده هذا الفضاء، اختزلت فيه الحدود الجغرافيّة والسياسيّة وأصبح الفضاء السيبراني مجالاً جديداً لامتدادات السيّادة ومصالح الدول، مما أدى الى ظهور السّيادة السيبرانيّة. إنّ تشابك الفضاء االسيبراني بين الواقع المادي والافتراضي وتوليف الامن السيبراني والعمليات السيبرانية مع القدرات العسكريّة والتكنولوجيّة والاقتصاديّة، حفّز الدول لامتلاك قدرات سيبرانيّة لعسكرة الفضاء السيبراني، والسيطرة على مقدرات الفضاء لتعزيز مكانتها والدفاع عن مصالحها، مما خلق تنافس في الرؤى بين القوى الكبرى كالولايات المتحدة والصين وروسيا حول مفهوم السيّادة السيبرانية ومسالة تدّفق البيانات. ومن جهة أخرى خلق تحديات حول تعريف مفهوم السيّادة السيبرانيّة في ظل تزايد العمليّات السيبرانيّة وتعقيد الفضاء السيبراني. ومع اشتداد تنوّع العملياّت السيبرانيّة وتزايد استخدامها في تحقيق المصالح، أصبحت أداة جذابة لتحقيق الأهداف العابرة للحدود وتتسابق الدول على توظيف العمليّات الدفاعيّة والهجوميّة في استراتيجيّاتها الوطنيّة ووحداتها العسكريّة.

وبناء على ما جاء، سنحاول من خلال هذه الورقة تقديم تعريفا موحداً للسيّادة السيبرانيّة، وخلق توازنًا بين حماية المصالح وضمان انفتاح الإنترنت وحقوق المستخدمين، لإذابة التناقض في وجهات النظر بين القوى الكبرى. والتركيز على مفهوم العمليات السيبرانيّة وخصائصها، للتشديد على ضرورة تبني استراتيجيّات للأمن السيبراني والتوّصل الى معاهدة رقميّة تنظّم الفضاء السيبرانيّ والأنشطّة السيبرانيّة.

أهمية الموضوع: تكمن أهمية البحث في تحليل مفهوم العلميات والسيادة السيبرانية، واستكشاف التحديّات التي تواجه الدول في الحفاظ على سيادتها السيبرانيّة، وأهمية دور العمليّات السيبرانية في زعزعة الاستقرار بين الدول، واستعراض تطورها كأداة مبتكرة للتأثير والتدّخل في شؤون الدول، وانتهاك السيادة، فضلاً عن كونها إحدى الوسائل

الحديثة في الصراعات الدولية.

أهداف البحث: تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على مفهوم السيادة السيبرانيّة، وتداعيات العمليات السيبرانية في الساحة الدولية.

إشكالية البحث: اصبحت العلميّات السيبرانيّة ظاهرة متنامية تلعب دوراً مزعزعاً في النظام الدوليّ المعاصر، خاصة بعدما أصبح الفضاء السيبراني ميدانًا جديدًا للصراع والتنافس بين الدول، والتباينات حول مفهوم السيّادة السيبرانيّة، وهنا تبرز إشكالية. كيف تؤثر العمليات السيبرانية على مفهوم السيادة في الفضاء السيبراني؟

منهجية البحث: سنتناول في هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي لتوصيف العمليات السيبرانية ومفاعليها على الدول، وتحليل التحولات التي طرأت على السيّادة السيبرانيّة كمجال جديد في الديناميكيّات الدوليّة في الفضاء السيبراني.

تصميم البحث:

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للسيّادة والعمليّات السيبرانيّة

المطلب الأول: مفهوم السيّادة السيبرانيّة في الفضاء السيبراني

المطلب الثاني:مفهوم العمليات السيبرانيّة وخصائصها

المبحث الثاني: أثر العمليّات السيبرانيّة على السيّادة السيبرانيّة

المطلب الأول: العمليّات السيبرانيّة وانتهاك السيّادة

المطلب الثاني: استراتيجيّات الدول لحماية سيادتها الرقميّة

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للسيّادة والعمليَات السيبرانيَة

السيّادة والعمليّات السيبرانيّة مفهومين ناشئين متضّادين في سياق العلاقات الدوليّة والفضاء السيبراني، لكنهما مرتبطين بالنمو الرقميّ. السيّادة السيبرانيّة تزداد تمدداً وتأثّراً، والعمليّات السيبرانيّة تزداد تعقيداً وتأثيراً، إلا إنّ مصطلح العمليات السيبرانيّة يشمل الحروب السيبرانيه والإرهاب السيبراني والهجمات السيبرانيه والجريمة السيبرانيه وسائر الأنشطة الخبثة، وكلها ترمي الى إحداث ضرر في العالم الحقيقي في الدول وشعوبها ويهدد السلام والامن الدوليين، بينما السيادة جاءت في البداية نتيجة لتطور الفكر الفلسفي عند توماس

هوبز وجان جاك روسو، ثم نتيجة للتفاعل المعقد بين التطورات السياسية والفكرية في أوروبا على مدار سنوات من الحرب وتطوّر الفكر والسلطة، مما أرسى مفهوم الدولة الحديثة والعلاقات الدولية، لتصبح السيّادة ناظمة للعلاقات الدولية قائمة على مبدأ المساواة وعدم التدّخل باي وسيلة. ولكن بسبب الترابط التكنولوجي والشبكي وظهور العمليات السيبرانية، وتنكّر المهاجمين وقدرتهم على شن عمليات سيبرانية عن بعد، أصبحت تؤثر على الثقة بين الدول، وتساهم في الصراعات السياسية والعسكرية والاجتماعية.

وانطلاقاً مما سبق، سنتناول في هذا المبحث مطلبين، الأول يبيّن مفهوم السيّادة السيبرانيّة في الفضاء السيبراني وجملة من التناقضات بين القوى الكبرى، والثاني يفصّل مفهوم العمليات السيبرانية وخصائصها نطاقها.

المطلب الأول: مفهوم السيّادة السيبرانيّة في الفضاء السيبراني

السيادة في مفهومها التقليدي، هي بأن الدولة في طابعها الداخلي هي سيّدة على اقليمها ذات سلطة مطلقة منفردة على كامل ارضها وشعبها، ولها حرية كاملة باختيار نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتضع الأنظمة والقوانين وتحتكر جميع قوانين الدولة والسلطات، بالإضافة الى الامن والسلاح ومواردها والاستثمار، وكل الوظائف الضرورية على الأقاليم البحرية، الجوية والبرية دون منازع. الطابع الخارجي للسيادة قائم على مبدأ مساواة السيادة بين الدول، ومبدأ عدم التدخل بالشؤون الدخيلة او عدم اللجوء الى استخدام القوة ضد أي دولة. ولكن بفضل الفضاء السيبراني والأنشطة الرقمية المتنوعة، تمّ توسع مفهوم السيادة ومصالح الدول، فلم تعد السيادة مقتصرة على الأرض والمجال الجوي والمياه الإقليمية، بل امتدَّ مفهوم السيادة ليشمل الفضاء السيبراني، كمجال تسعى فيه الدول إلى فرض سيطرتها على الأنشطة السيبرانية التي تتم داخل حدودها الافتراضية وخارجها.

1. **مفهوم السيادة السيبرانية:**

إن تزايد الاعتماد على التكنولوجيا في معظم المجالات جعلت من الفضاء السيبراني جزءاً لا يتجزأ من حياة البشريّة، وساهم في فرض تحولات على مفهوم السيادة التقليدية وعناصرها، فالرقعة الجغرافية أصبحت عالمية، والمصالح

تمّت رقمنتها، والافراد أصبحت أفراد رقميّة تعرف بـ (Netizen)، ومجالات السيادة أصبحت شبه رقميّة، كلّها ادّت إلى مفهوم السيادة السيبرانية، مفهوم تتنافس فيه الدول القومية والجهات الفاعلة على تملّك البيانات واستعمارها، واحتكار أدوات السيطرة الرقمية من صناعة التقنيات والخدمات الرقمية، او من خلال الانشطة المتمثلة بالعمليات السيبرانية.

على إثر هذه التحولات، قدمّت وكالة أنباء شينهوانت تفسيرا مهماً للسيادة السيبرانية تميّز بطابعين داخلي وخارجي: داخليًا تشير السيادة السيبرانية إلى التطوير المستقل والإشراف والمراقبة في إدارة شؤون الإنترنت الخاصة بالدولة، وخارجياً تشير السيادة السيبرانية إلى منع الإنترنت الخاص بالدولة من الغزو والهجوم الخارجي. رغم الاعتقاد، ان السيادة السيبرانية تشير إلى سيادة الفضاء السيبراني بدلاً من «السيادة على الإنترنت».[1] وكما يؤكّد ميثاق الأمم المتحدة سيادة الدول كمبدأ أساسي، وتتمتع كل دولة بالسيادة الكاملة والحصرية على أراضيها، بما في ذلك عمليات الفضاء السيبراني التي تنشأ من بنيتها التحتية الرقمية أو الموجّهة نحوها.[2] والسيادة السيبرانية في جوهرها، تشير إلى قدرة الدولة على السيطرة على الفضاء السيبراني داخل حدودها الجغرافية وحمايته من التهديدات الخارجية، بالإضافة إلى إدارة وتنظيم الأنشطة السيبرانية على أراضيها. وهذا التعريف ظهر على الرغم من أن مفهوم السيادة السيبرانية لم يتبلور أو يكتسب شكله النهائي بعد، بفضل التطورات الرقمية المستمرة، وما زال يشكل موضوعًا للنقاش بين المنظمات غير الحكومية التي تسعى للدفاع عن الحريات الرقمية.[3]

– السيادة السيبرانية وأبرز التحولات

الفضاء السيبراني هو مجال افتراضي يتكون من الشبكات الإلكترونية والبنية

1 Binxing Fang – Cyberspace Sovereignty–Springer Singapore, science press Beijing springer ,2018, 78.

2 – Cyber espionage and international law, available on internet, https://www.cyber–espionage.ch/Law.html, visited on 23–7–2024.

3– Gourley, Stephen K., "Cyber sovereignty. In Conflict and Cooperation in Cyberspace: The Challenge to National Security, eds. Panayotis A. Yannakogeorgos, and Adam B. Lowther ,Boca Raton: CRC Press, 2013, P.P.277–289.

التحتية الرقمية التي تربط الناس والأجهزة والبيانات في جميع أنحاء العالم، بما فيه الإنترنت، وأنظمة التحكم الصناعية، وأجهزة إنترنت الأشياء، والأنظمة العسكرية، أي هو المجال الذي تُمارس فيه السيادة السيبرانيّة، ولكن بسبب تفاعل الدول سيبرانيا وسياسيا فيما يتعلق بالأمن السيبراني ومواجهة التهديدات السيبرانية، وحماية الخصوصية والحرية والتنمية الرقمية، والحفاظ على الامن القومي وسلامة أصولها واستثماراتها. فأصبحت السيادة السيبرانية من أكثر المفاهيم تأثرا في الفضاء السيبراني خاصة بما يتعلّق بسلطة الانترنت وتدفّق المعلومات. وفي هذا السياق، لا بدّ من الإشارة، إلى أّن صبغة النظام السياسي الحاكم يلعب دورا كبيرا في التفاعل الرقمي وحوكمة الإنترنت والبيانات وآلية امتداد السيادة السيبرانية، على سبيل المثال الصين وروسيا عززا سلطتهما في إدارة التدفقات الرقميّة والانترنت التي تعبر بنيتهما التحتية خشية على أمنهما القومي من التجسس السيبراني والصناعي والسياسي، بما ينسجم مع مبادئهم السياسية تجاه ما يعتبرونهم أعداء تقليدين لهم.

ونتيجة لذلك، قامت روسيا والصين تبني مفهوم للسيادة السيبرانية يبرر مراقبة المحتوى الرقمي وتديق التدفقات خلافا لمفهوم السيادة لدى الدول التي تتبنى الليبرالية على رأسها الولايات المتحدة والدول الاوروبية. لذلك ظلت السيادة محل نزاع وغموض لتفسير ونشر المعنى الذي يناسب مصالح الدول وتدخلها، ولذلك قال بروس شاينر،[1] في كتابه البيانات وغولياث(Data and Goliath)، إن حركة السيادة السيبرانية في بلدان مثل روسيا والصين والسعودية تلقت صدمة قوية بعد كشف التنصت الخطير الذي تمارسه وكالة الأمن القومي الأمريكية عليهم، وهذا ما اعطى تبرير للصين وروسيا والسعودية لإدارة نشاطاتهم الخاصة.[2]

لذلك أصبحت سيادة الدول في الفضاء السيبراني تتمحور حول تأثير الأمن السيبراني على مفهوم السيادة. بحيث أنّ الفضاء السيبراني ساهم في تعزيز سيادة الدولة من خلال مفهوم «السيادة السيبرانية»، والذي يتمثل في قدرة الدول على فرض سيطرتها في الفضاء السيبراني عبر إنشاء مناطق ذات سيادة وطنية.

1 –بروس شاينر (Bruce، Schneier) خبير أمريكي في مجال الأمن المعلوماتي وحركة البيانات.

2 – Schneier ،Bruce, Data and Goliath: The Hidden Battles to Collect Your Data and Control Your World. New York: W.W. Norton & Company, 2015,P. 78.

يتم ذلك من خلال إجراءات، مثل قطع الإنترنت في أوقات الأزمات السياسية، والتحكم في البرمجيات والخوارزميات بتقنيات الذكاء الاصطناعي، وفرض الرقابة على المحتوى كما هو الحال في تركيا وتايلاند. لذلك لجأت بعض الدول إلى القرصنة الوطنية أو قوانين «توطين البيانات» ما يُعرف بـ «الأنطولوجيا الإقليمية»، التي تمنع نقل البيانات عبر الحدود، كاستخدام الدول أدوات حجب بروتوكول الإنترنت (IP) ومراقبة المناقشات حول المواضيع الحساسة، ومنع الوصول إلى مواقع معينة، واستخدام الصين للجدار الناري العظيم، وأنظمة الرقابة الصارمة في كوريا الشمالية. وهذه الإجراءات والتحولات تضع السيادة السيبرانية بين فكي الصراع والنفوذ بين القوى الكبرى حول مفهوم السيادة السيبرانية وتدفق البيانات والتدخل رقيما في شؤون الدول.

2.تناقضات الدول الكبرى حول مفهوم السيّادة السيبرانية وأبعادها السياسية

هناك ثلاثة تناقضات حول السيادة السيبرانية، تعرقلها السيطرة والتحكم والمصالح من جهة، وتحديات تخلقها العمليات السيبرانية من جهة اخرى، ويدور الجدال حول ثلاث جهات فاعلة رئيسية في الفضاء السيبراني: الدولة القومية، والمواطن، والمجتمع الدولي، وكل جهة تريد التركيز فقط على مصالحها الخاصة، وتتجاهل كل جهة فاعلة مصالح الطرفين الآخرين، الأمر الذي قادنا إلى الوضع الحالي، وهو الوضع الذي يصعب فيه التوصل إلى تسوية لتحقيق فهم السيادة السيبرانية وإدارة المصالح والتحكم فيها. إن الجهات الفاعلة التي تسبب التناقض بين السيادة السيبرانية وروح الإنترنت هما الدولة والمجتمع الدولي، وبين السيادة السيبرانية وحقوق الإنسان تقف الدولة والمواطن، وإنّ التناقض بين السيادة السيبرانية وحوكمة أصحاب المصلحة المتعددين يشمل الدولة، والمواطن، والمجتمع الدولي. مما جعل السيادة السيبرانية محوراً للجدال تجتزئها المصالح، تتراوح بين التشريعات المحلية والدولية والأنظمة الحاكمة والحوكمة وسياسات الامن السيبراني والعمليات السيبرانية وتتمثل في ثلاثة تناقضات على الشكل التالي:

– التناقض بين السيادة السيبرانية وروح الإنترنت: السيادة السيبرانية تشير إلى مبدأ أن الدول لها الحق في التحكم في

الفضاء السيبراني داخل حدودها، بما في ذلك إدارة وتنظيم الإنترنت والسيطرة على البيانات والمعلومات التي تنتقل عبر شبكاتها،[1] وهذا قد يدفع كل دولة إلى إنشاء فضاء سيبراني منفصل خاص بها، مما يؤدي إلى تجزئة الإنترنت إلى أجزاء مختلفة تخضع لقوانين وسياسات مختلفة.

– التناقض بين السيادة السيبرانية وحقوق الإنسان: ويعكس هذا التناقض حقوق الانسان الرقميّة وسيادة البيانات والإنترنت على السيادة السيبرانيّة،[2] حيث يشهد هذا التناقض تفاوتًا في التعامل بين الدول الديمقراطية والدول ذات الأنظمة القمعيّة، وتستخدم ومعظم الحكومات تقنيات التجسس الرقمي لمراقبة نشاطات مواطنيها عبر الإنترنت، بما في ذلك مراقبة وسائل التواصل الاجتماعي والمنتديات. فتتدخل الدول باسم السيادة السيبرانية وحجّة امنها الوطني وتسن القوانين لمراقبة المحتوى وتقييد حرية التعبير وحجب المواقع، ومعاقبة الأفراد الذين يعبّرون عن آرائهم مثل اعتقال النشطاء والصحفيين، على سبيل المثال الصين تستخدم جدار الحماية العظيم (Great Firewall of China) لتنظيم الوصول الى الشبكة المحلية ومراقبة المحتوى وتقييد الوصول، وتبرره بحماية الأمن الوطني ومنع الجرائم السيبرانية وتنظيم البيانات.[3]

– التناقض بين السيادة السيبرانية وأصحاب المصلحة المتعددين في التحكم: يثير هذا التنتقض جدلاً حول نمط إدارة الإنترنت،[4] فالحكومات ترى أن لها الحق السيادي والطبيعي في تنظيم الفضاء السيبراني لحماية أمنها الوطني ومصالحها الاقتصادية، وأصحاب المصلحة المتعددين (القطاع الخاص، المجتمع المدني، الأكاديميين،منظمات دولية) يصرون على توزيع السلطة وكيفية إدارة الفضاء السيبراني والمشاركة في اتخاذ القرارات بشكل تشاركي وجماعي لتعزيز الشفافية والمساءلة و مراعاة المصالح العالمية والمحلية على حد سواء، بينما الدول تحتكر سن القوانين لفرض سيطرتها الكاملة على

1- Hao Yeli, A Three-Perspective Theory of Cyber Sovereignty, PRISM Volume 7, No 2,P.3.

2 - Hao Yeli, ibid, P.3.

3 Baidu and CloudFlare Boost Users Over China's Great Firewall, available on internet https://www.benton.org/headlines/baidu-and-cloudflare-boost-users-over-chinas-great-firewall, visited 13-7-2024.

4- Hao Yeli, Ibid.,. P.3.

سيادة الفضاء السيبراني ، من خلال القوانين والقيود الصارمة واللوائح التي تنظم استخدام الإنترنت ، وذلك يتعارض مع مبادئ الشفافية والتعاون. ويعوّق التجارة الإلكترونية العالمية ويؤثر على حرية تدفق البيانات.

وهذه التناقضات جاءت بناءً على اختلاف وجهات النظر بين الدول الكبرى، حول كيفية السيطرة على الفضاء السيبراني والمهيمنة على النظام الدولي القائم للحفاظ على وجودها ودورهم الدولي. وتوضيحا لوجهات النظر وضعنا في الجدول

ادناه رؤية كل دول للفضاء السيبراني وأدوات السيطرة على السيادة السيبرانية.

اختلاف وجهات النظر حول الفضاء السيبراني[1]		
القضية	الولايات المتحدة والمملكة المتحدة	روسيا والصين
الفضاء السيبراني	فوضوي	فضاء سيادي
التنظيم	دور مركزي للقطاع الخاص ولا حاجة ضرورية لتدخل الحكومات	دور مركزي للدولة وضرورة التدخل الحكومي
حوكمة الانترنت	مشاركة كافة أصحاب المصلحة (حكومة، قطاع خاص، أكاديمي، مجتمع مدني)	دور أساسي للدول ووضع قواعد ومنظمات جديدة للتعامل مع الظاهرة المستحدثة

-السيادة الخارجية: السيادة الخارجية هي مصدر حصانة الدولة مما يجعلها تمارس الأنشطة السيبرانية بحرية في علاقاتها الدولية وفي صياغة سياستها الخارجية. وتتبع السيادة الخارجية مبدا المساواة السيادية بين الدول كما هو معترف به في المادة 2 من ميثاق الأمم المتحدة،[1] ولها حرية الانخراط في أنشطة سيبرانية خارج أراضيها وفقًا للقانون الدولي فقط ، وبالانضمام الى اتفاقيات دولية تتعلق بالأنشطة السيبرانية وتقرير ما إذا كانت ستختار الانضمام إلى أنظمة معاهدات سيبرانية محددة أو إصدار تعبيرات عن الرأي القانوني بشأنها لأي ممارسة سيبرانية معينة في دولة معينة، ولا تكون الدولة ملزمة بالموافقة على قواعد معاهدة معينة تحكم الأنشطة السيبرانية لأجهزتها أو مواطنيها أو السلوك الذي يجري في

1 - Charter of the United Nations, available on internet, https://legal.un.org/repertory/art2.shtml , visited on 29-7-2024.

أراضيها السيادية. ويدعم الميثاق أن مشاركة الدولة في العمليات السيبرانية بحكم سيادتها الخارجية لا يخل بمعايير المعاهدات الملزمة أو القانون الدولي العرفي ويحرم انتهاك سيادة، والتدخل، واستخدام القوة.

2.2 المطلب الثاني: مفهوم العمليّات السيبرانيّة وخصائصها

أصبحت العمليّات السيبرانيّة أداة محوريّة في الاستراتيجيّات الأمنيّة والعسكريّة للدول والمنظمات الدوليّة، وسلاح استراتيجي بيد الدول إلى جانب قدراتها التقليدية، وأصبحت إحدى مكونات القوة الشاملة للدول. ويمكن تصنيفها إلى جزئين رئيسيين، العمليات الهجوميّة (OCO) وهي الأنشطة التي تستهدف اختراق الأنظمة والشبكات وتدمير البيانات، تعطيل الأنظمة الحيويّة. والعمليّات الدفاعيّة (DCO) التي تهدف إلى حماية الأنظمة والشبكات من تهديدات العمليات الهجومية، والكشف عنها، وتعزز الأمن السيبراني.

1. مفهوم العمليات السيبرانية أنواعها

العمليّات السّيبرانيّة (Cyber operations): يشار إليها أحيانًا باسم عمليّات الفضاء السّيبراني أو عمليّات شبكة الكمبيوتر (CNO) وهي جزءًا من الحروب الحديثة. فالعمليّات السّيبرانية هي مجموعة من الأنشطة (الهجوميّة والدّفاعيّة) تستخدم القدرات السّيبرانية في الفضاء السيبراني بهدف تحقيق أهداف محدّدة وتنفّذ في الفضاء السّيبراني أو من خلاله. ويتنوّع استخدامها في جمع المعلومات الاستخباراتيّة، وتعطيل أو تدمير الأنظمة والشّبكات الإلكترونيّة، لأغراض قوميّة أو سياسيّة واقتصادية، إلى جانب دورها الناشئ في الصّراعات الدّولية والعسكرية.[1] إلا انّ التقدم التكنولوجي لعب دورًا مزدوجًا في العمليات السيبرانية، من جهة الدفاع السيبراني، حيث ساهم الذكاء الاصطناعي وتعلّم الآلة في تحسين قدرة الأنظمة على اكتشاف التهديدات السيبرانية ومحاولات التسلل واصلاحها بسرعة أكبر ودقة عالية. ومن جهة الهجوم يستخدم الذكاء الاصطناعي في أكتشاف الثغرات وتسهيل عمل القراصنة في مهاجمة الاهداف. على سبيل المثال، التشفير يجعل البيانات أكثر أمانًا ويعزز قدرة الأنظمة على حماية

1- François Delerue, Cyber operations and international law, Cambridge University Press, United Kingdom ,2020, p.29.

المعلومات الحساسة، ولكن مؤخرًا شهدنا أكبر عملية سرقة للعملات المشفرة بتكوين(Bitcoin)، من خلال كسر جسر بلوك شاين(Block chain) ، على الرّغم من تميز البلوك شاين بتشفير معقد للغاية حيث يقوم بعملية تشفير تراكمية مع كل عملية مالية تحصل، ولكن تمّ اختراقه واستولى القراصنة 100 مليون دولار من شركة عملات رقمية.[1] لذلك سنناقش أنواع العمليات السيبرانية وآليات ونطاق عملها والتعقيدات التي تتميز بها، وأدواتها الهجومية والدفاعية.

وفي هذا السياق، نشير إلى أن مصطلح العمليات السيبرانية هو مصطلح أُتفق على استخدامه في المناقشات والنداءات الدولية والاممية مثل الأمم المتحدة، ومجلس حقوق الانسان واللجنة الدولية للصليب الأحمر، وهو مصطلح يشمل (الحرب السيبرانية، الهجمات السيبرانية، الحرب الصامتة، حرب الاصفار، وعمليات واجراءات الامن السيبراني وجميع العلميات الدفاعية والهجومية الى جانب جميع الأنشطة السيبرانية).[2]

- أنواع العمليات السيبرانية الهجومية وأسلحتها: تنقسم العمليات السيبرانية الى قسمين رئيسيين: العمليات السيبرانية الهجومية (Offensive Cyber Operations – OCO) تهدف إلى استهداف الأنظمة والشبكات لتحقيق أهداف عديدة، أهمها: تعطيل خدمات البنية التحتية للخصم ، وتدمير البيانات أو التلاعب بها، التجسس الرقمي وسرقة المعلومات. العمليات السيبرانية الدفاعية (Defensive Cyber Operations – DCO) ويقصد بها الامن السيبراني وتُركز على حماية الأنظمة والشبكات من التهديدات السيبرانية مثل إدارة ومعالجة الثغرات الأمنية ، كشف الهجمات ومنعها ، تصحيح الأنظمة، ويتضمن هاذين النوعين من عمليات أخرى كالعمليات الاستطلاعية والاستراتيجية والحركية لكشف عمليات التجسس وجمع المعلومات الاستخباراتية ولكن كلها تندرج ضمن النطاق والهجومي والدفاعي . وتستخدمها الشركات الكبرى،

1- قراصنة يخترقون جسر «بلوك شاين» ويسطون على 100 مليون دولار من شركة عملات مشفرة، متوافر على الموقع الالكتروني، https://aje.me/bc98ib، تاريخ الزيارة 20-7-2024.

2 - العمليات السيبرانية أثناء النزاعات المسلحة، متوافر على الموقع الالكتروني، https://www.icrc.org/ar/law-and-policy/cyber-operations-information، تاريخ الزيارة 24-11-2025.

والدّول، والاحلاف العسكريّة الدوليّة كالنّاتو، وبعض المجموعات الإرهابيّة او مجموعات القراصنة والافراد وتعتمد على مجموعة من الأسلحة السيبرانية او الأدوات والتّقنيّات المفصّلة في الجدول أدناه:

أدوات العمليات السيبرانية الهجومية والدفاعية[2]	
أدوات العمليات السيبرانية الهجومية Offensive cyber operations Tools	**أدوات العمليات السيبرانية الدفاعية** Defensive Cyber Operations Tools
برامج خبيثة Malware	نظام كشف التسلل Intrusion Detection System (IDS)
التصيّد الاحتيالي Phishing	نظام منع الاختراق Intrusion Prevention System (IPS)
هجمات حجب الخدمة /DoS DdoS	استخبارات التهديد Threat Intelligence
الهجمات المستمرة المتقدمة Advanced Persistent Threats	إدارة المعلومات الأمنية والأحداث Security Information and Event Management (SIEM)
حقن استعلام البيانات SQL Injection	الاستجابة للحوادث الامنية Incident Response (IR)
الرجل في الوسط Man-in-the-Middle (MitM)	منع تسرب البيانات Data Loss Prevention (DLP)
الهندسة الاجتماعية Social Engineering.	جدران الحماية (Firewalls)

2-خصائص العمليات السيبرانية: تتمتع العمليات السيبرانية الهجومية بخصائص لا تتميّز فيها العمليات العسكرية التقليدية، بحيث لا تستخدم أسلحة مادية مثل القنابل، والصواريخ، والدبابات، والجنود لتحقيق أهدافها. تستخدام أدوات وأكواد رقمية صامتة مثل البرمجيات الخبيثة، والفيروسات، من دون أصوات أو إراقة دماء، لكنها تتصف بالإنكار والجحود والغموض. لذلك سنسلط الضوء على بعض الخصائص الرئيسية للعمليات السيبرانية:[1]

التعقيد التقني Technical complexity: من أسس العمليات السيبرانية الهجومية أن تكون معقّده بقدر تعقيد الخصم أو الهدف وربما أكثر حتى لا يتم فهمها أو التعامل معها بسرعة، حيث يستخدم المهاجمون أدوات وتقنيات متقدمة لتنفيذ الهجمات تتطلب فهمًا عميقاً للأنظمة والشبكات المستهدفة.

الخفاء والتخفي Steganography and Stealth : من سمات الهجمات السيبرانية الأساسية تخفي وجودها، مما

1 - Jason Andress and Steve Winterfeld, Cyber Warfare. Techniques, Tactics and Tools for Security Practitioners, Syngress, second edition, 2014, p.p. 103-193.

يجعل اكتشافها صعبًا. تم تصميم العديد من الهجمات الإلكترونية بحيث لا يمكن اكتشافها، مما يسمح للمهاجمين بالتسلل إلى الأنظمة وجمع المعلومات أو التسبب في أضرار دون أن يلاحظهم أحد، وغالبًا ما تظل غير مكتشفة لمدة طويلة، ويستخدم المهاجمون تقنيات مثل الجذور الخفية (Rootkits) والتشفير لإخفاء نشاطهم.

صعوبة الإسناد Difficulty in Attribution: إنّ التعقيدات التي تتمتع والخفاء بها العمليات السيبرانية وذلك نظرًا لاستخدام المهاجمين تقنيات التشفير وتقنيات التعتيم الأخرى، يكون من الصعب إسناد الهجمات السيبرانية إلى أفراد أو مجموعات محددة، مما يعقد جهود الاستجابة ويؤدي إلى تآكل الثقة بين الدول.

الاستهداف الانتقائي والتنوع Selective targeting and diversity: عند فحص الثغرات وتحديد نقاط الضعف يصادف المهاجمون أهدافا جديدة وسهلة الاستغلال، فتتغير استراتيجية فقد تكون الهجمات السيبرانية مستهدفة بشكل محدد أو عشوائي على أهداف معينة مثل الشركات أو الحكومات، بينما يمكن أن تصيب الهجمات العشوائية أي نظام ضعيف. فهي واسعة من الأساليب، من الفيروسات والديدان إلى الهجمات المعقدة مثل هجمات الرّجل في المنتصف وهجمات حجب الخدمة.

السرعة العالية: العمليات السيبرانية عبارة عن برامج وأكواد تنطلق بالفضاء محددة تتكيف مع سرعة الإنترنت، وهي تحدث بسرعة كبيرة، مما يسمح للمهاجمين بتنفيذ أهدافهم قبل اكتشاف الهجوم أو الاستجابة له.

العالمية Internationality: المهاجمون والعمليات السيبرانية ليست مقيدة بموقع جغرافي معين، يمكن للمهاجمين استهداف أنظمة في أي مكان في العالم مما يعزز تعقيد الدّفاعات المطلوبة للحماية ويعيق تحديد الهدف والاسناد.

التكلفة المنخفضة Low Cost: العمليات السيبرانية منخفضة التكلفة مقارنة بالأدوات التقليدية، فأحيانا تكون من تصرف فردي أو من جماعة يتخطى تطويرها الأسلحة المعروفة لأنها مفتوحة المصدر (open resource –Lunix–kali). وتتوفر معظم الأدوات والتقنيات لتنفيذ الهجمات متاحة بسهولة على الإنترنت، فالعديد من الافراد العاديين أو المتدربين يمكنهم تحميل العديد من الأدوات ويقوموا بتجارب بدائية

ويكون لها آثار واسعة.

الاستمرار Persistence: يمكن للعمليات السيبرانية المتقدمة أن تحافظ على وجودها في النظام المستهدف لمدّة طويلة، مما يسمح للمهاجم بجمع المعلومات أو تعطيل العمليات أو استخراج البيانات بمرور الوقت.

3–نطاق العمليات السيبرانية: العمليات السّيبرانية الهجومية لا تلتزم في نطاق جغرافي معيّن، فهي تستهدف أنظمة المعلومات، والبنية التّحتيّة وشبكات الكمبيوتر العالميّة والمحلّيّة، والبنية التحتية المدنية والعسكرية، وكل ألاصول ذات الوجه الرقمي. فهي عابرة للحدود وتتميز بالتأثير الواسع (Widespread impact)، لتميّزها بالمرونة على استهداف أيّ جهاز متّصل على شبكة الإنترنت ، حتى أصبحت تشكل خطرا على ، الاقتصاد، والأمن الوطني، وحتى الحياة اليومية للأفراد. على المستوى المحلي تستهدف أفراد أو منظمات أو بنية أساسية محددة داخل منطقة أو مدينة معينة، وعلى المستوى الدولي فهي واسعة النطاق تصل إلى شبكات بلدان متعددة وكيانات عالمية، مثل هجوم ببرامج الفدية الذي استغل مئات الآلاف من أجهزة الكمبيوتر في أكثر من 150 دولة، وأدّى إلى تعطيل مراكز الرّعاية الصّحيّة وغيرها من الخدمات. وفي هذا السياق، نشير إلى أنّ المهاجمين لا يهمهم القطاع أكثر ما يهمهم وجود الثّغرات والهجوم عليها واستغلالها ، وإنّ أغلب الدول التي تعتمد على التكنولوجيا في قطاعاتها هي الأكثر عرضة للعمليات السيبرانية الهجومية. وأهم القطاعات التي تأثرت بهجمات سيبرانية على مرّ عقدين:

– الخدمات الحكوميّة للدول: هي الأكثر استهدافًا خاصّة القطاعات المالية والأنظمة العسكرية والمؤسسات السّياسية، بما في ذلك الشركات المشغلة لهذه القطاعات وأبرز الأمثلة هجوم SolarWinds في 2020 إبان الانتخابات الأمريكية الذي استهدف سلسلة التوريد ممّا أدّى إلى اختراق شبكات حكومية أمريكية بما في ذلك

وزارة الخزانة ووزارة التجارة،[1] وهجوم OPM في الولايات المتحدة أدّى إلى سرقة بيانات شخصيّة حساسة لما يقرب من 22 مليون موظف حالي وسابق.[2]

-القطاعات الماليّة: هذا القطاع هو الأكثر استهدافا بعد القطاعات الحكومية ويهاجم من قبل جميع أنواع المخترقين لأسباب ماليّة، مثل استهداف البنوك والمؤسسات المالية وأنظمة الدفع، بهدف الاحتيال أو سرقة الأموال أو تعطيل الاستقرار المالي والاقتصادي. وأبرز الأمثلة الهجوم العالمي على النظام البنكي عام SWIFT 2015، مما أدّى إلى سرقة 81 مليون دولار من بنك بنغلاديش المركزي.[3]

-القطاعات الخاصة والشركات: يعتبر هذا القطاع مستنقعا مهما للمهاجمين خاصّة على المؤسسات الصناعية لسرقة الملكية الفكرية أو الأسرار التّجاريّة وأبرزها هجوم كبير على شركة Sony Pictures مما أدى إلى تسريب بيانات حساسة وأفلام لم تُصدر بعد ومعلومات شخصية عن الموظفين.[4]

-مراكز الرعاية الصحية: عادة تستهدف المستشفيات ومؤسسات البحث الطبي والرعاية الصحية، بهدف سرقة المعلومات الصحية الشخصية أو تعطيل الخدمات، مثل هجوم WannaCry Ransomware (2017 أدّى إلى تعطيل الرعاية الصحية وغيرها من الخدمات في بريطانيا وعلى الخدمات

1 - SEC sues SolarWinds over massive cyberattack, alleging fraud and weak controls, Available on internet,https://www.cnbc.com/2023/10/31/solar-winds-defrauded-investors-about-cybersecurity-sec-alleges.html, visited on 22-7-2024.

2 - US OPM Hack Exposes Data of 4 Million Federal Employees, Available on internet,https://www.trendmicro.com/vinfo/de/security/news/cyber-attacks/us-opm-hack-exposes-data-of-4-million-federal-employees, visited on 22-7-2024.

3 - Exclusive - SWIFT confirms new cyber thefts, hacking tactics, Available on internet,https://www.reuters.com/article/world/exclusive-swift-confirms-new-cyber-thefts-hacking-tactics-idUSKBN1412NS, visited on 22-7-2024.

4 - The Hack of Sony Pictures-What We Know and What You Need to Know ,Available on internet,https://www.trendmicro.com/vinfo/us/security/news/cyber-attacks/the-hack-of-sony-pictures-what-you-need-to-know, visited on 22-7-2024.

الصحية الوطنية (NHS). واختراق شركة التأمين الصحي Anthem لهجوم سيبراني أدّى إلى سرقة بيانات شخصية لحوالي 78.8 مليون شخص.[1]

– البنية الأساسية الحرجة: استهداف الخدمات الأساسية مثل شبكات الطاقة وأنظمة إمدادات المياه وشبكات النقل والاتصالات، أهمها الهجوم العربي (أوب إسرائيل) على محطّة تحلية المياه الإسرائيلية، وهجوم Stuxnet الشهير على منشآت إيران النووية،[2] مما أدى إلى تعطيل أجهزة الطرد المركزي المستخدمة في تخصيب اليورانيوم، هجوم على شبكة الطاقة الأوكرانية عام 2015 أدى إلى انقطاع التيار الكهربائي عن أكثر من 225,000 شخص في أوكرانيا.

– القطاع التعليمي: تتعرض الجامعات والمؤسّسات التّعليميّة لهجمات عديدة بهدف سرقة بيانات البحث أو تعطيل العمليات أو الوصول إلى المعلومات الشخصية للطلاب والموظفين أو التزوير وعادة تكون من المبتدئين والقراصنة، وأبرزها الهجوم على جامعة Maryland أدى إلى سرقة معلومات شخصية لأكثر من 300,000 طالب وموظف سابق. وهجوم ransomware على جامعة San Francisco،California في عام 2020 وتم دفع 1.14 مليون دولار للفدية لاستعادة الوصول إلى بيانات البحث الحساسة.[3]

– الهجمات على الأفراد: تطال الهجمات السيبرانية الافراد العاديّين لاستغلالهم وارتكاب جرائم بحقّهم واقتحام خصوصيّتهم مثل سرقة الهوية عبر التصيد الاحتيالي(Phishing)، والبرمجيات الخبيثة(Malware) ، وبرمجيات الفدية(Ransomware) وإجبارهم على الدفع مقابل استرجاع البيانات.

3. المبحث الثاني: أثر العمليّات السيبرانيّة على السيّادة السيبرانيّة

في ظل تصاعد العمليات السيبرانية في

1 – What was the WannaCry ransomware attack?, Available on internet,https://www.cloudflare.com/learning/security/ransomware/wannacry-ransomware/,visited on 22-7-2024.

2 – Stuxnet explained- The first known cyberweapon, Available on internet,https://www.csoonline.com/article/562691/stuxnet-explained-the-first-known-cyberweapon.html,visited on 22-7-2024.

3- University of Maryland CISSM Cyber Attacks Database, Available on internet, hhttps://cissm.liquifiedapps.com/,visited on 22-7-2024.

الفضاء السيبراني، أصبحت العمليّات السيبرانيّة أحد التحديات الناشئة في العالم الرقمي، وخاصة على السيادة السيبرانية والعلاقات الدولية بسبب الانتهاكات التي تحدثها في العالم الواقعي على الأصول والخدمات الرقمية، وتهديد الامن القومي وزعزعة السلم والامن الدوليين، مما جعلها إحدى الاهتمامات الدولية بعد تداخلها في سياق صناعات الذكاء الاصطناعي ، لذلك سنتناول البعد القانوني والسياسي من خلال مطلبين، في الأول يناقش العمليات السيبرانية وانتهاك السيادة، بينما في الثاني سنحاول ان نظهّر استراتيجيات الدول لحماية سيادتها الرقمية ومواجهة العمليات السيبرانية.

1.3العمليّات السيبرانيّة وانتهاك السّيادة

هناك اتفاق متزايد بين الخبراء بأن العمليات السيبرانية تُعتبر انتهاكًا للسيادة، لكن ذلك يعتمد على طبيعة الهجمات وسياقها في إحداث الضرر في إختراق الأنظمة الحكومية، أو كيفية التدخل في الشؤون الداخلية، واستهداف البنية التحتية الحيوية، إلى جانب الاضرار بخدمات الاقتصاد الرقمي الدولي والمحلي. لذلك سنتناول في هذا المطلب أثر العمليات السيبرانية على أبعاد السيادة السيبرانية في الشق القانوني، وتقديم دراسة حالتين تبيّن أثر العمليات السيبرانية على السيادة السيبرانية والاستقرار السياسي.

1.البعد القانوني للسيادة في ظل العمليات السيبرانية:

العمليات السيبرانية تُعَدّ تحدياً كبيراً لسيادة الدول، خاصةً في سياق مبدأي عدم التدخل واستخدام القوة، هذان المبدآن يمثلان حجر الزاوية في العلاقات الدولية، ويشكلان أساساً للمبادئ القانونية والسياسية التي تحكم سلوك الدول في الساحة العالمية، وفقا للقانون الدولي والمواثيق الدولية، لا يجوز للدولة أن تجري عمليات سيبرانية تنتهك سيادة دولة أخرى، ولكن يمكنها قانونيا الرد بموجب ممارسة حق الدفاع عن النفس وتنطبق هذه القاعدة على العلاقات بين الدول، والإجراءات التي تتخذها الدول لا تشمل تصرفات الجهات الفاعلة غير الحكومية ما لم تكن هذه التصرفات منسوبة إلى دولة، لأن الدولة هي الشخصية القانونية الملزمة في ذلك. يقدم دليل تالين وهو كتاب رائد في العمليات السيبرانية، قواعد غير ملزمة حول السيادة والعمليات التي تنتهك السيادة، وقامت مجموعة الخبراء الدولية بتقييم شرعية العمليات السيبرانية

على قاعدتين مختلفين:

درجة التعدي على سلامة أراضي الدولة المستهدفة.

ما إذا كان هناك تدخل أو انتهاك لوظائف حكومية جوهرية.

الأولى تنطلق من فرضية مفادها أن الدولة تتحكم في الوصول إلى أراضيها السيادية، والثاني تنطلق من الحق السيادي للدولة في ممارسة وظائف الدولة داخل أراضيها. والقاعدة الأولى يتم تقيمها على ثلاثة مؤشرات: الضرر المادي، فقدان الوظيفة، والتعدي على سلامة الأراضي التي وقع فيها فقدان الوظيفة. لذلك أي عملية سيبرانية تؤدي الى ضرر مادي باي شكل من الاشكال فهي انتهاكا للسيادة مما يتناقض مع قدسية مبدأ السيادة، الذي يحمي بوضوح سلامة الأراضي من الانتهاك المادي. وأن مثل هذه العمليات قد تشكل أيضًا تدخلاً محظوراً، أو استخدامًا غير قانوني للقوة، أو هجومًا مسلحاً. وكما أقروا بالإضافة إلى الضرر المادي، فإن التسبب عن بعد في فقدان وظائف البنية الأساسية السيبرانية الموجودة في دولة أخرى يشكل في بعض الأحيان انتهاكاً للسيادة، على سبيل المثال، وبافتراض أن المسؤولية تقع على عاتق دولة، فإن فيروس شمعون الذي تطلب إصلاح أو استبدال آلاف الأقراص الصلبة لشركة النفط السعودية أرامكو في عام 2012 يشكل انتهاكاً لسيادة الدولة لأنه أدى الى فقدان وظائف المعدات أو العناصر المادية الأخرى التي تعتمد على البنية الأساسية المستهدفة من أجل التشغيل.

–البعد الخارجي للسيادة في سياق العمليات السيبرانية: البعد الخارجي للسيادة قائم على مبدأ المساواة وعدم التدخل، ومبدأ عدم التدخل هما مبدأ عدم اللجوء للقوة ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية، ولكن يوفر الفضاء الإلكتروني للدول فرصاً للتدخل في الشؤون الداخلية أو الخارجية لدول أخرى، بسبب الترابط العالمي المتزايد والاعتماد المتزايد للدول على تكنولوجيا المعلومات. ولكن تحظر هذه قواعد في القانون الدولي التدخل باستخدام القوة بما في ذلك بالوسائل السيبرانية من قبل دولة واحدة في الشؤون الداخلية أو الخارجية لدولة أخرى، مستندة إلى مبدأ السيادة في القانون الدولي الذي ينص على المساواة السيادية للدول. ومبدأ الامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدام القوة،

تنص الفقرة 4 من المادة 2 من ميثاق الأمم المتحدة بامتناع أعضاء الجماعة الدولية جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة، أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه أخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة.[1]

-مبدأ عدم التدخل: يتعرض مبدأ عدم التدخل لتحدي متزايد بسبب طبيعة العمليات السيبرانية، والتي يمكن أن تؤثر بشكل مباشر على الشؤون الداخلية للدول بطرق لا تستطيع أشكال التدخل التقليدية أن تفعلها، فمن خلال العمليات السيبرانية تتدخل الدول رقميّا في شؤون بعضها بين الدول القوة والضعيفة مثل روسيا واكرانيا وإستونيا دون الصراع او الاستخدام العسكري، وأيضا تحدث بين دول ذات عداء تاريخي طويل مثل روسيا والصين وامريكا، وتكون التدخلات مثل الحروب الباردة، فكل طرف يشن عمليات سيبرانية متعددة الاهداف تستهدف فيها الأنظمة الحكومية أو السياسية لدولة أو البنية التحتية أو الاستقرار الاجتماعي مثل التأثير على الانتخابات. على سبيل المثال الهجمات الروسية التي طالت الانتخابات البريطانية 2016، والامريكية في خريف2021 تزامنا مع انتخابات الرئاسية الامريكية، ووصفها آنذاك وزير الخارجية الامريكية بومبيو بأنه اجتياح رقمي على السيادة الامريكية، وردت كل من بريطانيا وامريكا على الانتخابات الروسية الأخيرة 2024 بعدد كبير من العمليات السيبرانية على نظام التصويت، وكان مصدره أميركا وبريطانيا، وأكدّ كوفاليف «هذه ليست المرة الأولى التي نسجل فيها هجمات على نظامنا... نرى أن معظم الخوادم التي تأتي منها الهجمات، تقع في الولايات المتحدة الأميركية والمملكة المتحدة.[2]

وتؤكد القواعد الدولية، أنّ أي تدخل من قبل أي دولة بوسائل إلكترونية في «الشؤون الداخلية أو الخارجية» لدولة أخرى يعتَبر انتهاكًا لمبدأ عدم التدخل وبالتالي على السيادة الوطنية،[3] وبالتأكيد سيكون له تداعيات على العلاقات الدولية بردود دبلوماسية ضد الدولة

1- يحي ياسين سعود، الحرب السيبرانية في ضوء قواعد القانون الدولي الإنساني، المجلة القانونية، https://jlaw.journals.ekb.eg/article_45192_52d735c1a23cca2bf7dbbe56c4eb6846.pdf، متوفر بتاريخ 2/08/2024.

2 - روسيا: أكبر عدد هجمات سيبرانية على نظام التصويت جاء من أميركا وبريطانيا، متوافر على الموقع الالكتروني، https://tv.ara/wku28، تاريخ الزيارة 2024-108.

3 - مصدر سبق ذكرة

أو الكيان الذي قام بالهجوم، وقد تتخذ إجراءات دبلوماسية أو حتى عقوبات ضد الجهة المسؤولة وتهديدات امنية قد يؤدي إلى تصعيد النزاعات ويعزز من التوترات وتآكل الثقة بين الدول خاصة ان مسالة الاسناد للجهة المهاجمة لم يتم حسمها بعد مما يزيد من وتيرة التوترات بشكل أوسع.

-مبدأ استخدام القوة: السياق التقليدي يخضع مبدأ استخدام القوة في القانون الدولي في المقام الأول لميثاق الأمم المتحدة، الى تقييد استخدام القوة بالدفاع عن النفس أو الإجراءات التي أقرها مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.[1] وفي سياق العمليات السيبرانية، يواجه هذا المبدأ تعقيدات وتفسيرات جديدة بسبب الطبيعة الفريدة للصراعات والهجمات السيبرانية، لأن يمكن أن تتسبب العمليات السيبرانية أضرار مادية أو أذى اقتصادي أو تعطيل للبنية التحتية الحيوية تلزم تطبيق القواعد الدولية عليها كما أشرنا اليها سابقا.

1 - وفقًا للمادة 2(4) من ميثاق الأمم المتحدة، يُحظر على الدول استخدام القوة أو التهديد باستخدامها ضد سلامة أراضي أي دولة أو استقلالها السياسي. وتشمل الاستثناءات من ذلك استخدام القوة للدفاع عن النفس (المادة 51) أو الإجراءات التي أذن بها مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بموجب الفصل السابع من الميثاق.

-العمليات السيبرانية وعتبة القوّة: لا شك أنّ القوة السيبرانية مرتبطة بالعمليات السيبرانية وساهمت الى حد ما بتشكيل القوة السيبرانية وممارسة النفوذ، وتحقيق التفوق والتنافس الدولي. ولكن لهذه القوة عتبة، فلولا وجود الشبكات والانترنت ما وجدت، واذا تعطلت الكهرباء لم تعد شيئا وتتقوقع داخليا ولا تتخطى حدودها، لذلك هي تعمل ضمن اطارها ونطاقها، نعم لها جميع اوجه القوة التقليدية ولكنها ليست قوة بالمعنى المادي قادرة على أن تحل مكان قوة الردع التقليدية، ولكن من خلال شبكة الانترنت قادرة على ان تهدد استثمارات الدول الرقمية كالبيانات الضخمة و والذكاء الاصطناعي والتجارة الدولية وكل تقنية مرتبطة بالإنترنت محليا ودوليا، على سبيل المثال لو كانت الدبابات والاليات العسكرية تعمل على أنظمة سيارات تسلا فان القوة السيبرانية ستحل مكان القوة التقليدية. لذلك هي قوه لها عتبة على الرغم من الضرر المادي الذي تحدثه، ولكن التحدي هو تحديد متى تصل العملية السيبرانية إلى عتبة «الهجوم المسلح» الذي يبرر الاستجابة العسكرية التقليدية. وهذا ينطوي على تقييم شدة الهجوم، مثل ما إذا كان يتسبب في أضرار مادية كبيرة أو إصابات، وما إذا

كان يفي بعتبة الهجوم المسلح بموجب المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة، مما يثير تساؤلات حول ما إذا كان يشكل استخدامًا للقوة.

1-عمليات سيبرانية ذات ابعاد سياسية: العلميات السيبرانية التي تعتبر انتهاكًا للسيادة، هي تلك التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على سيادة دولة ما، سواء من خلال استهداف البنية التحتية الحيوية (استهداف شبكات الطاقة أو الصحة)، أو التدخل في العمليات السياسية (التدخلات الانتخابية أو التجسس السياسي). على سبيل المثال لا الحصر:

أ-العمليات السيبرانية على البنية التحتية الحيوية:

العملية الروسية على شبكة الكهرباء في أوكرانيا عام 2015 الذي تسبب في انقطاع الكهرباء عن مئات الآلاف، والعملية الإسرائيلية 2010على منشآت أيرن النووية Stuxnetفي منشأة طنز وتسببت في تعطيل ما يقارب 1,000 جهاز طرد مركزي.

ب-التدخل في العمليات الانتخابية: التدخل الروسي في انتخابات الولايات المتحدة عام، 2016، 2020، 2024 واختراق قواعد بيانات للحزب الديمقراطي والجمهوري ونشر محتوى تضليلي.

د-عمليات التجسس السيبراني الروسي: على أنظمة SolarWinds التي استهدفت الوكالات الحكومية الأمريكية في 2020، لزعزعة الاستقرار السياسي التي ترافقت مع الانتخابات الامريكية.

هـ-عمليات تسبب ضررًا اقتصاديًا: الهجوم فيروس الفدية WannaCryعام 2017 الذي أثر على قطاعات متعددة بريطانيا والعالم.

وهناك هجمات تكون شديدة الأضرار ناتجة عن العمليات السيبرانية الهجومية تعتبر انتهاك للقانون الدولي والدولي الإنساني والسيادة السيبرانية وتهديدا للسلم والامن الدوليين على سبيل المثال عمليات تفجير البيجر في لبنان.

أ-دراسة حالة: العمليات السيبرانية على البنية التحتية الحيوية

2-عمليات سيبرانية ضد إستونيا 2007: سببّ نقل تمثال يخلد تضحيات جنود روس في الحرب العالمية الثانية، في عام 2007، شنت روسيا هجمات سيبرانية شاملة على إستونيا إثر نقل تمثال لجنود روس من الحرب العالمية

الثانية. الهجمات كانت من نوع «حجب الخدمة الموزعة (DDoS) ». واستهدفت مواقع حكومية وإعلامية، مما عرقل ولوج المواطنين إلى الخدمات البنكية والإلكترونية لعدة أيام، وأدى إلى شلل في البنية التحتية الرقمية لإستونيا. كانت الهجمات على مرحلتين:

- المرحلة الأولى 29-27 -نيسان-2007: كانت بسيطة وشعبية، بحيث بدأت الهجمات باستهداف المواقع الإلكترونية الحومية والاعلامية التي بثت أخبار عن حزب الإصلاح في إستونيا بنشر اعتذار رسمي مزور باللغة الروسية عن نقل التمثال والذي يبدو وكأنه صادر من رئيس الوزراء الأسيتونى.

- المرحلة الثانية من 30 نيسان إلى 18-2007: كانت أكثر تعقيداً باستخدام «Botnets» واستهدفت البنوك والبنية التحتية للإنترنت، ولقد فاق عدد طلبات الدخول الى هذه المواقع 400 ضعف المستوى الطبيعي.[1]

في المرحلتين الأثر كان معنوياً أكثر منه مادياً إذ لم ينتج عن الهجوم أي أثر تدميري على البنية التحتية الإلكترونية لإستونيا، إلا أنها سلطت الضوء على خطورة التهديدات الإلكترونية، ولا يرتقي الى حرب سيبرانية فهو أقرب الى نزاع او صراع سيبراني يؤدي الى توترات بين البلدين.

ب-دراسة حالة: التأثير السياسي للعمليات السيبرانية

-التأثير على نتائج الانتخابات الأمريكية: جاء هذا التدخل الروسي في الانتخابات الرئاسية الأمريكية 2016 عندما دعمت هيلاري كلينتون الاحتجاجات التي تلت الانتخابات الروسية في مارس 2012، مما أدى إلى احتجاجات ومعارضة داخلية وقمع من السلطات الروسية. رأت روسيا في دعم كلينتون لهذه الاحتجاجات محاولة لزعزعة الاستقرار السياسي في البلاد. في 2015، تم الكشف عن استخدام كلينتون لبريد إلكتروني خاص بدلاً من البريد الرسمي. استغلت روسيا هذه القضية وانتقمت من كلينتون عبر قرصنة ونشر رسائلها الإلكترونية للتشكيك في نزاهة الانتخابات الأمريكية، والتأثير على نتائجها لصالح دونالد ترامب. جاء

1- Analysis of the 2007 Cyber Attacks Against Estonia from the Information Warfare Perspective, available on internet,https://ccdcoe.org/uploads/2018/10/Ottis2008_AnalysisOf2007FromTheInformationWarfarePerspective.pdf, visited 28-9-2024.

التدخل الروسي ضمن أنشطة متنوعة تهدف إلى التأثير على نتائج الانتخابات وتوجيه الرأي العام الأمريكي، وقد أثار جدلاً واسعاً وأدى إلى تحقيقات موسعة داخل الولايات المتحدة. واستخدمت روسيا قدراتها السيبرانية:

– حملات التضليل عبر وسائل التواصل الاجتماعي (Phishing& impersonation attack): استخدمت روسيا وسائل التواصل الاجتماعي لنشر معلومات مضللة ومحتويات مثيرة للانقسام بهدف زعزعة الثقة في العملية الديمقراطية الأمريكية، عملت مجموعات مثل «وكالة أبحاث الإنترنت(IRA)» الروسية على إنشاء حسابات مزيفة تهدف إلى التأثير على الناخبين ونشر الأخبار الكاذبة المؤيدة والمعادية وركزت هذه الحسابات على إثارة التوترات العرقية والدينية، ودعم دونالد ترامب والهجوم على هيلاري كلينتون.

– اختراق وتسريب البيانات (SQL Injection Attack) اخترق قراصنة روس شبكات الحزب الديمقراطي، بما في ذلك اللجنة الوطنية الديمقراطية(DNC) وحملة هيلاري كلينتون الرئاسية. ثم قاموا بتسريب هذه المعلومات عبر منصات مثل «ويكيليكس»، مما أضر بصورة الحزب الديمقراطي والمرشحة هيلاري كلينتون.

– الهجمات السيبرانية على البنية التحتية الانتخابية: حاولت جهات روسية اختراق أنظمة التصويت في بعض الولايات الأمريكية. فقد استخدم ضباط المخابرات العسكرية الروسية أيضًا رسائل بريد إلكتروني ضارة للوصول إلى شبكة كمبيوتر لجنة الحملة الانتخابية الديمقراطية في الكونجرس، قام المتسللون بتثبيت برامج ضارة سمحت لهم بالوصول إلى المزيد من أجهزة الكمبيوتر وسرقة آلاف رسائل البريد الإلكتروني والوثائق المتعلقة بالانتخابات. هذه المحاولات أثارت قلقاً كبيراً بشأن سلامة أنظمة التصويت وشفافية العملية الانتخابية.[1]

–الأهداف الروسية من التدخل: إضعاف الثقة في الديمقراطية الأمريكية وتقويض النظام الديمقراطي الأمريكي وإظهاره بمظهر غير مستقر. دعم مرشح مفضل (دونالد ترامب) بالاعتقاد أن ترامب يمكن أن يتبنى سياسات أكثر مرونة تجاه روسيا. والتأثير على السياسة الخارجية

1 – Hacking the Democratic National Committee, Available on internet, https://time.com/5565991/russia-influence-2016-election/ , visited 19-10-2024.

الأمريكية خصوصاً فيما يتعلق بالعلاقات بين البلدين وتخفيف العقوبات المفروضة على موسكو بعد ضمها شبه جزيرة القرم في 2014.[1]

2.3 المطلب الثاني: استراتيجيات الدول لحماية سيادتها الرّقمية

إنّ تعاظم العمليات السيبرانية أصبح ظاهرة مقلقة على مستوى العالم، ولا بدّ من تبني نهج متعدد الأبعاد في السياسات الامنية والتشريعات التي تركز على خفض حدة العلميات السيبرانية، فالمطلوب من الدول تحسين برامج الأمن السيبراني بأفضل الممارسات والمعايير الدولية في حماية البنية التحتية الحيوية، وتعزيز قدرة الدول على التحكم في بنيتها التحتية الإلكترونية ومنع انتهاك سيادتها، فإلى جانب بناء الاستراتيجيات السيبرانية ينبغي إبرام اتفاقيات دولية في مجال الأمن السيبراني الدفاعية لعزز التعاون الدولي لمواجهة الأنشطة السيبرانية العابرة للحدود، وتطوير أطر قانونية قوية تتماشى مع القانون الدولي وحقوق الإنسان وتضمن العلاقات وتعيد الثقة بين الدول على مبدا ويستفاليا ، لأن الفضاء السيبراني أخذاً بالتوسع والامتداد الى كل أركان الأصول البشرية، وعليه سنقترح مبادئ بناء استراتيجية أمن سيبراني تحمي البنية التحتية وتحمي سيادة الدول من الانتهاكات، وقيام ويستفاليا رقمي ينظّم العلاقات السيبرانية بين الدول .

1.تبني الدول استراتيجيات للأمن السيبراني : بعد أن اصبح الفضاء السيبراني مجالا فريدا للتهديدات السيبرانية ويؤثر على سيادة ومصالح الدول واستقرار العلاقات الدولية، فلن يكون كافيا أن تقوم الدول بإصلاح ثغراتها بنفسها او تسن قوانين وتشريعات رادعه تختلف بين دولة وأخرى، فلا بدّ من بناء استراتيجية للأمن السيبراني موحدة على صعيد دولي توّحد الجهود والتعاون بين الدول من أجل إرساء فضاء سيبراني آمن وتوفير بيئة سيبرانيّة مستقرة، مما يعزز الثقة بين الدول، ويدعم التجارة الدولية، ويحمي البنيّة التحتيّة الحيويّة وتمهّد الطريق لنظام عالمي يعتمد على التعاون في مواجهة التهديدات المشتركة بدلًا من التنافس.

1 - The Perfect Weapon: How Russian Cyberpower Invaded the U.S ,Available on internet , https://www.nytimes.com/2016/12/13/us/politics/russia-hack-election-dnc.html , visited 19-10-2024.

ولإنجاح أي استراتيجية على صعيد محلي او دولي ينبغي إتباع منهج أو إطار مرن يساعد الدول في تنظيم الجهود وتحقيق الأمن السيبراني بشكل منهجي وشامل، ليكون أداة استراتيجية تدعم الدول والمؤسسات الدولية والشركات في مواجهة التهديدات السيبرانية المتزايدة، ترتكز على العديد من الجوانب تتضمنها أطر سيبرانيّة مبنيّة على تحليل البيئة الدولية وفهم المصالح الدوليّة، والاستفادة من الفرص المتاحة واستغلالها في خدمة الاستراتيجية، وتقييم المخاطر الناتجة عن الثغرات ومواطن الضعف، والبحث عن وسائل القوة الدولية المتوافرة بيد الدول والمؤسسات الدولية، واستخدامها في طُرق بناء الاستراتيجية لتحقيق الأهداف المنشودة. وعليه، لا بدّ من تعزيز التعاون الدولي وإنشاء آليات فعّالة لتبادل المعلومات الاستخباراتيّة حول التهديدات السيبرانيّة بين الدول، وتطوير معايير وبروتوكولات دولية موحّدة للأمن السيبراني تُفرض على جميع الدول، وتشكيل فرق استجابة دولية مشتركة للتعامل مع العمليات الهجوميّة. لا بدّ من تطوير القدرات الدفاعية والاستثمار في تقنيات الأمن السيبراني المتقدمّة مثل الذكاء الاصطناعي والتعلّم الآلي والاستفادة منه، والمساهمة في تدريب وتأهيل كوادر متخصصة في مجال الأمن السيبراني على المستوى الوطني والدولي، لتكون قادرة على حماية أمن البنى التحتية الحيوية والشبكات الحكومية. ويجب وضع إطار قانوني دولي لتعديل وصياغة معاهدات واتفاقيات دولية ملزمة لتنظيم الفضاء السيبراني على سبيل المثال وستفاليا رقمي، يساهم في ارساء السلام السيبراني في الفضاء السيبراني، كما يجب ان تتضمن الاستراتيجية تعديلات على بروتكولات القانون الدولي الإنساني وتحديد قواعد الاشتباك في حالة النزاع السيبراني بين الدول، ووضع آليات للمحاسبة ومعاقبة الجهات المتورطة في الهجمات السيبرانية، ووضع خطط طوارئ وطنية ودولية للتعامل مع الأزمات السيبرانية الكبرى. بالإضافة الى اشراك الجمعيّات الغير حكومية الدوليّة على زيادة الوعي والتثقيف الى جانب المناهج الدراسيّة واشراك القطاعين العام والخاص في إطلاق حملات توعية عالمية حول مخاطر الأمن السيبراني وطرق الحماية، وأن تعمل على مخاطر الجريمة السيبرانيّة وتجنّب اثارها خاصةً المؤسسات الماليّة والاقتصاد العالمي. إن تبني استراتيجيّة

أمن دولي شاملة تتضمن هذه الركائز ستساهم بشكل كبير في تعزيز قدرة المجتمع الدولي على مواجهة التحديات السيبرانية المتزايدة وحماية المصالح الحيوية للدول والمنظمات في العصر الرقمي.

2.صياغة وستفاليا رقمية للسيادة: إنّ امتداد مفهوم السيادة نحو السيبرانية وتطور مصالح الدول، أصبحت تؤكد أنّ العالم امتزج في العصر الرقمي ولا يمكن الانسلاخ عنه او العيش بدونه، لم تعد معه فكرة السيادة كما في القرن التاسع عشر، بل تغير مفهومها على نحو أنّ التهديدات التقليدية لم تعد تؤثر على امتداد السيادة الرقمية في الفضاء السيبراني، ونعني بذلك أنّ صارخ أو طائرة F16 لن تكون قادرة على إنزال او تدمير موقع انترنت. فمستقبل السيادة في العصر الرقمي أصبح في مفهوم رمادي في ثلاثة اتجاهات.

–الاتجاه الأول: هناك اتجاه بأن دور السيادة الوطنية تم تقليصه في نطاق العلاقات الدولية المتبادلة بسبب العديد من التطورات والأنشطة السيبرانية والفاعلين واستعمار البيانات.

–الاتجاه الثاني: هناك من يقول ان السيادة الوطنية التقليدية ما زال قائما، ولكنه بفضل التطورات في الفضاء الافتراضي تمددت السيادة وارتكزت على مفهوم الجغرافيا السياسة ومبدأ الحدود الشفافة الذي اثاره كارل هاوسهوفر (1869–1946) عن هيمنة الولايات المتحدة الامريكية كمفهوم جمهورية السيطرة دون الامبراطورية. ثم إحياء الحدود الشفافة في العالم الرقمي كل من «ألكسندر بيلينغتون» (Alexander Beller) و»مانويل كاستيلز» (Manuel Castells). حيث طور كاستيلز، في إطار دراسته حول العولمة والمجتمع الشبكي، فكرة أن الحدود الجغرافية التقليدية بين الدول قد أصبحت أقل أهمية في عصر العولمة بسبب تزايد تأثير التكنولوجيا الرقمية، التجارة العالمية، والأنشطة العابرة للحدود.

–الاتجاه الثالث: وهناك طيف آخر يرى اننا نعيش مرحلة جديدة من مراحل التغيير في هياكل بناء الدولة التقليدية، بحيث في الفضاء السيبراني تلجأ بعض الجماعات ذات القومية والثقافة الواحدة والتي تفتقر الى دولة رسمية تشملهم، يتكتلون بقوى سيبرانية ويمارسون من خلالها نوعا من السيادة الافتراضية، وهو

الأمر الذي ربما يكون له تأثير في اتجاه التأسيس الفعلي لدولتهم، مثل تأسيس الشبكة الكردية لأكراد سوريا، والعراق، وتركيا، وإيران كنوع من الاستقلال الافتراضي[1].

تبعاً لذلك،إنّ مفهوم الأمن والسيادة الوطنية ارتبط منذ القدم بعوامل تقليدية ذات صلة بالجغرافيا وحدود المجالات، وعلى أثره تبلور مفهوم الجغرافيا السياسية، وفي المقابل أدى الاندماج بالشبكة الدولية للاتصالات والمعلومات الى بلورة مفهوم مصطلح –السيادة الرقمية–او السيبرانية كمصطلح يُقصد به حق الدول السيطرة على بياناتها وبيانات مواطنيها وإعادة تدويرها في مجالات اخرى. فسيناريو انحسار السيادة مازال بعيدا، ولكن قد نشهد في السنوات القادمة تراجع سيادة الدول على أراضيها بسبب التحول الرقمي، وحاجات ومصالح الانسان ما زالت تتكتل رقميا وتزداد، فالتهديدات السيبرانية ستزداد وستتركز على مهاجمة النفط الرقمي للدول من بيانات ومعلومات وذكاء اصطناعي، بالإضافة الى الاحتلال الرقمي، واستعمار البيانات، والهيمنة والسيطرة على الذكاء الفريد والقرارات الدولية. فالسيادة القادمة ليس للجغرافيا السياسية بقدر ما ستكون للجغرافيا الافتراضية، وستتحول الأنظمة السياسية القادمة إلى حكومات إلكترونية، فيما يمكن أن يطلق عليه بنهاية السيادة الوطنية وبداية الدولة الكونية الافتراضية أو الرقمية.

من المفيد عند وضع تصورات نحو وستفاليا رقمية، إدراك أهمية قدرات الدول المشاركة، كيف حوّلت أميركا الاقتصاد العالمي إلى سلاح، وكيف حولت تدريجيا الشبكات العالمية لكابلات الألياف الضوئية وأجهزة التوجيه والمفاتيح ومراكز البيانات إلى أدوات للهيمنة. وتقدر شركة أمازون أن نحو 70% من حركة البيانات العالمية، وتدير سويفت منصة التعاملات المصرفية العالمية تمر عبر مراكز البيانات التي تتركز في شمال فيرجينيا.[2] وشركة هواوي والشركات الصينية الأخرى يؤكد على سيادة البيانات مع تمكين التشغيل البيني عبر الحدود بيئية بديلة للأجهزة

1 – أحلام نواري، تراجع السيادة الوطنية في ظل التحولات الدولية، دفاتر السياسة والقانون، العدد الرابع، 2011، ص 42.

2 – The Coming Digital Westphalia, available on internet, https://www.chinausfocus.com/peace-security/the-coming-digital-westphalia, visited 10-12-2024.

والبرامج والمعايير التي تقع خارج نطاق السلطات الأمريكية. وهذا يعطي أولوية للدول القومية في حوكمة وتشغيل أنظمة المعلومات والتكنولوجيا المرتبطة عالميا وإعادة بناء الأنظمة الرقمية، مع السيادة الوطنية كحجر الزاوية للهندسة المعمارية بأكملها، رغم هذا الاحتكار الطبيعي والاستلاء الرقمي. يجب أن تتميز وستفاليا الرقمية بخمسة دعائم رئيسية:

السيادة الرقمية (digital sovereignty): حرية الدول أن تحدد أنظمة حوكمة البيانات الخاصة بها، او إنشاء أنظمة بيئية رقمية تقع وتخضع لحكم حدود وطنية محددة او رقعة معينة مثل الشرق الأوسط، جنوب شرق اسيا، او تكتلات مثل البريكس او الاتحاد الأوروبي لعلها تجمع بين التصورات الغربية والتصورات الصينية الروسية وترسي استقرار في العلاقات الدولية وفضاء آمن.

المصدر المفتوح (Open source): دعم بنية الشريحة مفتوحة المصدر RISC-V، وإصلاح أنظمة المعلومات التي يقوم عليها العالم الرقمي والتخلي عن فكرة النظام الاقطاعي لأنظمة ويندوز وأن تكون الأنظمة شفافة ومتاحة لمجتمع أصحاب الجهات والدول. والتخلي عن استخدام الملكية الفكرية كحواجز أمام المشاركة الاجتماعية في تصميم وتنفيذ وتشغيل أنظمة البيانات، وتكون الأرضية مشتركة من خلال أنظمة التشغيل مفتوحة المصدر Linux، بهدف التوسع السريع والتشغيل البيني مع تطبيقات تم تطويرها على رأس هذه المنصات لتناسب احتياجات الدول ومتطلباتها.

الحقائق الجماعية (Collective truths): كان سائدا أنّ لكل قبيلة أو مجموعة ثقافية تفسيرها الخاص للحقائق. فمن خلال مشروع وستفاليا الرقمية، يمكن للجميع أن يلتقوا في عالم رقمي واحد ويتفقوا على حقائق مشتركة تحافظ على تماسك المجتمع على الإنترنت ويشترك فيها الجميع. وهذا كله يرتبط بمفهوم السيادة الرقمية التي تمنح التحكم في هذه المعلومات للأفراد أو الدول. ويعزز الوحدة والتماسك الاجتماعي وترتيب العلاقات بين الدول.

بيئات البيانات (Data Ecologies): هي عكس استعمار البيانات او الهيمنة على البيانات هو تنظيم البيانات بطريقة تضمن أن المصالح العامة تكون أهم من المصالح الخاصة لبعض الكيانات او الدول بمعنى أي ليس لأغراض ربحية أو لتحقيق مكاسب سياسية على حساب الدول

الاخرى. فاستخدامها فقط لخدمة البشرية في القرارات التي تخدم البشرية.

لذلك سنقترح بعض التصورات حول تحولات السيادة الذي يشهدها العالم، لتنظيمها وفقا لمبادئ وستفاليا وتكون قاعدة مشتركة ومرنة لإرساء سيادة سيبرانية آمنه، وتحفظ المبادئ الأساسية للسيادة الوطنية واحترام الحدود الإلكترونية بين الدول، وضمان تعاون الدول في التصدي للتهديدات السيبرانية العابرة للحدود مثل الهجمات والجرائم السيبرانية، والمشاركة الجماعية في تخزين البيانات وحمايتها، وتمتين العلاقات الرقمية وسد فجوات الثقة التي احدثتها العمليات السيبرانية.

أ-المبادئ العامة:

-تعريف السيادة السيبرانية: التأكيد على تعريف موحد للسيادة السيبرانية، وعلى قدرة الدولة على تنظيم، مراقبة، حماية البيانات، البنية التحتية الرقمية، والأنظمة الإلكترونية والاتصالات في الفضاء السيبراني الخاص بها ضمن حدودها، والقدرة على فرض سلطتها بسن القوانين والسياسات والاستثمارات المتعلقة بالفضاء السيبراني، على الشركات، الأفراد، والكيانات الأجنبية. وضمان حق كل دولة السيطرة على فضائها السيبراني وبياناتها الرقمية داخل حدودها ضمن إطار أبعاد السيادة الداخلي والخارجي.

-المساواة بين الدول في الفضاء السيبراني: اعتبار جميع الدول متساوية في حقوقها وواجباتها الرقمية، وحق الاستثمار، وحماية مصالحها، وأصولها.

-حل النزاعات الرقمية بالطرق السلمية: وضع آليات لحل الخلافات المتعلقة بالأمن السيبراني والجرائم الإلكترونية عبر الوسيلة الدبلوماسية الرقمية.[1]

-احترام الحدود الرقمية: الاعتراف بحدود افتراضية للدول في الفضاء السيبراني، وتحديد السيادة السيبرانية على أساس الحدود الإلكترونية التي تتخطى الحدود الجغرافية، وأن تشمل نطاقات البيانات والتكنولوجيا التي قد تتجاوز هذه الحدود، عبر تقسيم شبكي افتراضي للشبكة العالمية.

-احترام السيادة الوطنية: تسويغ مبدأ عدم التدخل بالوسائل السيبرانية في السيادة السيبرانية للدول الأخرى او عدم التدخل

1 - فريق الخبراء الحكوميين المعني بالتطورات في ميدان المعلومات والاتصالات السلكية واللاسلكية في سياق الأمن الدولي، التطورات في ميدان المعلومات والاتصالات السلكية واللاسلكية في سياق الأمن الدولي، الجمعية العامة للأمم المتحدة، البند ٩٣ من جدول الأعمال المؤقت، ص18.

في الشؤون الرقمية، والتأكيد أن القوانين والسياسات المتعلقة بالفضاء السيبراني لا تتجاوز حدود الدول أو تتعدى على بيانات ومعلومات مواطنيها دون موافقتهم. احترام حق كل دولة في تحديد سياساتها وقوانينها الخاصة بالإنترنت والتكنولوجيا دون تدخل خارجي.

خاتمة:

سلّطت هذه الدراسة الضوء على العمليات السيبرانية وتأثيرها على تحولات السيادة في الفضاء السيبراني، واجابت على الإشكالية كيف تؤثر العمليات السيبرانية على مفهوم السيادة في الفضاء السيبراني؟، وتمخّض عنها بأنّ العمليات السيبرانية تعتبر تحديًا لمفهوم السيادة السيبرانية في الفضاء السيبراني، وحيث أعادت تشكيل العلاقة بين الدول والفضاء السيبراني بطرق قائمة على وجهات وتناقضات مختلفة بين الدول الكبرى حول سيادة البيانات وحوكمة الانترنت وتدفق البيانات. وأظهرت مدى ضعف الأنظمة السيبرانية أمام العمليات السيبرانية العابرة للحدود، مما أدى إلى تعقيد الجهود المبذولة لحماية البيانات والبنية التحتية الحيوية. وفي هذا السياق، أصبح مفهوم السيادة السيبرانية ضرورة ملحة لتعزيز قدرة الدول على فرض سيطرتها الرقمية ضمن حدودها الافتراضية. ومع ذلك، تثير هذه الجهود تساؤلات حول التوازن بين حماية السيادة الوطنية وضمان انفتاح الإنترنت وحرية المعلومات. وبالتالي، فإن التعامل مع تحديات العمليات السيبرانية يتطلب استراتيجيات دولية متعددة الأطراف لتعزيز الأمن السيبراني والحفاظ على المبادئ الأساسية للفضاء الرقمي من خلال قيام معاهدة دولية أو تطوير وستفاليا ينظم الفضاء السيبراني والعمليات التي تجري من خلاله.

-استنتاجات:

-التكنولوجيا السيبرانيّة بما فيها العمليّات السيبرانيّة أثرت بشكل كبير على السيادة الوطنيّة ولعبت دوراً في تشكيل مفهوم السيّادة السيبرانيّة، ومكّنت بعض الدول لا سيّما الدول ذات الصبّغة السلطويّة والشيوعيّة الحق بإدارة تدفق البيانات، وحوكمة الإنترنت والفضاء السيبراني للتحكم في حدودها الرقمية وإدارة مواردها.

-استخدام العمليّات السيبرانيّة الهجوميّة والدفاعيّة على جانب القوّة السيبرانيّة في الصراعات السيبرانيّة، بحيث تستخدم

الدول العمليات الهجوميّة كأداة صلبة للتأثر على قدرات الخصم، وعمليات كقوة ناعمة لتعزيز صورة الدولة، نشر الثقافة، أو تحقيق أهداف دبلوماسية

-تبيّن أنّ العمليات السيبرانية بتطور متصاعد، وتمادى التأثير الى الأرواح البشرية بشكل مباشر أو غير مباشر، واكدّ ضرورة التعاون الدولي مع الشركات المحوكمة لمعايير التكنولوجيا والانترنت، على ضبط ثغرات تقنيات التكنولوجيا وسلاسل الامدادا والتوريد، وبناء أطر قانونية دولية تنظّم السلوك السيبراني لتخفف من تصعيد العمليات السيبرانية فيالنزاعات والصراعات في الفضاء السيبراني.

-الفضاء السيبراني مجال مرن ويتطور بشكل دراماتيكي، والاحداث فيه بديناميكية دائمة، فالعالم بحاجة الى اتفاقيات دولية تنظم هذ الفضاء حتى لا تمتد صراعات ومخاطر العمليات السيبرانية الى صِدام بين الدول التي لها عداء تقليدي، وخاصة إن الدول مستمرة في رقمنة مصالحها.

-التوصيات:

- ضرورة تبني استراتيجيات للأمن السيبراني تمتثل على أفضل المعايير الدولية وممارسات الامن السيبراني لمواجهة العمليات السيبرانية.

-التعاون دولي أصبح ضرورة ملحة للمجتمع الدولي لوضع أطر قانونية تعزز السيادة السيبرانية وتنظم التفاعلي الدولي مثل قيام وستفاليا رقمي.

قائمة المراجع:

أ-الكتب العربية:

1. أحلام نواري، تراجع السيادة الوطنية في ظل التحولات الدولية، دفاتر السياسة والقانون، العدد الرابع، 2011، ص 42.
2. عادل عبد الصادق، صراع السيادة السيبرانية بين التوجهات الروسية والأمريكية، المركز العربي للفضاء الإلكتروني، 2019.

ب-المواقع العربية:

1. روسيا: أكبر عدد هجمات سيبرانية على نظام التصويت جاء من أميركا وبريطانيا، متوافر على الموقع الالكتروني، https://ara.tv/28wku، تاريخ الزيارة 2024-108

2. يحيى ياسين سعود، الحرب السيبرانية في ضوء قواعد القانون الدولي الإنساني، المجلة القانونية، https://jlaw.journals.ekb.eg/article_45192_52d735c1a23cca2bf7dbbe56c4eb6846.pdf

3. قراصنة يخترقون جسر «بلوك شاين» ويسطون على 100 مليون دولار من شركة عملات مشفرة، متوافر على الموقع الالكتروني، https://aja.me/bc98ib

ج-الكتب الأجنبية :

1. Binxing Fang - Cyberspace Sovereignty-Springer Singapore, science press Beijing springer ,2018, 78.
2. François Delerue, Cyber operations and international law, Cambridge University Press, United Kingdom ,2020, p.29.
3. Jason Andress and Steve Winterfeld, Cyber Warfare. Techniques, Tactics and Tools for Security Practitioners, Syngress, second edition, 2014, p.p. 103-193.
4. Gourley, Stephen K., "Cyber sovereignty. In Conflict and Cooperation in Cyberspace: The Challenge to National Security, eds. Panayotis A. Yannakogeorgos, and Adam B. Lowther ,Boca Raton: CRC Press, 2013, P.P.277-289.
5. Hao Yeli, A Three-Perspective Theory of Cyber Sovereignty, PRISM Volume 7, No 2,P.3.
6. Michael N Schmitt, ed., Tallinn Manual on the International Law Applicable to Cyber Warfare ,Cambridge University Press, 2017,p.11.
7. Schneier ،Bruce, Data and Goliath: The Hidden Battles to Collect Your Data and Control Your World. New York: W.W. Norton & Company, 2015,P. 78.

هـ- المواقع الأجنبية:

8. Analysis of the 2007 Cyber Attacks Against Estonia from the Information Warfare Perspective,https://ccdcoe.org/uploads/2018/10/Ottis2008_
9. Baidu and CloudFlare Boost Users Over China's Great Firewall, https://www.benton.org/headlines/baidu-and-cloudflare-boost-users-over-chinas-great-firewall.
10. Charter of the United Nations, available on internet, https://legal.un.org/repertory/art2.shtml.
11. Cyber espionage and international law, https://www.

17. The Coming Digital Westphalia, https://www.chinausfocus.com/peace-security/the-coming-digital-westphalia.

18. The Hack of Sony Pictures-What We Know and What You Need to Know ,https://www.trendmicro.com/vinfo/us/security/news/cyber-attacks/the-hack-of-sony-pictures-what-you-need-to-know.

19. The Perfect Weapon: How Russian Cyberpower Invaded the U.S , https://www.nytimes.com/2016/12/13/us/politics/russia-hack-election-dnc.html

20. University of Maryland CISSM Cyber Attacks Database, hhttps://cissm.liquifiedapps.com.

21. US OPM Hack Exposes Data of 4 Million Federal Employees,https://www.trendmicro.com/vinfo/de/security/news/cyber-attacks/us-opm-hack-exposes-data-of-4-million-federal-employees.

22. What was the WannaCry ransomware attack?,https://www.cloudflare.com/learning/security/ransomware/wannacry-ransomware/.

cyber-espionage.ch/Law.html.

12. Exclusive - SWIFT confirms new cyber thefts, hacking tactics,https://www.reuters.com/article/world/exclusive-swift-confirms-new-cyber-thefts-hacking-tactics-idUSKBN1412NS.

13. Hacking the Democratic National Committee , https://time.com/5565991/russia-influence-2016-election/ .

14. JPMorgan suffers wave of cyber attacks as fraudsters get 'more devious,https://www.ft.com/content/cd287352-cb3b-48d8-a85b-668713b80962.

15. SEC sues SolarWinds over massive cyberattack, alleging fraud and weak controls,,https://www.cnbc.com/2023/10/31/solarwinds-defrauded-investors-about-cybersecurity-sec-alleges.html.

16. Stuxnet explained- The first known cyberweapon,https://www.csoonline.com/article/562691/stuxnet-explained-the-first-known-cyberweapon.html.

2. التشدد في حماية المريض في القانون اللبناني بالمقارنة مع القانون الأمريكي

Strictness in patient protection in Lebanese law compared to American law

بقلم الطالبة: نجلاء عصام شبلي

طالبة دكتوراه في القانون في جامعه بيروت العربية، تعمل في مجال المراكز الطبية الخاصة، ومراكز الرعاية الصحية الأولية التابعة لوزارة الصحة اللبنانية.

تحت إشراف: أ. د. القاضي فوزي أدهم.

Najla Essam Chebli

PhD student in Law at Beirut Arab University, working in the field of private medical centers and primary health care centers affiliated with the Lebanese Ministry of Health.

Supervised by: Prof. Dr. Judge Fawzi Adham.

Najlachebli@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 9/17 /2025 تاريخ القبول: 10/ 3/2025 تاريخ النشر: 25/3/ 2025

ملخص البحث :

يعتبر موضوع التشدد في حماية المريض في القانون اللبناني مقارنة مع القانون الأمريكي، من المواضيع الهامة التي تستحق الدراسة. فالتشدد في المسؤولية الطبية يعزز ثقة المريض. كما أن تطور القوانين يهدف لحماية حقوق المرضى(المستهلكين) في المجال الطبي. وهنا يثور تساؤل حول إمكانية اعتبار المريض مستهلكًا في بعض الحالات القانونية الأمريكية. كما ستسلط هذه الدراسة الضوء على لالتزام بالإعلام قبل التعاقد لما له من ضرورة في حماية حقوق المرضى. و مدى إمكانية تطبيق قوانين حماية المستهلك على العقود الطبية. وسيتم وضع توصيات حول تعزيز القوانين وتفعيل الرقابة عموماً وإلى مراكز التجميل خصوصاً.

Research Summary:

The subject of stringency in patient protection in Lebanese law compared to American law is an important topic deserving of study. The stringency in medical liability enhances patient confidence. Additionally, the evolution of laws aims to protect the rights of patients (consumers) in the medical field. This raises a question about the possibility of considering a patient as a consumer in certain American legal cases. This study will also highlight the obligation of pre-contractual disclosure due to its necessity in protecting patients' rights and the extent to which consumer protection laws can be applied to medical contracts. Recommendations will be provided on strengthening laws and enhancing oversight in general, with a particular focus on cosmetic centers.

المقدمة:

يُعد تشديد أحكام المسؤولية صورة من صور تعديل المسؤولية، ومن الممكن أن يتم الاتفاق بين الطرفين على تشديد الأحكام على مسؤولية الطبيب، من أجل بث الثقة في نفس المريض وتغريره بقبول التعاقد. إذًا، يتجسد التشديد في مسؤولية المدين في بعض الأعمال البسيطة التي يقوم بها الطبيب، وقد تحتوي على أخطاء يسأل عنها في الأحوال العادية، كما قد يتفق الطبيب مع المريض لتعويضه عن

الضرر المتوقع وغير المتوقع، وإن كان الخطأ المنسوب إلى الطبيب لم يصل إلى درجة الجسامة.

للتطور الطبي دور كبير في إنقاذ حياة العديد من الأشخاص، ويعد المستهلك في المجال الطبي هو نقطة البداية والنهاية لأية دراسات اقتصادية واجتماعية بغض النظر عن اختلاف الأشكال والطرق البحثية. من هنا، لما كان المستهلك لا يشكل فئة ثابتة، فإن الأمر يستلزم تمديد الحماية لتضم تلك الحماية المريض الخاضع للفحص والوصول، إذ تحتل صحة المستهلك المكانة الأولى في موضوعات التنظيم القانوني لحماية المستهلك، لأنها تمثل مجالًا حيويًا، ويحتل قدرًا كبيرًا من الأهمية، من خلال النظر إلى طبيعة المصلحة المحمية، لاسيما في ضوء التطور الصناعي والتكنولوجي الذي يصاحب إنتاج السلع وتقديم الخدمات.

تكمن إشكالية الدراسة في سؤال رئيسي كالآتي:

ما مدى انسجام التشدد في حماية المريض(المستهلك) في المجال الطبي في القانون اللبناني مع القانون الأمريكي؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراسة التشدد في حماية المريض(المستهلك) في المجال الطبي في القانون اللبناني مع نظيره الأمريكي النحو الآتي:

أولًا: تساعد هذه التحليلات للمقارنة في الكشف عن نقاط القوة والضعف في الأنظمة القانونية في مختلف الولايات القضائية. من خلال تقييم كيفية تعامل كل نظام قانوني مع المسؤولية المدنية، يمكن للباحثين وصانعي السياسات تحديد مجالات التحسين والإصلاح في بلدانهم، إذ يمكن أن يؤدي إلى تطوير قوانين ولوائح أكثر فعالية، فتحمي حقوق الأفراد وتضمن المساءلة، ما يعزز في نهاية المطاف الوصول إلى العدالة.

ثانيًا: يعد التطور الطبي والتشريعي في الولايات المتحدة الأمريكية الأحدث عالميًا، ويمكن أن يقدم إضافة على المستوى القانوني بالاجتهاد والبحث. لذلك، تأتي أهمية هذه الدراسة للآراء والاتجاهات المختلفة في الفقه والقضاء، ومحاولة ترجيح ما هو أكثر اتفاقًا مع أحكام القانون، وقواعد العدالة والإنصاف.

الفرع الأول

ماهية حماية المريض (المستهلك)

تعد حماية المستهلك ضرورة تفرض نفسها يومًا بعد يوم على كافة الأصعدة الوطنية والدولية من أجل درء الخطر عن المستهلك، فهي حركة اجتماعية تعمل على ضبط حقوق المشترين في علاقاتهم بالمهنيين، لأنها تقوم بالبحث عن المصلحة العامة أو الجماعية للمستهلكين في كافة المجالات.بالتالي، قد يتميز أفراد المجتمع كافة بصفة المستهلك، وهو الأمر الذي حدا بالرئيس الأمريكي في عام 1962م، ليعلن في كلمة له أن الجميع بإمكانه بعد الآن أن تكون له صفة المستهلك، كما أن: «المستهلكين هم الطائفة الاقتصادية الأكثر أهمية، والمعنيين تقريبًا بكل القرارات الاقتصادية العامة والخاصة، لكنها طائفة غير مسموعة بدرجة كافية. بناء عليه، رغب آنذاك إصدار تشريع يكفل لهم ممارسة حقوقهم كاملة، مثل حقهم في السلامة، والاستماع إليهم، والحصول على المعلومات والإعلام. لذلك، كانت تلك الخطوة هي اللبنة الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية للاتجاه نحو حماية المستهلكين، لأن هؤلاء ليسوا طبقة مقدسة ومستقرة، لكنهم صنف سلس ومرن، ويمكن لكل فرد أن يصبح مستهلكًا في مجتمعنا المعاصر [1].

انطلاقًا مما ورد أعلاه، تطرق المشرع اللبناني إلى تعريف المستهلك في المادة الثانية من القانون رقم 659 ، وقد نص فيها على أن المستهلك هو الشخص الطبيعي أو المعنوي الذي يشتري خدمة أو سلعة، يستأجرها أو يستعملها، أو يستفيد منها، لأغراض غير مرتبطة مباشرة بنشاطه المهني.

بالمقابل، لا يمكن اعتبار المريض مستهلكًا في المعنى الحرفي للكلمة، إذ إنه شخص يحتاج إلى الرعاية الصحية والعلاج، وليس من المناسب أن ننظر إليه على أنه مجرد مستهلك للخدمات الطبية. بدلاً من ذلك، يجب أن نعامل المرضى بالاحترام والتعاطف، ونسعى لتلبية احتياجاتهم الصحية وتحسين حالتهم. كذلك، يعد التطرق لقوانين حماية المستهلك بابًا للتشدد في حماية المريض، لا سيما في الحالات غير العلاجية، كحالات التجميل غير العلاجية.

1- Jean Pascal – chazal, Vulnérabilité et droit de la consommation colloque sur la vulnérabilité et le droit, organisé par l'université, Grenoble II le 23 mars 2000, P 04.

زد على ذلك، في حالة الجراحات التجميلية غير الضرورية، يمكن النظر إلى المريض على أنه عميل أو زبون يطلب خدمة تجميلية غير علاجية. مع ذلك، يجب أن يتم التعامل مع المريض بمسؤولية واحترافية من قبل الطبيب المعالج، فيقدم المعلومات الكاملة عن الإجراء والمخاطر المحتملة، كما يجب أن يحترم اختيارات المريض، ويعمل على تحقيق توقعاته بأفضل طرق ممكنة. بالنتيجة، لا بد أن يكون هدف الطبيب هو صحة وسلامة المريض في العملية الجراحية أو الخدمات التجميلية غير الجراحية، وليس المصلحة الشخصية للطبيب أو الكسب المادي.

علاوة على ذلك، لا يعد المريض عادة في القانون الأمريكي مستهلكًا في السياق القانوني، إذ تتعامل الأنظمة القانونية الأمريكية عادةً مع المسائل الطبية والصحية، من خلال قوانين وممارسات متخصصة تهدف إلى حماية حقوق المرضى، وضمان تقديم الرعاية الصحية الجيدة. لكن في بعض الحالات، يمكن للمرضى استخدام قوانين حماية المستهلك للمطالبة بالتعويض عن الضرر الناجم عن سوء الرعاية الصحية [1]. مع ذلك، من الأمثلة التي تُظهر بعض الحالات التي تم فيها اعتبار المريض مستهلكًا في القانون الأمريكي ما يأتي:

1. قضية «Helling v. McKinney»: تم اعتبار المريض مستهلكًا في هذه القضية، إذ حددت معايير رعاية صحية معينة وجب التزام الأطباء بها، لتجنب إهمال الرعاية الصحية[2].

2. قضية «Moore v. Regents of the University of California": في

1- تهدف العديد من القوانين الفيدرالية في الولايات المتحدة إلى حماية المستهلك، هذه بعض القوانين الرئيسة نذكرها وفق الآتي:
1. قانون حماية المستهلك (Consumer Protection Act)، تم إصداره في عام 1968.
2. قانون حقوق المستهلك (Consumer Rights Act)، تم إصداره في عام 1970.
3. قانون حماية البيانات الشخصية (Personal Data Protection Act)، تم إصداره في عام 1974.
4. قانون الاتصالات اللاسلكية (Wireless Communications Act)، تم إصداره في عام 1996.
5. قانون الائتمان العادل (Fair Credit Reporting Act)، تم إصداره في عام 1970.
تعد حماية المستهلك في الولايات المتحدة الأمريكية مسؤولية وظيفة وكالة حكومية مستقلة، تعرف بـ "وكالة حماية المستهلك الأمريكية» (Consumer Financial Protection Bureau)، التي تأسست عام 2010 بموجب قانون دودد-فرانك (Dodd-Frank Act)، وتهدف إلى حماية المستهلكين من الممارسات غير العادلة والاحتيالية في قطاع الخدمات المالية.

2- Helling v. McKinney, 509 U.S. 25, 1993. https://law.justia.com تاريخ الاطلاع 23/9/2022

هذه القضية، تم تأكيد حق المريض في التصرف في أنسجته الجسدية بعد إجراء عملية جراحية، وتم اعتبار المريض مستهلكًا للخدمات الطبية[1].

3. قضية «In re Quinlan": في هذه القضية، تم السماح لأسرة المريض بقرار إنهاء العلاج الطبي لابنتهم التي كانت في حالة مستمرة من الغيبوبة، وتم اعتبار المريض وأسرته مستهلكين للخدمات الصحية[2].

أما في القضاء اللبناني، فلم نجد اجتهادًا للمحاكم عدت فيه المريض مستهلكًا، وحبذا لو فعلت، لاسيما في حالات غير العلاجية من باب الحرص على حماية المريض.

الفرع الثاني

تطبيق قواعد حماية المستهلك على العقد الطبي

تهدف التشريعات المتعلقة بحماية المستهلك إلى توفير سلع وخدمات آمنة وصحية للمستهلكين، حيث يتم وضع القوانين واللوائح لضمان جودة المنتجات، والخدمات، والتأكد من توافقها مع المعايير الصحية والسلامة. كذلك، يتم التركيز على حقوق المستهلكين في الحصول على منتجات آمنة وصحية، يمكن أن يؤثر على صحة المستهلكين، كما يمكن تطبيق قواعد حماية المستهلك على العقد الطبي الذي يبرم بين المرض والطبيب. سوف تتناول الدراسة تلك القواعد على النحو الآتي:

أولًا: الالتزام بالإعلام قبل التعاقد في العقد الطبي

يتمثل الالتزام بالإعلام قبل التعاقد في الآليات التي يتم استعمالها من أجل تكريس الحماية الفعالة للمستهلك، فقد نص المشرع على حماية المستهلك، وقمع الغش من خلال إعلام المستهلك بكافة المعلومات التي تتعلق بالمنتج الذي يضعه للاستهلاك، إذ نصت الفقرة الثانية من المادة الرابعة من قانون حماية المستهلك على الآتي: «الحق بالاستحصال من المصنع و/ أو المحترف على معلومات صحيحة واضحة ووافية كاملة، تتعلق بالسلعة أو الخدمة، وثمنها، ومميزاتها، ومواصفاتها، وطرق استعمالها، والأخطار التي قد

1- Moore v. Regents of the University of California, No. S006987. Supreme Court of California. Jul 9, 1990. https://law.justia.com24/9/2022 تاريخ الاطلاع

2- In Re Quinlan, 355 A.2d 647, The Supreme Court of New Jersey. 70 N.J. 10 1976.

تنتج عن هذا الاستعمال. بالتالي، يهدف هذا الأمر إلى تجسيد شفافية الممارسات التجارية، وحماية المستهلك في الوقت نفسه، كما أقر المشرع اللبناني أن نصوص هذا القانون تطبق على كل ما يتعلق بسلامة المستهلك وصحته في المادة (35) من قانون حماية المستهلك، وصحة المريض.

بناء عليه، يعد هذا الالتزام معمولًا به في المجال الطبي، لأن حق الإنسان في سلامة جسده هو من أهم الحقوق العامة التي تكون مرتبطة بشخصه، كما تحسب الأعمال الطبية من المباحات بالرغم من مساسها بجسم الإنسان، إذ تستند لإذن المشرع وترخيص القانون لما يهدفون إليه من المحافظة على الجسم، إلا أنه أخضع تلك الإباحة لشرط التزام الطبيب بإعلام المريض، أو من يمثل المريض قانونًا للحصول على رضى المريض بالعمل الطبي، وقد يتم من دون تحقيق ذلك الشرط، فهو عمل يفتقد إلى صفة المشروعية، لأنه يخرق مبدأ احترام إرادة المريض[1].

من هنا، يتبين وجود تفاوت علمي بين الطبيب المحترف والمريض المستهلك، بالإضافة إلى التفاوت النفسي بسبب الحالة التي يكون عليها المرض، إذ تلقي تلك الأمور على عاتق الطبيب الالتزام بإعلام المريض، وهو الإعلام الذي يتمثل بإفادة المريض بمعلومات واضحة حول مرضه الذي يعاني منه، وبالوسائل العلاجية التي يتم استخدامها، كذلك يكشف مخاطر ذلك العلاج، والبدائل، والاختيارات العلاجية الأخرى، وآثار رفض ذلك العلاج.

انطلاقًا مما ورد أعلاه، يلعب مبدأ الالتزام بالإعلام دورًا حاسمًا في حماية حقوق المرضى في القانون اللبناني، وقد كرس المشرع اللبناني في الفصل الرابع من قانون حماية المستهلك التفاصيل حول الإعلان الخادع من المادة (11) إلى مادة (14). بالتالي، إذا لم يلتزم مقدمو الرعاية الصحية بإظهار المعلومات اللازمة للمرضى قبل العلاج، فإن ذلك يعرضهم المساءلة القانونية، لأن المرضى لديهم الحق الكامل في معرفة تفاصيل العلاج، حتى لا يقعوا تحت تأثير الإعلان الكاذب على موافقتهم قبل البدء في العلاج. كذلك، كرسه قانون

1- أمينة لطروش، تأثير قانون حماية المستهلك وقمع الغش على العقد الطبي، مجلة منازعات الأعمال، العدد الأول، 2014، ص2.

حقوق المرضى لتكون موافقة المريض بشكل مستنير قبل العلاج، احترامًا لكرامة المريض، وحقه في الحصول على المعلومات الكافية والمفهومة[1].

المقصود باختصار، يُعد الالتزام بالإعلام قبل التعاقد في العقد الطبي في القانون اللبناني، مبدأً قانونيًا وأخلاقيًا مهمًا لحماية حقوق المرضى، وضمان الرعاية الصحية بشكل مستنير ومستند إلى معلومات كافية. كذلك، يلتزم مقدمو الرعاية الصحية بتقديم المعلومات بطريقة تسهل فهمها للمرضى، وتمكنهم من اتخاذ قرارات مستنيرة بشأن علاجهم الصحي.

نتيجة لما ورد أعلاه، وضع المشرع اللبناني بعض الضوابط، لأن رضى المريض بالتعاقد يتأثر بالإعلان الذي يؤثر في إرادته لاتخاذ القرار لقرار وفق ما يأتي:

* أجاز القانون للطبيب الإعلان لمدة أسبوع على الأكثر عن مباشرة عمله أو نقل عيادته، أو موعد سفره، فحظر عليه اللجوء إلى تصرف دعائي بصورة مباشرة، أو غير مباشرة لمصلحته الشخصية، أو المؤسسة التي ينتمي إليها، أو يعمل فيها، أو يساهم في ملكيتها. لذلك، بحال تم ذكر أي معلومات على أوراقه الخاصة وفي لافتة عيادته، فيجب ذكر هذه المعلومات بصيغة تخلو من الدعاية[2].

زد على ذلك، يمكن رصد مخالفات عديدة في هذا المجال، لا سيما في الإعلانات المختلفة التي انتشرت في الآونة الأخيرة، إذ نلاحظ تركيزًا مبرمجًا على الأطباء للإعلان في الإعلام المرئي، والمسموع، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، بشكل لافت، لا سيما أطباء التجميل ومراكز التجميل المنتشرة على نطاق واسع، بل ومبالغ فيه أحيانًا، فالإعلان يؤدي إلى توجيه رضى المتعاقد. بالمقابل، لا يصل الأثر الذي يتولد في نفس المتعاقد في الغالب إلى حد الغلط أو التدليس الذي يعيب الإرادة، لكن هذا لا ينفي تأثيره

1- مشروع القانون المتعلق بحقوق المرضى وواجباتهم ومبادئ السلوك الطبي»، مجلس النواب اللبناني، https://www.lp.gov.lb/Uploaded-Files/12182.pdf تاريخ الاطلاع 22/4/2023

2- إذ منعت المادة 17 من قانون الآداب الطبية 240 **المتعلق تعديل بعض أحكام القانون 288 تاريخ 22/2/1994**، وعلى الطبيب يذكر، عدا ما يأتي:
1 - المعلومات التي تسهل اتصال المرضى به.
2 - الاختصاص المعترف به من قبل وزارة الصحة العامة ونقابة الأطباء.
3 - الألقاب التي تمنحه إياها الدولة والمؤسسات الأكاديمية مع تحديد مصدرها والمهام التي أوكلت إليه.

على الرضى التعاقدي.

* الإفراط في الدعاية والإعلان:

يؤكد الولوج لأي وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي، كذلك مراقبة الإعلام المرئي و المسموع، رصد إعلانات دعائية لا متناهية بشكل يخالف القانون، فنجد الحرص على بيان إيجابيات ومنافع التجميل، والتغاضي عن ذكر المخاطر أو العلاجات الوقائية اللاحقة، وتجنب الحديث عن نسب الفشل و الأعراض الجانبية، ما يشكل مخالفة صريحة للالتزام الطبيب بإعلام المريض، ويظهر للمريض (المستهلك) أن العمل الطبي، لا سيما التجميلي هو الحل المثالي و النهائي من العلة التي يعاني منها المريض، وكأن الطبيب يضمن له «الشفاء»، وهو ما يخالف صراحة المادة العاشرة من قانون الآداب الطبية، وقانون حماية المستهلك.

*إجراء بعض عمليات التجميل تحت تأثير بنج موضعي في مراكز التجميل، ولو كانت مرخصة باسم طبيب، بشكل يخالف القانون[1]، إذ يمنع القانون استعمال التخدير العام، أو الفقري في أي من مراكز التجميل الطبية، كما لا شك أن الهدف هو الربح التجاري، فالمريض هو زبون «مستهلك» للخدمات الطبية.

* ألزم تحديد القانون[2] تواجد الأطباء في مراكز التجميل بدوام كامل في مركز التجميل الطبي، ولم يجز لطبيب التجميل إدارة أكثر من مركز تجميل طبي واحد. بالعكس من ذلك، نجد أن الأطباء في الواقع العملي، لا يتواجد إلا في أيام أو ساعات محددة في مركز التجميل، إذ يشكل مخالفة قانونية، بل أن بعض مراكز التجميل غير مرخصة أصلًا.

من هنا، يمكن مناشدة وزارة الصحة لتطبيق القانون على كل أطباء التجميل المخالفين، ومراكز التجميل المخالفة، وإقفال مراكز التجميل التي تفتقد أحد شروط الترخيص، وغير مرخص، وفق المادة السابعة من قانون إنشاء مراكز التجميل. من هنا، وجب إنذار مركز التجميل من خلال تسوية وضعه ضمن مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، كما حددها المشرع، وحبذا لو تشدد المشرع في الغرامات، لاسيما مع انهيار سعر العملة اللبنانية.

1- المادة الثانية من قانون تنظيم تراخيص مراكز التجميل.
الطبية وفق القانون رقم 30 الصادر بتاريخ 10/2/2017. مشار إليها أيضًا في قانون الآداب الطبية.

2- المادة الثانية من قانون تنظيم مراكز التجميل.

بناء مما ورد أعلاه، يرى جانب من الفقه أن الطبيب ملزم قبل مرحلة العقد الطبي بإعلام المريض، ويحدد الأساس الصالح للالتزام بالإعلام قبل التعاقدي إلى مبدأ حسن النية التي قد تسود العلاقات العقدية، ليس فقط في مرحلة التنفيذ، إنما في مرحلة التفاوض بشأنها[1]. بالتالي، يعد وسيلة الحماية الحديثة للرضى التعاقدي في مواجهة اختلال التوازن المعرفي أو في المعلومات. نتيجة لذلك، تتحدد شروط وجود الالتزام بالإعلام في ضوء ما يهدف إليه هذا الالتزام مع ضرورة منح المتعاقد (المريض) مهلة للتفكير والتروي، وهو ما لا نجده أحيانًا في الواقع العملي.

بالمقابل، إن الالتزام بالإعلام قبل التعاقد في العقد الطبي هو مبدأ قانوني مهم أيضًا في القانون الأمريكي، إذ يشكل مبدأ الالتزام بالإعلام قبل التعاقد أساسًا هامًا في العقود الطبية.

وفقًا لهذا المبدأ، يتعين على مقدمي الرعاية الصحية تزويد المرضى بمعلومات كافية ومفصلة حول تشخيصاتهم، وخيارات العلاج المتاحة، والمخاطر المحتملة، والفوائد المرتقبة قبل موافقة المريض على العلاج، لأنه يتيح للمريض اتخاذ قرار، أساسه الوعي التام بالمخاطر والفوائد.

كذلك، يلتزم مقدمو الرعاية الصحية أيضًا مراعاة حالة المريض وقدرته على فهم المعلومات واتخاذ قرار. في بعض الحالات، قد يحتاج المريض إلى مساعدة إضافية لفهم الإجراءات والعلاجات المقترحة، بمعنى أن الالتزام بالإعلام يمكن أن يشمل أيضًا توفير ترجمة، أو مساعدة للمرضى الذين لا يجيدون اللغة أو الذين لديهم إعاقات.

بناء عليه، أكدت المحاكم في الولايات المتحدة أن معيار الموافقة المستنيرة يتطلب من الطبيب الكشف للمريض عن جميع المخاطر المادية، قبل التعاقد مع المريض، إذ يعدها شخص عاقل في موقف المريض ذات أهمية، فقد أكدت المحكمة أن للمريض الحق في اتخاذ قرار مستنير بشأن رعايته الصحية. لذلك، فقد ظهرت بعض المضاعفات لمريض يُدعى Canterbury بعد خضوعه للجراحة في العمود الفقري أجراها له الدكتور Spence . لذا تم رفع دعوى قضائية ضد الدكتور Spence

1- للمزيد حول الأساس القانوني لهذا الالتزام والآراء المتنوعة، يمكن الرجوع لمحمد حسن قاسم، العقد المجلد الأول، منشورات الحلبي، 2018،من ص 259إلى ص 269.

وتم قبولها[1].

انطلاقًا مما ورد أعلاه، تختلف قوانين حماية المستهلك بين الولايات في الولايات المتحدة الأمريكية، بالرغم من وجود قوانين وطنية، تنظم حماية المستهلك، لأن كل ولاية لديها قوانين ولوائح خاصة بها. لكن عمومًا، تتشدد ولاية كاليفورنيا كثيرًا في حماية المستهلك، إذ تتبع قوانين صارمة في مجال حماية المستهلك، وتقديم الحقوق للمستهلكين، بما في ذلك قوانين الإفصاح، والإعلام، والضمانات وغيرها[2].

وفقًا لقانون حماية المستهلك في كاليفورنيا، يجب على الشركات توفير معلومات محددة للمستهلكين قبل التعاقد، مثل سعر المنتج أو الخدمة، وشروط الدفع والتسليم، وسياسة الإرجاع والضمان، وأي تكاليف إضافية محتملة، كما يجب أن تكون هذه المعلومات واضحة وسهلة الوصول إليها[3].

بالإضافة إلى ذلك، ينص قانون العقود الاستهلاكية في كاليفورنيا على الآتي:» يجب أن تكون الشروط العامة للعقد مكتوبة بوضوح وسهلة الفهم، لا أن تكون غامضة أو مضللة بأي شكل من الأشكال[4]. من هنا، لحق المشرع اللبناني نظيره الأمريكي، وأصدر قوانينًا، منها يتعلق بحماية المستهلك، وأخرى تتعلق بالمعاملات الإلكترونية، بهدف توفير أفضل حماية للمريض المستهلك[5].

ثانيًا: الالتزام بالسلامة في العقد الطبي

يكون لجوء المريض إلى الطبيب في الأساس بقصد الحصول على الوقاية، والعلاج من الأمراض، من أجل المحافظة على السلامة الجسدية والعقلية. لذلك، كي يقوم الطبيب بتأدية تلك المهمة، فإنه

1- Canterbury v .Spence 464 ,F2.d,772 (780D.C .Cir)1972 .https//:law.justia. com4/6/2022 تاريخ الاطلاع

2- هناك عدة قوانين لحماية المستهلك في ولاية كاليفورنيا ،ولعل أهم هذه القوانين ما يأتي:
1. قانون الاحتيال في المبيعات والإعلان في كاليفورنيا (California Sales and Advertising Fraud Act) وتم إصداره في عام 1970.
2. قانون العودة واستبدال المنتجات في كاليفورنيا (California Return and Exchange Law) ، وتم إصداره في عام 1978.
3. قانون الضمان في كاليفورنيا (California War-ranty Law)، وتم إصداره في عام 1979.

3- California Consumer Protection Act) -CCPA) تم إصداره في عام 2018، وبدأ تنفيذه في عام 2020.

4- قانون العقود الاستهلاكية في كاليفورنيا هو «قانون العقود الاستهلاكية للمستهلكين في العصر الرقمي» (Consumer Contracts for the Digital Age Act). الذي صدر في عام 2016.

5- قانون حماية المستهلك رقم 659 الذي صدر في 4/2/2005، وقانون المعاملات الإلكترونية رقم 81 الصادر بتاريخ 24/09/2018، وقد دخل حيّز التنفيذ بعد ثلاثة أشهر من صدوره في الجريدة الرسمية، أي بتاريخ 18/1/2019.

يستخدم كافة الوسائل المادية الممكنة من مرافق الاستقبال، والكشف، والاستشفاء، والاستعانة بالمنتجات، والخدمات الطبية، كما وجب على الطبيب استخدام تلك الوسائل لضمان سلامة المريض.

والمقصود الالتزام بالسلامة هو ضرورة توفر ضمانات ضد المخاطر، وآمنة للمنتوج، ، وقد يكون من شأنها أن تمس صحة المستهلك، أو تضر بمصالحه المادية. لذا، على المتدخل عند الاقتضاء الالتزام بضمان الضرر الذي يصيب الأشخاص والأملاك، بسبب العيب في المنتوج، كما نصت الفقرة الأولى من المادة الثالثة من قانون حماية المستهلك اللبناني بالآتي: «الحق بالحفاظ على صحته وسلامته عند استعماله بشكل ملائم للسلعة، أو الخدمة لجهة الجودة والنوعية.»[1]

زد على ذلك، تعد حماية صحة المستهلك أمرًا بالغ الأهمية، من خلال النظر إلى الارتباط بتقديم المنتجات والخدمات في الوقت الحالي، لاسيما مع التطور التكنولوجي الحاصل، وهو الأمر الذي استدعى تدخل التشريعات لفرض الالتزام على المحترف (الطبيب)، باتخاذ الإجراءات التي من شأنها الحفاظ على سلامة المستهلك وأمنه. بالتالي، يكون مصدر ذلك الالتزام هو العقد المبرم بين الطبيب والمريض، ويكون محله تقديم الخدمة الطبية، فيقع على عاتق الطبيب أن يلتزم بالسلامة وحماية المستهلك.

ثالثًا: الالتزام بإشهار السعر

يُعد الإعلان عن السعر هو أحد الوسائل التي يتم استخدامها من أجل جذب المستهلك للمنتجات، لذلك، من الضروري أن يكون المستهلك على علم بالسعر، ويجد مصدر الالتزام بالإعلام عن سعر السلعة في النصوص المتعلقة بحماية المستهلك، لأنها تؤكد على الطابع العام للالتزام والتطبيق على كافة المنتجات والخدمات، مهما كانت طبيعتها أو إجراءات البيع. كذلك، لا يتم تطبيق هذا الالتزام إلا من أجل مصلحة المستهلك. في هذا الصدد، نصت المادة الرابعة من قانون حماية المستهلك اللبناني على الآتي: «يتوجب على المصنع أو المحترف أن يزود المستهلك بمعلومات كاملة صحيحة، ووافية، وواضحة تتناول:

1- فتاك علي، تأثير المنافسة على الالتزام بالضمان سلامة المنتوج، دار الفكر الجامعي، الطبعة الأولى، الإسكندرية، مصر، 2007، ص215.

–كافة البيانات للسلعة أو الخدمة وطرق استخدامها.

– الثمن وشروط التعاقد وإجراءاته.

–المخاطر التي قد تنتج عن الاستعمال».

انطلاقًا من هنا، يعد إشهار سلة المنتجات أو الخدمات التزامًا قانونيًا وإجباريًا، والمقصود منه أن يتم الإعلان عن الأسعار وتعليقها من أجل إعلام المستهلك إعلامًا موضوعيًا[1]، إذ يحسب الإعلام بالأسعار شرطًا ضروريًا من أجل معرفة السعر الحقيقي للخدمة المقترح تقديمها إليه، كما أن نشر الأسعار هو إجراء حمائي. بالتالي، لا يكفي أن يتم إعطاء معلومات لكل مستهلك على حدة، بل من الضروري أن يكون عالمًا بها قبل التعاقد، من دون اللجوء إلى البائع أو مؤدي الخدمة، لمعرفة السعر الذي سيطلب منه دفعه، ويتمتع المستهلك في تلك الحالة بكامل الحرية في التعاقد من عدمه. كذلك، إذا كانت الأسعار سرية، فإن المستهلك لا يمكنه معرفة إذا كان ضحية التمييز بين البائع ومؤدي الخدمة. من هنا ،لا بد من طرح التساؤل الآتي: كيف للمستهلك أن يختار الخدمة أو المنتج إذا كان يجهل سعره؟ ابتداء من هنا، إن الهدف الرئيسي من إشهار السلعة هو حماية الجمهور من تعسف البائع أو مقدم الخدمة[2].

بالنتيجة، ذهب بعض الفقه إلى القول أن تجريم عدم القيام بالإعلان عن الأسعار هو أمر من قبيل التجريم الوقائي، إذ من شأنه أن يعمل على تيسير مهمة القائمين بمراقبة الأسعار، كما يفيد في إعلام المستهلك بسعر السلعة أو الخدمة إذا لم تكن مسعرة[3]، ويتم الإشهار عن السلعة أو الخدمة من خلال القيام بوضع ملصقات، أو أية وسيلة أخرى، فتكون مناسبة لإعلام المستهلك.

لذلك، لا بد أن يكون إعلام المستهلك بسعر المنتج أو الخدمة مكتوبًا، إذ لا يعد الإعلام شفهيًا كافيًا، بل تكون كتابة السعر من خلال وضع علامة، أو وسم، أو أية وسيلة أخرى يفهم منها، أن تلك الكتابة تعد الوسيلة الوحيدة للإعلان عن الأسعار أو التعريفات.

انطلاقًا مما سبق، يعد أمر ينطبق على

1 –حامق ذهبية، الالتزام بالإعلام في العقود، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، 2008، ص246.

2– عبد المنعم موسي إبراهيم، حماية المستهلك: دراسة مقارنة، منشورات الحلبي الحقوقية، 2007، ص85.

3– روسم عطية نو، الحماية الجنائية للمستهلك من الغش في مجال المعاملات التجارية: دراسة مقارنة، دار المطبوعات الجامعية، 2014، ص163.

الأعمال التي تتعلق بالأنشطة الطبية والصيدلية، إذ يشكل في حالة عدم الالتزام بالإعلام عن السعر في الخدمات الطبية، والمنتجات، والمستلزمات الصحية، مخالفة للالتزام بالإعلام عن الأسعار، لأن العمل الطبي عمل يرتبط بالتطور التكنولوجي، والعلمي، والقيام باستخدام الأجهزة الحديثة المعقدة. من هنا، أصبح الأمر في العمل الطبي يقترب من التقنية أكثر من طابعه الإنساني بالمعنى التقليدي، وقد عملت تلك الوضعية على نقل العمل الطبي من الوضع التقليدي إلى وضع جديد، فيقترب من المفهوم الاقتصادي، شأنه في ذلك شأن كل منتج، لذا أصبح الاهتمام أكثر بالتكلفة الاقتصادية، بسبب الحسابات التي تدخل في إنجاز العمل الطبي، واستخدام تلك التقنيات الحديثة.

بناء عليه، يحرص الطبيب دائمًا على إعلام المريض بالأتعاب الواجبة عليه، قبل أن يقوم بالتدخل، إذ على الطبيب بيان التكلفة الإجمالية للعلاج المطلوب، فإذا اقتصر الأمر على كشف الطبيب وتشخيصه، ووصف الأدوية اللازمة لحالة المريض، كان من الضروري أن يخبر المريض عن الأتعاب التي تكون مستحقة له مقابل ذلك الأمر، كما العادة يتم التحديد مسبقًا، من خلال الإعلان العام الذي يجريه الطبيب على الجميع، مبينًا فيه مقدار الأتعاب. لذلك، هذا الأمر يدفع المريض لدخول عيادة الطبيب والتعامل معه، كأنه قد رضي ضمنًا بما حدد له من أتعاب، كما لا يثير الوضع إشكالًا، ولا يتطلب صدور رضى خاص، أو موافقة على الأتعاب من جانب المريض[1].

نتيجة ما ورد أعلاه، إن العمل الطبي في أساسه عمل مبني على الثقة التي تكون مستمدة من حرية الاختيار، إذ تتميز العناية الطبية والمجهود الذي يقوم به الطبيب بقيمة عالية، لاسيما أن الطبيب لا يكتفي لإنجاز عمله الطبي على أدوات بسيطة، بل أصبح يستخدم وسائل علاجية حديثة، ومتقدمة، ومكلفة، وهي الوسائل التي تجذب المرضى إلى عيادة ذلك الطبيب[2].

1- محمد الظاهر حسين، المسؤولية المدنية في مجال طب وجراحة الأسنان، 2004، ص105.
2- غنيمة ركاي، حماية المستهلك في المجال الصحي، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، 2016، ص221.

الخاتمة:

تعد صحة الإنسان واحدا من أهم الموضوعات التي تتناولها التشريعات. وقد أدى التطور إلى ظهور تشريعات تهدف لحماية صحة المستهلك، وتوفير سلع، وخدمات آمنة وصحية للمستهلكين. لذلك، تم وضع القوانين واللوائح لضمان جودة المنتجات، والخدمات، والتأكد من توافقها مع المعايير الصحية والسلامة، لاسيما في ضوء التطور الصناعي والتكنولوجي الذي يمكن أن يؤثر على صحة المستهلكين.

مع ذلك، يحسب المستهلك شخصًا طبيعيًا أو معنويًا، إذ يشتري خدمة، أو سلعة، أو يستأجرها، أو يستعملها، أو يستفيد منها، لأغراض غير مرتبطة مباشرة بنشاطه المهني. بالإضافة إلى هذا التعريف، يمكن للمريض أن يكون «مستهلكًا» للخدمات الطبية التي يقوم بها الطبيب، لكن ليس بالمعنى الحرفي للكلمة، لأن المريض شخص بحاجة لرعاية صحية وتعاطف، كما يعد التطرق لقوانين حماية المستهلك، ما هي إلا من باب التشدد في حماية المريض، لا سيما في الحالات غير العلاجية كحالات التجميل غير العلاجية. بالتالي، يجب أن يكون هدف الطبيب هو صحة وسلامة المريض في عملية الجراحة، أو الخدمات التجميلية غير الجراحية، وليس مصلحته الشخصية أو الكسب المادي.

بالمقابل، في الولايات المتحدة الأمريكية، على الرغم من وجود قوانين متخصصة تهدف لحماية المرضى، إلا أن هناك العديد من الأمثلة القضائية، ويمكن للمرضى استخدام قوانين حماية المستهلك للمطالبة بالتعويض عن الضرر الناجم عن سوء الرعاية الصحية، وقد تم اعتبار المريض مستهلكًا بهدف تشديد الحماية له، لذا نتمنى أن يتبنى القضاء اللبناني ذلك.

بالتالي، يمكن تطبيق قواعد حماية المستهلك على العقد الطبي الذي يبرم بين المرض والطبيب من الناحية العملية، وفق ما يأتي:

أولًا: الالتزام بالإعلام قبل التعاقد في العقد الطبي، لاسيما قبل مرحلة العقد الطبي، مع ضرورة منح المتعاقد (المريض) مهلة للتفكير والتروي التي تساعد المرضى في اتخاذ قرارات مستنيرة. لذلك، فصّل المشرع اللبناني الإعلان الكاذب، كما أشار إليه في قانون مراكز التجميل. زد على ذلك، بينا المخالفات التي تمكن

رصدها في هذا المجال، إذ إن حماية المريض (المستهلك) في الولايات المتحدة على قدر كبير من الأهمية، لاسيما في ولاية كاليفورنيا وفق التفاصيل التي تمت الإشارة لها.

ثانيًا: الالتزام بالسلامة في العقد الطبي ضد المخاطر التي تمس صحة المستهلك وأمنه، خلال فرض الالتزام على المحترف (الطبيب)، ويحل محله تقديم الخدمة الطبية حمايةً للمريض (المستهلك).

ثالثًا: يعد الالتزام بإشهار السعر شرطًا ضروريًا من أجل معرفة السعر الحقيقي للخدمة المقترحة وتقديمها إليه، كما يتعين على الطبيب أن يبلغ المريض بتكلفة العلاج المتوقعة قبل البدء به. بالإضافة إلى ذلك، وجب الشرح للمريض تفصيلات الأتعاب المطلوبة للخدمات الطبية المقدمة، بما في ذلك التكلفة الإجمالية للعلاج والتكاليف الإضافية المحتملة، إذ لا تقتصر الزيارة الطبية على الكشف، والتشخيص، وتوصيف الأدوية، بل يجب على الطبيب إخبار المريض بالأتعاب المتوقعة لهذه الخدمات.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

إذا تحققت المسؤولية المدنية، فإن الاتفاق على تشديد أحكام المسؤولية، كما يعد جائزًا إطلاقًا، ويكون في الغالب بمثابة الصلح، كما يعد الصلح جائزًا، وليس من النظام العام. وهو ما يتشابه فيه كل من القانون اللبناني والقانون الأمريكي.

التوصيات:

1- حبذا لو يأخذ به المشرع اللبناني كما أخذ به نظيره الفرنسي في حال المنازعة بشأن إعلام المريض، فيلزم الطبيب أو المؤسسة الصحية إقامة الدليل بإعلام المريض.

2- إن رصد إعلانات دعائية غير قانونية تروج للتجميل بشكل غير متناه، مع تسليط الضوء على فوائد التجميل بشكل إيجابي، وتجنب ذكر المخاطر، أو العلاجات الوقائية اللاحقة، أو الحديث عن الأعراض الجانبية، إذ يعد انتهاكًا صريحًا لالتزام الأطباء بإعلام المرضى بالمعلومات اللازمة. زد على ذلك، يُظهر أحيانًا أن العمل الطبي، وخاصة في مجال التجميل، هو الحل المثالي والنهائي وكأن الطبيب يضمن

«الشفاء»، وهذا يتعارض صراحة مع المادة العاشرة من قانون الآداب الطبية.

3- مناشدة وزارة الصحة بتفعيل القانون بحق مراكز التجميل، وأطباء التجميل غير الملتزمين بتطبيق القوانين المرعية الإجراء، وتوجيه إنذار لتسوية الأوضاع خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، وإغلاق أي مركز تجميل يفتقر إلى أحد شروط الترخيص، أو غير مرخص وفقًا للمادة السابعة من قانون إنشاء مراكز التجميل.

4- كما نتمنى رفع قيمة الغرامات، خاصة مع تدهور سعر العملة اللبنانية، وفق ما تمت الإشارة إليه في المقترح السابق. نظرًا للوضع الاقتصادي الحالي وأزمة سعر الصرف التي أدت لتدهور العملة الوطنية، من المفيد أن يعدل المشرع اللبناني القيم النقدية في قانون الإثبات وغيره من القوانين اللبنانية، كي تتناسب مع الواقع العملي لمصلحة المريض.

قائمة المراجع

أولا: المراجع المتخصصة:

- روسم عطية نو، الحماية الجنائية للمستهلك من الغش في مجال المعاملات التجارية: دراسة مقارنة، دار المطبوعات الجامعية، 2014.
- عبد المنعم موسي إبراهيم، حماية المستهلك: دراسة مقارنة، منشورات الحلبي الحقوقية، 2007.

فتاك علي، تأثير المنافسة على الالتزام بالضمان سلامة المنتوج، دار الفكر الجامعي، الطبعة الأولى، الإسكندرية، مصر، 2007.

- محمد حسن قاسم، العقد، المجلد الأول، منشورات الحلبي، 2018

ثانيا: الأبحاث والدوريات:

- أمينة لطروش، تأثير قانون حماية المستهلك وقمع الغش على العقد الطبي، مجلة منازعات الأعمال، العدد الأول، 2014.

ثالثًا: الرسائل والأطاريح:

- حامق ذهبية، الالتزام بالإعلام في العقود، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، 2008.
- سعد أحمد محمود، مسؤولية المستشفى الخاص عن أخطاء الطبيب ومساعديه،

- Mohammad Hassan Qassem, "The Contract," Volume 1, Al-Halabi Publications, 2018.

Second: Research and Journals:

- Amina Latrosh, "The Impact of Consumer Protection Law and Anti-Fraud on the Medical Contract," Business Disputes Journal, Issue 1, 2014.

Third: Theses and Dissertations:

- Hamak Zahabiya, "The Obligation of Disclosure in Contracts," PhD Thesis, Faculty of Law, University of Algiers, 2008.

- Saad Ahmed Mahmoud, "The Liability of Private Hospitals for the Errors of Doctors and Assistants," PhD Thesis, Faculty of Law, Cairo University, 1983.

Fourth: Foreign References:

- Jean Pascal – Chazal, "Vulnerability and Consumer Law," colloquium on Vulnerability and Law, organized by the University of Grenoble II, March 23, 2000.

Fifth: Electronic References:

- https://law.justia.com

- https://www.supremecourt.gov

- "Bill on Patients' Rights and Duties and Principles of Medical Conduct," Lebanese Parliament, https://www.lp.gov.lb/UploadedFiles/12182.pdf

رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، 1983.

رابعًا: المراجع الأجنبية:

-Jean Pascal – chazal, Vulnérabilité et droit de la consommation colloque sur la vulnérabilité et le droit, organisé par l'université, grenoble II le 23 mars 2000

خامساً: المراجع الالكترونية:

- https://law.justia.com

- https://www.supremecourt.gov

- **مشروع القانون المتعلق بحقوق المرضى وواجباتهم ومبادئ السلوك الطبي»، مجلس النواب اللبناني،**

https://www.lp.gov.lb/UploadedFiles.12182/pdf

References

First: Specialized References:

- Rawsam Atia No, "Criminal Protection of Consumers from Fraud in Commercial Transactions: A Comparative Study," University Publications House, 2014.

- Abdul Moneim Mousa Ibrahim, "Consumer Protection: A Comparative Study," Al-Halabi Legal Publications, 2007.

- Fattak Ali, "The Impact of Competition on the Obligation of Product Safety Warranty," University Thought House, First Edition, Alexandria, Egypt, 2007.

3. اتجاهات الصراع الجيوسياسي في منطقة البحر الأسود

Geopolitical Conflict Trends in the Black Sea Region

بقلم الطالبة: فاتن فوزي مصطفى

طالبة دكتوراه في الجامعة الإسلامية في لبنان، قسم العلاقات الدولية

إشراف د. مصطفى الشاميّه

Faten Fawzi Mustafa

PhD student at the Islamic University / Department of International Relations

Supervised by Dr. Mustafa Al-Shamieh

mostafafaten165@gmail.com

تاريخ الاستلام: 1/15 /2025 تاريخ القبول: 2/ 1/ 2025 تاريخ النشر: 25/3/ 2025

ملخص الدراسة:

شهدت منطقة البحر الأسود عقودًا من النزاعات، بحكم الجغرافيا السياسية لهذه المنطقة، التي تشكل إحدى مفترقات الطرق الإستراتيجية الرئيسية للقارة الأوراسية، ونقطة عبور مهمة تجاريًا وطاقويًا. اتسمت حالة النزاعات بالتنافس بين خصوم تقليديين في مساحة جغرافية تشكل مجالًا حيويًا لتجسيد إستراتيجيات هذه القوى في لعبة التوازنات الإقليمية والدولية. مما يجعل منطقة البحر الأسود بقعة ساخنة محتملة.

تهدف الدراسة إلى الإجابة عن إشكالية إرتباط جغرافية البحر الأسود بالتنافس الإقليمي والدولي وتأثيرها في توزيع التراتبية للقوى العالمية، بالإضافة إلى دراسة التفاعلات الجيوسياسية في هذه المنطقة لا سيما بعد الحرب الروسية–الأوكرانية2022، المفتوحة على كثير من الإحتمالات والتأثيرات في منطقة النزاع.

كلمات مفتاحية: الجغرافيا السياسية، التنافس الدولي، البحر الأسود، أمن الطاقة.

Study Abstract

The Black Sea region has witnessed decades of conflicts due to its geopolitical significance. This area serves as one of the key strategic crossroads of the Eurasian continent and a crucial transit point for trade and energy. The conflicts in the region have been characterized by competition between traditional rivals within a geographical space that acts as a vital arena for these powers to implement their strategies in the game of regional and international balances. This dynamic makes the Black Sea region a potential geopolitical hotspot.

The study aims to address the issue of how the geography of the Black Sea is linked to regional and international competition and its impact on the global power hierarchy. Additionally, it explores geopolitical interactions in this region, particularly in the aftermath of the 2022 Russia–Ukraine war, which has introduced numerous possibilities and implications for the conflict zone.

Keywords: Political Geography, International Competition, Black Sea, Energy Security.

مقدمة

يشكل البحر الأسود أحد مفترقات الطرق الإستراتيجية الرئيسية للقارة الأوراسية، بين أوروبا والبلقان وروسيا والقوقاز وآسيا الوسطى والشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط. إذ تمثل هذه المنطقة مساحة تتعايش فيها القوى الكبرى ذات الطموحات الجيوسياسية المتنافسة حاز البحر الأسود أهمية قصوى منذ ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، الأمر الذي جعل الغرب يتخوف من امتداد ذلك إلى دول الجوار الأخرى. ومع اندلاع الحرب الأوكرانية الروسية عام 2022، إذ أصبحت المنطقة أكثر أهمية في ترتيبات القوة العالمية.

من خلال المشهد الأولي للحرب بدا أنّ الصراع قد إنتقل إلى المقلب الآخر من الأرض، بعد أن تركز ولفترة طويلة في الشرق الأوسط، صاحب ذلك تمدد التنافس نحو المحيطات خاصة في منطقة الهندو باسفيك بين قوى البر الشرقية وقوى البحر الغربية.

هذا المشهد دفع بالعديد من القوى العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إلى إعادة النظر في التوزيع الدولي للقوة، ومدى قدرة الولايات المتحدة على الحفاظ على أحاديتها في قيادة العالم، وحمايتها لحلفائها ضد التوسع الروسي ضمن مشروع الأوراسية الجديدة. الأمر الذي طرح إشكاليات كبرى فيما خص الأمن الإقليمي والدولي، وأمن الطاقة والأمن الغذائي. لا سيما وأنّ البحر الأسود منطقة عبور تجاري وطاقوي وهو جعل الدول المطلة عليه تتأثر بتداعيات النزاع ودفعها إلى الانخراط فيه بشكل أو بآخر.

يلقي أمن الطاقة وأمن ممراتها وممرات التجارة الدولية بشكل عام بثقله على سياسات الدول لا سيما في المناطق التي تفرض واقعًا جيوسياسيًا معينًا، ويبقى سعي هذه الدول لتأمين البديل في حال حصول أي أمر طارئ أمرا منطقيا وعقلانيا. لذلك تشكل الحروب والتطويق العسكري مصدر قلق للدول مما يجعلها في حالة بحث دائم عن إستقرار هنا أو هناك للحفاظ على بقائها ووجودها.

يمكن إعتبار أنّ إشكالية هذه الدراسة ترتبط بمتغيري الجغرافيا والقوة، إذ تضعنا أما حتمية تأثر الأدوار السياسية والأمنية للدول تبعًا للموقع الجغرافي لمنطقة النزاع، في المقابل يتم تهميش الدور العالمي للدول الحبيسة جغرافيًا التي تقع

تحت وطأة ما يسمى بلعنة الجغرافيا.

من هنا يمكن طرح الإشكالية التي تتعلق بهذه الدراسة على الشكل التالي: إلى أي مدى ممكن أن يلعب الموقع الجغرافي للبحر الأسود دورًا في تحريك التفاعلات الجيوسياسية، وأي دور يمكن أن يؤديه هذا البحر وفقًا لإستراتيجية القوى العالمية والإقليمية والقوى الصاعدة في إعادة توزيع الأدوار في إدارة النظام العالمي الجديد، بما يسمح بوضع تصور جديد لشكل النظام العالمي في السنوات القادمة؟

تبنى هذه الدراسة على فرضية مفادها أنّه كلما ازداد التنافس الدولي والإقليمي في منطقة البحر الأسود ازدادت حاجة هذه الدول إلى إعادة النظر في إستراتيجياتها بما يتناسب مع موقعها الجديد في التراتبية الهرمية للقوة الذي تطمح إليه بما يضمن لها تقاسم المصالح في المنطقة.

تهدف الدراسة إلى تحليل واقع التفاعلات الإقليمية في منطقة البحر الأسود، ومدى تأثيرها وتأثرها بالبيئة الدولية في ظل التغير الذي طرأ على ميزان القوة العالمي والتغير في أولويات الدول، التي جعلت من أمن الطاقة متغيرًا مهمًا في إدارة العلاقات الدولية، بالإضافة إلى تأمين خطوط تجارة دولية آمنة ومستقرة خوفًا من زعزعة الأمن الغذائي لعديد من دول العالم. بالإضافة إلى إعادة الاعتبار لأهمية البحر الأسود في ظل المتغيرات التي طرأت على المنطقة بعد ضم شبه جزية القرم 2014 والحرب الروسية–الأوكرانية 2022.

سيتم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور:

–الأول بعنوان: الجغرافيا السياسية للبحر الأسود

–الثاني بعنوان: الصراع الجيوسياسي والتنافس الدولي والإقليمي في منطقة البحر الأسود.

–الثالث بعنوان: مستقبل التوازنات الإقليمية والدولية في منطقة البحر الأسود.

المحور الأول: الجغرافيا السياسية للبحر الأسود

تأثرت العلاقات الدولية في زمن السلم كما في زمن الحرب، بالجغرافيا السياسية للدول بشكل مباشر، إذ إنّها العلم الذي يبحث في تأثير الجغرافيا في السياسة، أي في طريقة تأثير المساحة والموقع والمناخ والحدود... في أحوال الناس والدول. وبهذا لم تعد الجغرافيا بقعة

ساكنة على سطح الأرض، بل باتت تنطق بالسياسة والإقتصاد والتأثير، ترسم المستقبل وتحدد المسارات والإتجاهات. كما تؤثر الجغرافيا السياسية في رؤى القادة وصنّاع القرار على المستويين الداخلي والخارجي. وتسهم في تحديد أدوار الدول وأوزانها في السياسات الدولية والإقليمية، كما أنّها سبب مباشر في الحروب على الموارد.

ويشكل البحر الأسود منطقة جغرافية مهمة ضمن إطارها الإقليمي، لما يعطيه الموقع الجغرافي لهذا البحر بين آسيا وأوروبا كممر مهم للواردات النفطية والتجارة الدولية بشكل عام، ويشكل منطقة صدام بين روسيا من جهة وأوروبا والولايات المتحدة من جهة أخرى. مما يدفعنا إلى الاهتمام بدراسة أهمية الموقع الجغرافي في تحديد ملامح هذا الصراع ضمن حركة تفاعلات جيوستراتيجية تترجم حدة الصراع الجيوسياسي في المنطقة.

أولًا: أهمية الموقع الجغرافي للبحر الأسود في رسم ملامح الصراع

بالنظر إلى الموقع الإستراتيجي، تسمح منطقة البحر الأسود بإستخدام القوة للتأثير على مجمل القارة الأوروبية، لا سيما منطقة البلقان وأوروبا الوسطى، وأيضًا على شرق المتوسط وجنوب القوقاز وشمال الشرق الأوسط.

تبلغ مساحة المسطح المائي للبحر الأسود 461,000 كلم مربع مع إحتساب بحر آزوف، بما يعادل مساحة بحر البلطيق تقريبًا وإن كان يختلف عنه في الحجم والعمق، أقصى امتداد لمسطحه المائي من الغرب إلى الشرق يبلغ 1130كم، وأقصى إتساع من الشمال إلى الجنوب يبلغ 611 كم، في حين يبلغ أقل إتساع 263 كم، ويبلغ أقصى عمق للمياه نحو 2210 م.[1]

يتوسط البحر الأسود قارتي آسيا وأوروبا، ويعتبر بحرًا شبه مغلق، أو بحرًا داخليًا بين الجزء الجنوبي–الشرقي من أوروبا وآسيا الصغرى. يتصل ببحر آزوف عبر مضيق كيرتش، وبالبحر المتوسط عبر مضيق البوسفور وبحر مرمرة وبحر إيجه. تصب فيه عدة أنهار، أهمها نهر الدانوب في الشمال الغربي، والذي يُعد ثاني أهم نهر في أوروبا بعد نهر الفولغا. يتدفق النهر عبر حدود عدة دول في البحر الأسود، مولدوفا، صربيا، رومانيا،

1- رمضان عبد العال، روسيا في البحر الأسود (شبه جزيرة القرم)، مركز الدراسات العربية الأوراسية، 2024، على الموقع الإلكتروني: https://eur-asiaar.org/

بلغاريا، وأوكرانيا حيث ينتهي في البحر الأسود. ويعتبر أحد أهم المنافذ البحرية لروسيا نحو المياه الدافئة. تطل عليه ست دول: روسيا،أوكرانيا، جورجيا، تركيا، بلغاريا، رومانيا.

يكتسب هذا البحر أهمية إستراتيجية كونه يشكل مفترق طرق يربط مناطق القوقاز وشرق البحر المتوسط والبلقان والشرق الأوسط، بالإضافة إلى كونه نقطة عبور مهمة بين أوروبا وآسيا، الأمر الذي جعله يدخل في صميم المنافسة بين روسيا والغرب. شهد هذا البحر عشر حروب مدمرة على سواحله أو بالقرب منه منذ نهاية الحرب الباردة. متفوقًا بذلك على أي منطقة بحرية أخرى في العالم. من هنا لا يمكن فهم الأهمية الجيوسياسية للبحر الأسود بمعزل عن موقعه الجغرافي وسياسات الدول المطلة عليه.

يمثل البحر الأسود أهمية بالغة لعديد من الدول ما وراء حدودها، بسبب تجارة الطاقة والمعادن والموارد الزراعية، بالإضافة إلى أهميته العسكرية والسياسية، وعبره يتدفق الوقود من بحر قزوين والقوقاز وآسيا الوسطى إلى أوروبا والعالم.

تعد منطقة البحر الأسود مجالًا رحبًا لإلتقاء الحضارات المتنوعة دينيًا وثقافيًا، وقد أصبحت ذات أهمية جيوسياسية وجيواستراتيجية مهمة عبر التاريخ. فهي تمثل منطقة العبور بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب. كما أصبحت بمنزلة الحدود المهمة بين الكتلة الغربية والشرقية خلال الحرب الباردة.

من الناحية الجيوسياسية، تُعد هذه المنطقة صغيرة ومغلقة نسبيًا، لكنّها شهدت عبر التاريخ صراعات متعددة بين القوى الشمالية الشرقية (روسيا عبر أوكرانيا وجورجيا) والجنوب تركيا، والغرب (رومانيا، بلغاريا، والقوى الأوروبية مثل فرنسا وألمانيا والنمسا وبريطانيا العظمى). وكانت منطقة البحر الأسود، لعدة قرون مكانًا للمواجهة بين العالم الروسي (المسيحي الأرثوذوكسي) والعالم التركي (المسلم) والعالم الغربي (المسيحي الكاثوليكي و البروتستانتي).[1]

من الناحية الاقتصادية يستمد هذا البحر أهميته كونه يحتوي على كميات مهمة من النفط، إذ أعلنت تركيا عن إكتشافات نفطية مهمة في حقل سكاريا في البحر الأسود والذي يمكن أن يضيف لها

1–رمضان عبد العال، روسيا في البحر الأسود (شبه جزيرة القرم)، مرجع سابق.

حوالي عشرة مليون متر مكعب من الغاز يوميًا.[1]

كما أنّه سيظل منفذًا بحريًا ومعبرًا أساسيًا لنقل النفط والغاز الطبيعي، ولديه القدرة على ربط منطقة آسيا الوسطى (منطقة بحر قزوين) الغنية بالموارد بسوق الطاقة العالمية.

من الناحية الجيوعسكرية، فإنّ المصالح المتنوعة والمتضاربة بين القوى الإقليمية جعلت منه ساحة لسباق التسلح بالقوة العسكرية البحرية، ومسرحًا لحروب وتصادم عسكري بين مفهومين جيوسياسيين (القوة البحرية والقوة البرية)، والمحرك الرئيسي لهذا التصادم بدون شك هو خطوط نقل الطاقة وسلاسل التوريد أي بشكل أدق خطوط التجارة الدولية.

ثانيًا: الوضعية القانونية للبحر الأسود

وقعت اتفاقية مونترو في سويسرا عام 1936 بمشاركة عدد من الدول من بينها الإتحاد السوفياتي وتركيا وبريطانيا وفرنسا واليونان وبلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا واليابان وإستراليا. أعلنت الإتفاقية حرية المرور عبر مضايق البحر الأسود للسفن التجارية في أوقات السلم والحرب، وسمحت بمرور السفن الحربية لدول حوض البحر الأسود بدو أي تحديد. أمّا السفن الحربية التابعة لدول من خارج حوض البحر الأسود، فسمحت بأن تكون سفنًا سطحية وخفيفة بحمولة محددة ضمن بنود الإتفاقية.

نصت المادة الثانية من الإتفاقية على أنّه « في وقت السلم تتمتع السفن التجارية بحرية العبور والملاحة في المضائق ليلًا ونهارًا، تحت أي علم وحاملة لأية بضاعة، مع مراقبة صحية حسب القانون التركي. أمّا في حالة الحرب فعلى السفن التجارية العبور نهارًا فقط، وللسلطات التركية الحرية في تحديد رخصة المرور والطريق الذي يجب المرور عليه».[2]

دخلت الإتفاقية حيز التنفيذ في تشرين الثاني 1936، الهدف منها كان تنظيم حركة المرور عبر مضايق البحر الأسود للسفن التجارية في أوقات السلم والحرب. والسفن الحربية قيدتها بقيود معينة وحملت دولة العبور أي تركيا مسؤولية مخالفة بنود الإتفاقية. (تتضمن الاتفاقية تسعة وعشرين بندًا وأربعة ملحقات وبروتوكول).

تفرض الإتفاقية مستويات مختلفة من

1- رمضان عبد العال، مرجع سابق.

2- المادة الثانية من اتفاقية مونترو 1936.

القيود على السفن الحربية من جميع الأنواع التي تمر عبرها، والتي يختلف نوعها وطبيعتها إعتمادًا على ما إذا كانت السفن المعنية تنتمي إلى الدول المطلة على البحر الأسود أم لا. في وقت السلم تخضع السفن الحربية للدول غير المشاطئة للبحر لقيود الحجم (الحد الأقصى للحمولة الإجمالية) وكذلك مدة الإقامة (لا تزيد عن 21 يومًا) كما يجب عليهم إخطار السلطات التركية بمرورهم بإشعار مدته 15 يومًا .[1]

في حالة الحرب، عندما لا تكون تركيا طرفًا في النزاع، لا يسمح للسفن المتحاربة باستخدام المضائق إلّا للوصول إلى موانئها الأصلية.

تلعب هذه القيود دورًا مهمًا في ترسيخ إطارًا عامًا لنظام دولي قائم على القواعد، والذي يحكم نظام السفن والطائرات في البحر الأسود والمضائق التركية لأكثر من 85 عامًا.

منحت الاتفاقية تركيا السيطرة على مضيقي البوسفور والدردنيل التركيين وتنظيم عبور السفن الحربية التابعة للبحرية. كما أعطتها دورًا مهمًا في إدارة الحركة التجارية الدولية عبر البحر الأسود، وأصبحت التبادلات التجارية الدولية من وإلى المنطقة خاضعة لتقديرات السلطات التركية وللقانون التركي، ما أوجد حالة من التوازن والاستقرار في المنطقة بين المحورين الشرقي والغربي.

بالرغم من أنّ المنطقة شهدت عدة خلافات بين عدد من الدول الموقعة عليها منذ بدء العمل بها، إلّا أنّها بقيت خلال الحرب الباردة منطقة لتحقيق التوازن بين المعسكر الغربي وحلفائه (تركيا واليونان) والمعسكر الشرقي وحلفائه (بلغاريا ورومانيا). لكن هذا الوضع الجيواستراتيجي بدأ بالتغير تدريجيًا بعد الحرب الباردة وتفكك الإتحاد السوفياتي الذي تزامن مع ظهور دول جديدة على خارطة المنطقة أعادت إحياء نزاعات تاريخية على الحدود وساهمت في ظهور حركات إنفصالية ونزعات قومية لدول المنطقة.

بعد انضمام تركيا إلى حلف الناتو عام 1952، ونظرًا لموقعها الإستراتيجي، لعبت دورًا مهمًا داخل الحلف كونها

1- Aliano, Adam, “Is Russia Exploiting a Gap in the Montreux Convention?” Lawfare Blog, Russia-Ukraine War, 14 June 2022. https://www.lawfareblog.com/russia-exploiting-gap-montreux-convention.

استطاعت بموجب مبدأ الإذن الذي أرسته إتفاقية مونترو 1936، التحكم بمرور السفن السوفيتية بين البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط.

بعد انتهاء الحرب الباردة، وعلى الرغم من الإختلافات المتزايدة الواضحة بين دول المنطقة حول مستقبلها الإستراتيجي، أنشأت دول حوض البحر الأسود خلال الأعوام 1990و2000، عدة محافل لتعزيز تعاونها الاقتصادي والأمني. في قمة مضيق البوسفور عام 1992، إجتمع زعماء عشر دول (أرمينيا، ألبانيا، أذربيجان، جورجيا، أوكرانيا، اليونان، مولدوفا، بلغاريا، روسيا، تركيا)، إذ أقر الاجتماع أنّ المنطقة تضم في تحالفاتها دولًا غير مشاطئة للبحر الأسود، آخذًا بعين الاعتبار القرب الجغرافي أيضًا، الأمر الذي جعل أرمينيا وألبانيا وأذربيجان ومولدوفا واليونان تشارك في القرارات الخاصة بالمنطقة.

إذ أنشأت منظمة التعاون الاقتصادي للبحر الأسود كأول مجال للتعاون الإقليمي لمجموعة متكاملة من القضايا الاقتصادية، وبشكل أهم للقضايا الأمنية مثل مكافحة الجريمة المنظمة والإرهاب. وظلت المنطقة منقسمة بين أعضاء في الناتو ومرشحين للإنضمام، وآخرين تجمعهم علاقات أمنية وإقتصادية مع روسيا الإتحادية. وبهذا أصبحت المنطقة ذات إطار مؤسساتي محددة في القانون الدولي، مكونة من 12 دولة، عشر منها المجتمعة في قمة مضيق البوسفور إضافة إلى رومانيا وصربيا.

ثالثًا: الإطار النظري الجيوبوليتيكي للبحر الأسود

أخذت منطقة البحر الأسود أهمية في الإطار النظري الجيوبوليتيكي بإعتبارها جزءًا من مما سُميّ ب» قلب الأرض»، وهي المنطقة التي تتوسط العالم وتشمل أجزاء من قارتي أوروبا وآسيا.

أكد هالفورد ماكيندر في نظريته» قلب الأرض» أنّ من يسيطر على قلب الأرض يسيطر على العالم، لذلك شهدت هذه المنطقة تدافعًا من القوى الكبرى لحجز مكان لها في هذه البقعة الجغرافية، وبدأت الممرات البحرية تأخذ حيزًا مهمًا في اهتمامات تلك الدول لتأمين خطوط التجارة الدولية وضمان إمدادها بالمواد والسلع الرئيسية لنهضة اقتصادياتها.

وإن كان ماكيندر في نظريته عام 1904 لم يضم منطقة البحر الأسود إلى قلب الأرض، لكنّه في تعديله للنظرية عام 1919 جعل كلًا من البحر الأسود وبحر

البلطيق ضمنها، ذلك أنّ كلا المنطقتين أصبحت لهما أهمية بعد الحرب العالمية الأولى، وزادت رغبة القوى الكبرى بتوسيع نفوذها فيهما.

تنطبق نظرية فريدريك راتزل « المجال الحيوي» على منطقة البحر الأسود، إذ تبدو المنطقة كمجال حيوي مهم بالنسبة لروسيا الإتحادية والتي تسعى للسيطرة عليها وضمان هيمنتها ونفوذها . وأشار نيكولاس سبايكمان في نظريته « الريملاند» «إطار الأرض» إلى أنّ البحار الهامشية التي تفصل المجال الأرضي عن المحيطات، سوف تأخذ إهتمامًا كبيرًا من الدول في تدافعها للسيطرة عليها، ويدخل في هذا الإطار منطقة البحر الأسود حيث يتجلى الصراع بين قوى البر(روسيا) وقوى البحر (الولايات المتحدة وأوروبا) بهدف توسيع سيطرتها على البحار.

خريطة منطقة البحر الأسود ضمن قلب الأرض حسب نظرية ماكيندر 1919.

المصدر: lotus aris, heartland and rimland theory, (25/01/2022), in: https://bit.ly/3TgeJqq

أمّا الفريد ماهان فقد جعل من نظريته «القوة البحرية» مدخلًا لتفسير التحرك الجيوبوليتيكي الأميركي تجاه البحار، الذي بدأ مع التنافس الفرنسي والبريطاني على البحار والممرات البحرية المهمة في حركة التجارة الدولية. ومن المعلوم أنّ أهمية هذه النظرية بدأت تظهر مع الإنفتاح التجاري والعولمة، وبدأ التنافس الدولي على الممرات البحرية لما لها من تأثير في إقتصاديات الدول الحديثة. وسعت الدول البرية التي تفتقد إلى منافذ على البحار والمحيطات إلى التوسع بحرًا بمختلف الطرق المتاحة. وبهذا يكون البحر الأسود نموذجًا واضحًا للتحول الجيوبوليتيكي الذي طرأ على إستراتيجيات القوى الكبرى.

وفي فكر ألكسندر دوغين، المفكر الروسي، فقد شرح حيثيات الصراع بين قوى البر التي تسعى للتوسع ضمن نطاقها الجغرافي الذي يحيط بها، وقوى البحر وهي الأمبراطوريات البحرية التي يعتمد نفوذها على الهيمنة في البحار. وتشكل في هذا الإطار أوكرانيا ومنطقة البحر الأسود منطقة عازلة بين الحضارتين البرية والبحرية. حتى أنّ دوغين كان قد إقترح فكرة « فيدرالية

البحر الأسود والبلطيق» على إعتبار أنّ هذه المنطقة ستميل جيواستراتيجيًا إلى الحضارات البحرية.[1]

المحور الثاني :الصراع الجيوسياسي والتنافس الدولي والإقليمي في منطقة البحر الأسود

يشكل البحر الأسود خط صدع استراتيجي عند نقطة التقاء أوروبا وآسيا الوسطى وشرق البحر الأبيض المتوسط وروسيا وشبه جزيرة القرم ومضيق البوسفور والدردنيل وكذلك مصب نهر الدانوب، مما جعلها منطقة عبور جاذبة في مجال التجارة والنقل، وغنية بالموارد. لذلك حصل الإشتباك بين القوى الكبرى من أجل السيطرة عليها مرارًا وتكرارًا.

يتميز البحر الأسود واقعيًا بأربعة قرون من التنافس التركي–الروسي، واليوم تحده ست دول مشاطئة، بالإضافة إلى روسيا، دولتان هما عضو في الإتحاد الأوروبي (رومانيا وبلغاريا)، وثلاثة مرشحين للانضمام (أوكرانيا وجورجيا وتركيا). وتعتبر منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) موجودة بثقلها في المنطقة من خلال ثلاث دول أعضاء فيها (تركيا ورومانيا وبلغاريا). مع تواجد دائم لقيادة الفرقة المتعددة الجنسيات الجنوبية–الشرقية والتي يوجد مقرها في بوخارست على مرمى حجر من القواعد البحرية الروسية في سيفاستوبول ونوفوروسيسك.

في هذا الفضاء الرحب للتنافس والذي تهيمن عليه علاقات القوة المتطورة بإستمرار، هناك قضايا أمنية متفاعلة وعلى المحك، سواء سياسية أو عسكرية أو طاقوية كما في مجال الأمن الغذائي.

الحروب المتتالية في المنطقة، أبخازيا (1991–1993) وأوسيتيا الجنوبية (2008)، ثم ضم شبه جزيرة القرم من قبل روسيا (2014)، والحرب الأوكرانية (2022) والتي مازالت مجهولة النتائج والأبعاد،أعطت فرصة لروسيا بتعزيز قبضتها العسكرية على مفترق الطرق الإستراتيجي هذا، كما سمحت لتركيا بخلق فرص اقتصادية جديدة، في الوقت الذي إنقطعت فيه أوكرانيا وجورجيا عن معظم سواحلها وطرق إتصالاتها، وأُصيب الإتحاد الأوروبي في صميم استقلاليته الإستراتيجية وبنيته الأمنية التي سو تحتاج مع الوقت إلى إعادة النظر والتأسيس.

1– ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة عماد حاتم، ط1، دار الكتاب الجديدة، طرابلس، 2004، ص 433.

أولًا: تطور الوضع الأمني في منطقة البحر الأسود خلال الأعوام (1990-2000)

خلال الأعوام 1990 و2000، أصبح البحر الأسود ساحة التنافس الأكثر حدة بسبب إمكاناته الإستراتيجية. لقد أوجد عقدين من الزمن يسودهما حالة عدم اليقين، بعد أنّ هزّ التوازن الإقليمي بشكل عميق.

في الثامن من كانون الأول 1991 وقعت روسيا وبيلاروسيا وأوكرايا إتفاقية مينسك، التي تمخض عنها كومنولث الدول المستقلة (رابطة الدول المستقلة)، إنضمت إليه لاحقًا ثماني جمهوريات سوفيتية سابقة: أرمينيا، أذربيجان، كازاخستان، قيرغستان، أوزباكستان، طاجكستان، تركمانستان ومولدوفا.

في بداية عقد 1990، وبعد تفكك الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة بشكل رسمي، سعت روسيا المستقلة حديثًا إلى بناء نفسها كدولة، وبالتالي بدأت خطوة التحول الجريء في أنظمتها الاقتصادية والسياسية، والتي كان من المفترض أن ينتج عنها إقتصاد سوق قوي يتبعه حالة من الديمقراطية السياسية. في هذا الوقت كانت الباب مفتوحًا أمام المجموعة الاقتصادية الأوروبية والتي كانت مهتمة جدًا بالبحر الأسود في ذلك الوقت.

في واقع الأمر، منذ نهاية العام 1980، بدأت المجموعة الاقتصادية الأوروبية ترى في البحر الأسود مركزًا للموارد الطاقوية التي تحتاجها لتنويع إمداداتها منها. لذلك أصبح إيجاد طريقة لوضع بيادقها في هذه المنطقة سؤالًا متكررًا داخل هذا المجتمع الاقتصادي، حتى أنّه أصبح موضوعًا مركزيًا بمجرد توقيع المعاهدة التأسيسية للاتحاد الأووروبي في عام 1992، لأنّ السيطرة على البحر الأسود ستكون فرصة مثالية للاتحاد الأوروبي ليعثر على نفسه داخل بلدان أوروبا الشرقية وبالتالي سيكون قادرًا على التوسع بسرعة أكبر.[1]

لكنّ طموحات الاتحاد الأوروبي سرعان ما تلاشت بسبب الصراعات العديدة التي جرت في المنطقة ما بعد تفكك الإتحاد السوفياتي، على سبيل المثال حرب ناغورنو كاراباخ (1988-1994)، حرب دنيستر، أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية، الحرب الأهلية في

1- Mer Noir et enjeux strategiques, Revue Histoire,2023,sur la site : **https://revue-histoire.fr/actualite-histoire/mer-noire-et-enjeux-strategiques/ vue a 5\12\2024.**

جورجيا(1993-1991)...

في خضم هذه الحروب أصبح البحر الأسود مكانًا يصعب الوصول إليه من قبل الإتحاد الأوروبي، وبالتالي أفسح المجال أمام توسع تأثير روسيا في أوروبا الشرقية والبحر الأسود على حد سواء.

في بداية عقد التسعينيات بعدما أصبحت روسيا الإتحادية دولة مستقلة عن باقي أجزاء الإتحاد السوفياتي، كانت تسيطر على 400 كلم فقط من السواحل في البحر الأسود، بالإضافة إلى أربعة من 26 ميناء سوفياتي، أي مع استقلال أوكرانيا وجورجيا وجدت جبهة البحر الوسية نفسها محصورة، مما قلل كثيرًا من حصتها في كعكة البحر الأسود.[1]

وبطبيعة الحال فإنّ اللجوء إلى استعمال القوة ودعم الحركات الإنفصالية والمجيء بأنظمة حكم موالية لروسيا كان هدفًا إستراتيجيًا لدى روسيا للوصول إلى البحر الأسود. فبعد الحرب في أوسيتيا وأبخازيا وإستقلال هاتين المنطقتين عام 2008، استطاعت روسيا أن تضمن سيطرتها غير المباشرة على 215 كلم من ساحل البحر الأسود من جهة أبخازيا. ثمّ في عام 2014، بعد ضم شبه جزيرة القرم، أضافت روسيا إلى نفوذها مساحات جديدة من سواحل البحر الأسود، إذ يبلغ طول الساحل في هذه المنطقة 326 كلم. كما سيطرت على موانىء بلاكلافا، أبوتوريا، وسباستوبول، حيث تستخدم روسيا قواعدها العسكرية لحماية حديقتها الخلفية في منطقة البحر الأسود.

وبالرغم من كل ذلك ظلت تركيا المسيطر الرئيسي والفعلي على البحر الأسود بموجب إتفاقية مونترو 1936.

ثانيًا: إستراتيجية روسيا تجاه منطقة البحر الأسود

يندمج بحر قزوين والبحر الأسود وصولًا إلى البحر الأبيض المتوسّط في مساحة جيوسياسيّة واحدة، حيث تتوالى المنافسات الإقليميّة كما الدوليّة في هذه المساحة البحريّة ذات الأهميّة الإستراتيجيّة لا سيّما في ما يتعلّق بطرق التجارة الدوليّة وإحكام الطوق الأمنيّ لحماية سلاسل التوريد ووصول البضائع إلى أماكن متعدّدة في العالم.

بعد اطمئنانها إلى الوضعيّة المستقرّة التي وصلت إليها منطقة بحر قزوين نتيجة توقيع اتّفاقية الوضع القانوني لبحر قزوين 2018، شرعت روسيا في تصدّيها للهيمنة البحريّة الأمريكيّة في

1- Ibd .

البحار الاستراتيجيّة ورسم خريطة جديدة لحلمها القديم « الوصول إلى المياه الدافئة».

الرؤية الإستراتيجية الروسية للهيمنة على البحر الأسود

من قوة مهيمنة في القرن التاسع عشر، وقوّة مرهقة في الحرب الباردة، وقوّة منهكة بعد العام 1991، عادت روسيا إلى البحر الأسود وشرق البحر الأبيض المتوسّط مع تراجع الوجود الأوروبّي والأميركيّ في المنطقة. في دراسة لمركز» الدراسات الإستراتيجيّة والدولية» بعنوان» نحو إستراتيجيّة أمريكيّة جديدة لمنطقة البحر الأسود» تمحورت حول « الأهمّية الجيواستراتيجيّة لمنطقة البحر الأسود»، شرحت الدراسة أهمّية البحر الأسود كنقطة عبور بين أوروبّا وآسيا، فضلًا عن كونه مفترق طريق يربط بين مناطق القوقاز وشرق البحر المتوسّط وغرب البلقان والشرق الأوسط، وهو ما جعله في صميم المنافسة الاستراتيجيّة بين روسيا والغرب. كما أشارت الدراسة إلى نموّ القوّة العسكريّة الروسيّة في البحر الأسود حتّى قبل الحرب الأوكرانيّة العام 2022، الأمر الذي جعله مركز تهديد للأمن الإقليميّ بما في ذلك أمن حلف الناتو وحلفائه وشركائه. عرضت الدراسة مواقف الدول المطلّة على البحر من تمدّد القوّة العسكريّة الروسيّة، وهي «أوكرانيا وجورجيا وبلغاريا ورومانيا وتركيا». ثمّ ختمت بما يجب أن تكون عليه الاستراتيجيّة الأمريكيّة الجديدة تجاه البحر الأسود في المستقبل[1].

ومن منظور تحليليّ رأت الدراسة أنّ العوامل الجيو استراتيجيّة لمنطقة البحر الأسود لم تتغيّر بالنسبة لروسيا منذ العام 1853، إذ استبدل الناتو والولايات المتّحدة الأمريكيّة بالدول الأوروبيين الفرديين كمنافسين جيوسياسيين رئيسيين لموسكو: القرم هي المصدر العسكريّ، تركيا هي المحور، والمضائق التركيّة هي الانتاجيّة والاستراتيجيّة والهدف النهائيّ للوصول إلى شرق البحر المتوسّط والوجود العسكريّ فيه كقوّة موازنة لتوسّع الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحلف شمال الأطلسيّ شرقًا ووجودها في بحر إيجه ووسط البحر الأبيض المتوسّط[2].

1- ليزا آي أرنسون، جيفري مانكوف، نحو إستراتيجية أمريكية جديدة لمنطقة البحر الأسود، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية (CSIS)، 2023، على الموقع الإلكتروني: **https://natourcenters.com/ تاريخ التصفح: 9\6\2024.**

2- عباس محمد الزين، روسيا بين بحرين وقرنين، 25\2\2023، على موقع قناة الميادين: **https:// www.almayadeen.net/research-papers/ ، تاريخ التصفح: 5\5\2024.**

بعد الانقلاب في أوكرانيا العام 2014 لصالح سلطة حليفة للغرب، خاطرت موسكو بعمليّة عسكريّة سريعة هدفت من خلالها إلى استرجاع شبه جزيرة القرم وضمّها. حينها كانت روسيا تقاتل من أجل العودة إلى سيفاستبول على البحر الأسود، وبشكل أدقّ عدم خسارته لصالح حلف الناتو الداعم للانقلاب، وقبل ذلك في جورجيا العام 2008، حيث تحافظ روسيا على وجود عسكريّ كبير في منطقة أبخازيا الممتدّة مئات الأميال على الساحل الشرقيّ للبحر الأسود.

يمكن القول إنّ خطوات روسيا الأولى في اتّجاه التعدّدية القطبيّة والنظام العالميّ الجديد قد باءت بالفشل من هناك، بمنع الناتو من الهيمنة على سيفاستبول وضمّ جورجيا، وتواصلت جهودها من خلال ترميم القوّة العسكريّة في البحر الأسود مع تعزيز الحضور في البحر الأبيض المتوسّط كنتيجة للتدخل العسكري في سوريا. هذه السيطرة على شبه جزيرة القرم سمحت لروسيا باستخدام البحر الأسود كمنصّة إطلاق في دعم العمليّات العسكريّة في شرق البحر المتوسّط، إذ شكّلت الصواريخ الموجّهة من البحريّة الروسيّة دورًا حيويًا في توفير الدفاع الجوّيّ للقوات الروسيّة العاملة في سوريا خلال الأيام الأولى للتدخّل الروسيّ في تلك المنطقة.

وعلى الرغم من أنّ الجغرافية السياسيّة للمنطقة، والطبيعة الأكثر محدوديّة للقوات الروسيّة هناك تعني أنّ موسكو ليس لديها السيطرة الدفاعيّة نفسها كما هي الحال في البحر الأسود فإنّ قواتها في البحر الأبيض المتوسّط، قويّة بما يكفي لتشكيل تحدٍّ حقيقيّ للهيمنة البحريّة للولايات المتّحدة والحلف الناتو[1].

في قراءة لمسار العمليّة العسكريّة الروسيّة في أوكرانيا، يمكن ملاحظة مدى تركيز روسيا على المناطق الجنوبيّة للجبهة وإسراعها خلال الأيام الأولى إلى السيطرة على بحر آزوف وتحويله إلى « بحر روسيّ»، ما يوضح رغبة روسيا في توسيع دائرة السيطرة على البحر الأسود ضمن أكبر اتّساع لها، وصولًا إلى أوديسا، وهي آخر نقطة أوكرانيّة على البحر الأسود جنوبًا.

وفي الوقت الذي تسمح به قناة الفولغا – دون لروسيا بنقل السفن عبر بحر قزوين على بحر آزوف، ثمّ جنوبًا إلى البحر الأسود عبر مضيق « كيرتش» فإنّ

1- المرجع نفسه.

إمكانيّة سعي روسيا لضمّ ترانسنيستريا المدعومة منها في مولدوفا، والتي يحدّها جنوبًا البحر الأسود وأبخازيا من الجهة المقابلة، ستحوّل هذا البحر إلى «بحيرة روسيّة». حينها يمكن لروسيا فرض تعديلات على المعاهدات التي تحدّ من تحرّكاتها، باعتبار أنّ أيّ تعديل في الإستراتيجيّات الخاصّة بالبحر الأسود ستؤدّي حكمًا إلى تعديلات مشابهة في البحر الأبيض المتوسّط، من خلال تطوير أو حتّى تغيير المعاهدات التي ترتبط بالعبور عبر مضيقي البوسفور والدردنيل. وبذلك يكتمل خطّ روسيا الإستراتيجيّ من بحر قزوين إلى البحر الأسود ثمّ البحر الأبيض المتوسّط. هذا المسار سيؤمّن لروسيا تحرّكًا حرًّا في مختلف الصعد الأمنيّة والتجاريّة من قزوين على نزوف، ثمّ البحر الأسود فالبحر الأبيض المتوسّط. هذه المعادلة الجديدة تعتمد بشكل أساس على نتائج الحرب الأوكرانيّة الحاليّة والتي حتى الآن لم تحسم، وعلى الأهداف المعلنة منها والتي تتمحور بشكل أساسيّ حول النظام العالميّ الجديد. لا شك انّ التقدم العسكري الروسي في أوكرانيا(في دونباس) وغياب استراتيجيّة غربيّة واضحة تجاه البحرين، عاملين مساعدين ربّما في تحقيق ما تصبو إليه روسيا الاتّحاديّة في حلمها القديم الجديد « الوصول إلى المياه الدافئة».

ثانيًا: مقاربة جيوسياسيّة روسيّة للمنطقة بين قزوين والبحر الأسود.

بالإضافة إلى الأهمّية الاستراتيجيّة التي ينعم بها بحر قزوين في صيانة الأمن القوميّ الروسيّ وتأكيد حضور روسيا في مناطق نفوذها التاريخيّة، فبحر قزوين يقدّم لروسيا منفذًا بديلًا عبر إيران للوصول إلى المحيط الهنديّ. وتؤكّد التطوّرات الحاصلة اهتمام روسيا الجدّي بتعزيز التجارة البحرّية وعلاقات الشحن مع إيران في بحر قزوين، ومن ناحية أخرى تهتم الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران أيضًا استخدام طاقة بحر قزوين من أجل تطوير علاقات العبور والتجارة مع روسيا والاتّحاد الاقتصاديّ الأوراسيّ، ومع ذلك هناك تحدّيات وصعوبات تواجه البلدين في هذا المجال.

إذ يبقى الشحن البحريّ وقدرة الموانئ على بحر قزوين محدودين، وتفتقر موانئ إيران إلى اتّصالات نقل فعّالة تربطها بشبكة السكك الحديديّة الوطنيّة. ولكن مسار التجارة بين البلدين يتطوّر وبشكل لافت، وإذا استمرّ تطوّر المسار

بهذه الوتيرة فسيصبح الطريق الرئيس بين روسيا ومحيطات العالم، بدلًا من المسارات البريّة في القوقاز وآسيا الوسطى، بما يسمح لروسيا بتجاوز عدد من العقوبات وتعزيز تحالفها مع إيران.

وفي ضوء القيود المفروضة على الميزانيّة الروسيّة الناشئة عن الحرب ضد أوكرانيا، قرّرت السلطات الروسيّة تقليص عدد من مشاريع الربط التجاريّ مع عدد من الدول. هذه الحرب التي فرضت على روسيا إجراء مراجعة جيوسياسيّة في المقلب الآخر، على البحر الأسود، المنفذ البحريّ الذي تسعى من خلاله إلى ترسيخ هيمنتها وإبراز نفوذها خارج جوارها إلى غرب البلقان وجنوب القوقاز وشرق البحر الأبيض المتوسّط والشرق الأوسط، ما يسمح لها أيضًا بتحدّي الأمن الأوروبّي من مواقع متعدّدة.

ويشير المراقبون إلى أنّ المنافسة الجيوسياسيّة في البحر الأسود تعيد تعريف النظام الإقليميّ، وتغيّر هوّيته الجيوسياسيّة وتشكّل العلاقات بين الدول في المنطقة الأوسع.

يعدّ البحر الأسود ضرورة لتصوّر روسيا لذاتها كقوّة عظمى، وتسعى من خلال سياستها الإقليميّة على خلق نقاط الضعف والاستفادة منها، من خلال تحدّي السلامة الإقليميّة للدول الساحلية واستخدام الطاقة والتجارة كسلاح، وتعطيل الاتّصال وزيادة وجودها العسكريّ.

ونتيجة لذلك، تسيطر روسيا على ثلثي الساحل الجورجيّ في أعقاب حرب 2008 واحتلال أبخازيا. كما ضمّت جزيرة القرم وأربع مناطق أوكرانيّة وتحاول فرض سيطرتها على الساحل الأوكرانيّ بأكمله. كما دعمت النظام الموالي لها في ترانسنيستريا في مولدوفا للضغط على حكومة مولدوفا.

هذه المحاولات الروسيّة شجّعت دول المنطقة على الاندماج السريع في النظام السياسيّ والأمنيّ الغربيّ، كردّ على تصرّفاتها، سعت دول المنطقة إلى الانضمام إلى الاتّحاد الأوروبّي وحلف شمال الأطلسيّ، وثلاث من الدول الخمس الساحليّة هي أعضاء في حلف الناتو (تركيا – بلغاريا ورومانيا)، واثنتان (جورجيا وأوكرانيا) من الطامحين لذلك. وبالمثل فإنّ بلغاريا ورومانيا هما عضوان في الاتحاد الأوروبّي بينما الدول الثلاث الأخرى فهي مرشّحة للانضمام في أيّ وقت.

كما سعت بلغاريا ورومانيا إلى تعزيز الوجود الأميركيّ وحلف شمال الأطلسي على أراضيها. في الوقت الذي تسعى فيه تركيا إلى تعزيز علاقاتها مع حليفتيها في حلف شمال الأطلسيّ، بهدف جعل المنطقة أكثر أمنًا للشحن والسماح لأوكرانيا بتصدير حبوبها مباشرة إلى السوق الدولية، وتجنب الحصار الروسيّ. تلتقي تركيا وأوكرانيا في البعد السياسيّ للبحر الأسود إذ ترفض كلتاهما الهيمنة الروسيّة عليه.

في مواجهتها للغرب تحتاج روسيا إلى استعادة تفوّقها في البحر الأسود من خلال تحقيق النصر العسكريّ في أوكرانيا. ويتلخّص هدفها المباشر في عزل أوكرانيا عن ساحل البحر الأسود، وتأمين الاتّصال البرّي مع شبه جزيرة القرم، وفرض السيطرة على أوديسّا. وهذا من شأنه أن يمكّن روسيا من السيطرة على التجارة البحريّة وطرق الطاقة.

في المقابل تشعر روسيا أنّها محاصرة في بحر البلطيق بعد انضمام فنلندا والسويد إلى حلف شمال الأطلسي، ومن المرجح أن تضاعف قوّاتها في البحر الأسود لتعويض خسائرها في بحر البلطيق.

يشكّل البحر الأسود أهمّية أمنية لحلف شمال الأطلسي، إذ أجرى الحلف مناورات عسكريّة عدّة في مياهه منذ العام 1997 وحتى الحرب الروسيّة – الأوكرانيّة. ورغم هذه الأهمّية فإنّ الحلف لا يمتلك سوى ثلاثة أساطيل بحريّة دائمة في البحر الأسود: في بلغاريا ورومانيا وتركيا[1].

وإذا كانت اتّفاقية الوضع القانونيّ لبحر قزوين العام 2018، قد ضمنت الاستقرار الأمنيّ والعسكريّ في بحر قزوين، وأعطت الفرصة لروسيا وإيران بتعزيز تفوّقهما العسكريّ في المنطقة، فإنّ اتّفاقية مونترو المبرمة العام 1936 تنصّ على احتفاظ تركيا بسيادة كاملة على مضيقي البوسفور والدردنيل، وهما المنفذان البحريّان الوحيدان لشحنات النفط والحبوب من دول البحر الأسود إلى البحر الأبيض المتوسّط.

وعقب اندلاع الحرب الروسيّة – الأوكرانيّة، أعلنت تركيا إغلاق الممرّات المطلّة على البحر الأسود أمام جميع السفن الحربيّة الروسيّة وغيرها بهدف الحفاظ على توازن القوّة البحريّة، بما

1 – توماس لا تشان، البحر الأسود... أهمية إستراتيجية ودور حيوي في حرب أوكرانيا، 15\8\2023، على الموقع الإلكتروني: https://www.dw.com/ar/، **تاريخ التصفح: 4\5\2024**.

فيها سفن حلف الناتو وهو ما يصبّ في مصلحة روسيا.

وبحكم سيطرتها على الوصول إلى البحر الأسود بموجب اتّفاقية دوليّة، تحتلّ تركيا موقعًا جيوستراتيجيًّا رئيسًا، إذ أصبحت أهمّ شريك لحلف شمال الأطلسي في المنطقة فضلًا عن كونها مركزًا تجاريًّا لدول آسيا الوسطى والقوقاز والشرق الأوسط.

وفي إطار مواجهة الهيمنة الأمريكيّة في مناطق نفوذها، تسعى روسيا إلى تقوية علاقاتها مع حلفائها الرئيسيين الصين وإيران وذلك عبر القنوات البحرية لتعزيز نفوذها العسكريّ والاقتصاديّ في آن معًا.

وقد بدأ ذلك يظهر جليًا في العام 2023 عندما انضمّت طهران إلى جهود الصين لمساعدة روسيا في تجريف قناة الفولغا–قزوين البحرية، فضلًا عن قيام شركة إيرانيّة تابعة للصناعات البحريّة بإصلاح سفينة روسيا تحطّمت في الجليد على نهر الفولغا (الأمر الذي يعدّه الغرب أهمّ من تزويد إيران روسيا بالسلاح)، في تطوّر نوعي للعلاقات بين هذه البلدان التي يجمعها العداء المشترك للولايّات المتّحدة الأمريكيّة، إضافة إلى روابط التاريخ والجغرافيا والاقتصاد.

يُعدّ إمتداد التعاون بين إيران والصين وروسيا إلى منطقة الفولغا إنجازًا غير مسبوق على المستوى الجيوسياسيّ، خصوصًا أنّه لم يسبق للكرملين أن سمح سابقًا بمرور سفن أجنبيّة بما فيها الإيرانيّة والصينيّة عبر نهر الفولغا واستخدام القناة. هذا النهر الذي لطالما عدّ ممرًا مائيًا داخليًا يخضع لاعتبارات الأمن القوميّ الروسيّ.

تكمن أهمّية تجريف القناة في كونها ستمكّن سفن الشحن الروسية والصينية والإيرانية وحتى الهندية وغيرها، من نقل المزيد من الشحنات الثقيلة من وإلى بحر قزوين إلى أوروبا. إضافة إلى أنّها تساعد روسيا على عبور سفن بحريّة أكبر من اسطول بحر قزوين الروسي إلى بحر آزوف. ممّا سيمهّد الطريق أمامها في استعمالها في معاركها المستقبليّة ضدّ أوكرانيا.

إنّ مشاركة هذه الدول في هذه العمليّة مفيدة من الناحية الاقتصاديّة والجغرافيّة والجيوسياسيّة بالنسبة إلى إيران والصين، ستدمج إيران في الحلف الصينيّ الروسيّ القديم الجديد، كما ستعزّز محور طهران–موسكو، لا سيّما على

الصعيدين العسكريّ والاقتصاديّ. هذا الحلف الثلاثيّ وإن لم يأخذ شكل التأطير الرسميّ، سيؤدي دورًا مهمًا في التصدّي للنفوذ التركيّ والغربيّ في المنطقة، إضافة إلى أنّه سيشكّل عامل ردع سيحدّ من تهديدات أوكرانيا العسكريّة في المستقبل، نظرًا للموقع الجيوستراتيجيّ للقناة. هذه القناة توفّر أقصر اتّصال صالح للملاحة بين بحر قزوين والبحر الأبيض المتوسّط عبر بحر آزوف والبحر الأسود. [1]

وفي تقييم إضافيّ لأهمّية القناة يصف معلقون روس هذا التطور بأنّه مسار محتمل لإعادة ترتيب التجارة الدوليّة، ويشيرون إلى السبل التي يمكن للتجارة بين روسيا وإيران عبر قزوين من التغلّب على المصاعب الناجمة من عدم الاستقرار في جنوب القوقاز وتخطّي القيود المفروضة على سكك الحديد في آسيا الوسطى.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أن الطرق النهرية – حتّى في القرن الحادي والعشرين – يمكنها أن تغيّر الجغرافيا السياسيّة للمنطقة، كما السكك الحديديّة والطرق السريعة، وأن تكون بديلًا فعّالًا لروسيا وإيران لمواجهة الحصار الغربيّ وتوسيع حركة التجارة مع العالم الخارجيّ.

ثالثًا: إستراتيجية حلف الناتو في الدفاع والتطويق في منطقة البحر الأسود

منذ ضم شبه جزيرة القرم من قبل روسيا عام 2014، بدأ حلف الناتو بتعزيز إستراتيجيته وقدراته تجاه البحر الأسود، والتي كانت لأسباب عديدة وأغلبها خطأ في الخطط الإستراتيجية تدور في فلك وفضاء منطقة بحر البلطيق، الجناح الغربي للولايات المتحدة الأمريكية.

ومع اندلاع الحرب الأوكرانية(2022) في بداياتها، بدت وكأنّها حرب برية وليست صراعًا بحريًا، ولكنّ التطورات المتسارعة أكدت بما لا يترك مجالًا للشك أنّ « البحر الأسود» عنصرًا رئيسيًا في المواجهة الأطلسية_الروسية، ليعيد التأكيد على فكرة أنّ الصراع بين قوى البر وقوى البحر قد يشتعل في بقعة جديدة من بقاع الأرض.

يحتل البحر الأسود أهمية واضحة بالنسبة للحلف الأطلسي، بدأت تتجلى بعد الحرب الروسية_الأوكرانية عام 2022، ففي عام 2023 قدم الحزبان الرئيسيان

1- علي دريج، تعاون غير مسبوق...روسيا تسمح للصين وإيران بالمشاركة في تجريف قناة الفولغا، 2023، قناة الميادين، على الموقع الإلكتروني: https//:www.almayadeen.net/news/politics. **تاريخ التصفح: 2024\7\11**

في الولايات المتحدة الأمريكية مشروع قانون يدعو إدارة الرئيس جو بايدن إلى تطوير إستراتيجية للبحر الأسود، وضرورة زيادة الوجود العسكري للحلفاء والولايات المتحدة مع مشاركة أعمق في إقتصاد الأخيرة. كما يشدد على إهتمام الولايات المتحدة بوجود حلفاء وشركاء في المنطقة (أوكرانيا،جورجيا،أرمينيا، أذربيجان،مولدوفا، رومانيا، بلغاريا، تركيا). ويصر التقرير على الطبيعة الحيوية للبحر الأسود من أجل المصالح الأمنية للولايات المتحدة. وبالمثل فقد تمّ تقديم مقترحات مماثلة لدى البرلمانات الوطنية للدول الأعضاء في الناتو.[1]

بالرغم من تلك الأهمية إنسحب الغرب الأطلسي من البحر الأسود، إذ لم تدخل أي سفينة حربية من دولة غير مطلة على البحر منذ كانون الأول 2021، ولم تجر أي مناورات بحرية بمشاركة الغرب في هذا البحر بدءً من تموز من العام نفسه.

تعود أسباب إخلاء الناتو للبحر الأسود لمصلحة روسيا لعدة عوامل منها:[2]

البيئة الخطرة التي خلقتها الأعمال العسكرية الروسية في البحر الأسود في الفترة التي سبقت الحرب وأثناءها.

-سياسة الولايات المتحدة وحلفائها المتمثلة بتجنب الإتصال الحركي مع القوات الروسية بأي ثمن تقريبًا.

– قرار تركيا عقب الحرب بمنع دخول السفن الحربية من الدول غير المطلة عبر مضيق البوسفور إلى البحر الأسود.

وتشير وثائق قمة الناتو الأخيرة في فيلنيوس، والبيان الصادر عن اجتماع مجلس الناتو وأوكرانيا عام 2023، إلى أنّ القوى الغربية المتحالفة قد إتفقت على الأهمية الإستراتيجية للبحر الأسود في بياناتهم الرسمية التي دعت إلى دعم الجهود المنسقة الرامية إلى الحفاظ على الأمن والسلامة والإستقرار وحرية الملاحة في البحر حسب ما نصت عليه إتفاقية مونترو 1936، وإدراكًا منها لمدى تفاقم الحرب التي تقودها روسيا في أوكرانيا وتحسبًا لكل التقلبات، فإنّ

1- Lord Mark LANCASTER, RUSSE NAVIGUER EN EAUX TROUBLES, LES INCIDENCES DE LA GUERRE RUSSE EN UKRAINE SUR LA SÉCURITÉ EN MER NOIRE, rapport de l,Assemblee paelementaire de l,OTAN,020 DSCFC 23 F rév.1 fin – Original : anglais – 7 octobre 2023. Vu a 3\12\2024

2- علي دريج، المواجهة الروسية-الأطلسية تنتقل إلى البحر الأسود... المنطقة على فوهة بركان، على موقع قناة الميادين:almayadin.net ، 2023،تاريخ التصفح: 17\12\2024

هذه الدول تعرب عن نيتها في مواصلة مراقبة وتحليل التطورات في المنطقة وتحسين بالأوضاع، مع إيلاء إهتمام خاص للتهديدات التي تهدد أمنها والفرص المحتملة للتعاون الوثيق مع شركائها في المنطقة.

وبالرغم من أهمية البحر الأسود بالنسبة لحلف الناتو إلّا انّه إنسحب من البحر مع بداية الحرب الروسية–الأوكرانية ولم تشارك قواته بأية مناورة بحرية ولم تدخل البحر قوات دولة غير مشاطئة وهذا ينظر إليه كحالة إستثنائية نادرة في أيامنا الحالية. إقتصرت مشاركة الأطلسي في البحر الأسود على المراقبة والإستطلاع ودوريات الشرطة الجوية وتطوير الدفاعات على الشاطئ.

في المقابل تتحدى هذه التطورات في البحر الأسود الإتحاد الأوروبي، الحليف والشريك لحلف الناتو، لتأكيد نفسه كقوة مستقلة وإستراتيجية في فضاء منظم من الخصومات للقوى المتنافسة. ومع ذلك، لا يملك الإتحاد إستراتيجية واضحة في هذه المنطقة. في بوصلته الإستراتيجية يدرك الإتحاد انّ الهجوم الروسي على أوكرانيا يشكل تهديدًا لأمن وإستقرار المنطقة بأكملها. وسياسته تجاه المنطقة مازالت تعكس روح العصر في عام 2000، فهذا الإتحاد مازال مقتنعًا بأنّ «التجارة الناعمة» كانت قادرة على تهدئة العلاقات الدولية، وأنّ الامن نابع من التكامل الاقتصادي والاتصال والتبادلات عبر الحدود والسلطة التنظيمية لبروكسل.[1]

صحيح أنّ الناتو يتجنب المواجهة المباشرة مع روسيا في البحر الأسود ولكن هذا لا ينفي الخشية من وقوع حوادث غير متوقعة قد تخرج عن نطاق السيطرة تدفع الأطراف في هذه المواجهة إلى التصادم العسكري فتتصاعد الأمور دراماتيكيًا، والواقع مليء بمثل هذه الشواهد.

المحور الثالث: مستقبل التوازنات الإقليمية والدولية في منطقة البحر الأسود

أعاد التدخل الروسي عسكريًا في أوكرانيا عام 2022 استخدام القوة الصلبة في العلاقات الدولية كواحد من أولويات الإستراتيجية الروسية في محيطها، إذ مضت في خططها العسكرية مبررة ذلك

1– Florent Marciacq, Mer Noire: rivalites et enjeux de securite europieenne, politique etrangere, 2024. sur le site www.revues.armand–colin.com

بالتهديد الأمني الذي يأتيها من توسع حلف الناتو شرقًا، ومن رغبة أوكرانيا في الحصول على عضوية الحلف. فهذه البقعة الجغرافية تعد من مناطق الصدام بين الأوراسية والأطلسية، إذ تتصادم فيها مصالح روسيا في الحفاظ على أمنها القومي من جهة، ومصالح الأطلسية المتمثلة في رغبة الإتحاد الأوروبي في التوسع، وإستراتيجية الحلف الأطلسي في ضم المزيد من دول أوروبا الشرقية بهدف تطويق روسيا إستراتيجيًا من جهة أخرى.

لذلك كان لهذه الحرب تأثير مباشر على تدافع القوى لإعادة تموقعها في تراتبية التوازنات في المنطقة للحفاظ على مصالحها الحيوية والإستراتيجية في المستقبل القريب والبعيد.

أولًا: تداعيات الحرب الأوكرانية 2022 على أمن الطاقة

إنّ مصالح الناتو في البحر الأسود تتعدى فكرة الامن والإستقرار إلى ضمان مصالحه الطاقوية هناك، إذ تعد منطقة البحر الأسود مركزًا مهمًا لتوجيه صادرات النفط والغاز الطبيعي إلى أوروبا والبحر الأبيض المتوسط وما وراءهما. كما توفر المنطقة فرصًا عديدة لإتصالات إضافية بين أوروبا وآسيا الوسطى. بحيث تشير التقديرات إلى أنّ 34% من واردات الغاز الطبيعي والنفط الموجهة إلى الإتحاد الأوروبي تمر عبر الدول المطلة على البحر الأسود، وهذا الإتجاه في حالة نمو مستمر.

يحتوي البحر على إحتياطيات من الغاز الطبيعي لم يتم تحديد حجمها بعد، والتي تقوم الدول المشاطئة حاليًا بأعمال التنقيب فيها. ولكن وفقًا للتوقعات التقريبية، يمكن ان يحتوي الجرف القاري الأوكراني على اكثر من 2000 مليار متر مكعب من الغاز، وأكدت تركيا أنّ الإحتياطات المؤكدة في منطقتها الاقتصادية الخالصة يمكن أن يصل على 710 مليار متر مكعب، في حين أنّ رومانيا ستمتلك، وفقًا للتقديرات، ما بين 150 و200 مليار متر مكعب.[1] ومع إفتراضية أنّها قابلة للاستغلال فإنّها ستشكل دعائم قوية لاقتصاد إقليمي قوي. ولكن يمكن لهذه الآفاق أن تتبدد إذا وقعت المنطقة تحت السيطرة الروسية.

تحدد اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار المنطقة الإقتصادية الخالصة على بعد 200 ميلًا بحريًا من الساحل وفي حال

1 – Lord Mark LANCASTER ,Ibd.

فشل منطقة البحر الأسود في التوصل إلى توافق في الآراء أو في حال وجود غلبة روسية في المنطقة، فإنّ من سيبادر إلى التنقيب أولًا هو من سيفوز بالرهان. لأنّ ومع إبتعادهم تدريجيًا عن المورد الروسي، يعتمد أعضاء الناتو وكذلك الإتحاد الأوروبي، على هذه الإحتياطات لتلبية إحتياجاتهم الطاقوية.

لذلك فإنّ الدول الأعضاء في الناتو والإتحاد الأوروبي مصممون وكرد على السيطرة الروسية على معظم سواحل التوريد الأوكرانية، على تنويع إمداداتهم وبنيتهم وطرق مواصلاتهم من أجل وضع حد للإستهلاك الأحفوري الروسي. هذا الأمر يتطلب جهود كبيرة وعملية تنسيق وشراكات لتعزيز الترابط لا سيما داخل مجتمع الطاقة.[1]

ومن ضمن هذه الجهود، وقعت أذربيجان وجورجيا والمجر ورومانيا مذكرة تفاهم بشأن بناء كابل بحري بطول 1195 كم يربط بين بوخارست وأذربيجان، خلال الأزمة الطاقوية عام 2022 في أوروبا ضمنت أذربيجان، بما ما تملكه من مخزون طاقوي ، إمدادات الطاقة في أوروبا من خلال ممر الغاز في جنوب أوروبا، كذلك في جورجيا يتم دراسة مشروع مد كابل بحري كهربائي تحت الماء يربط هذا البلد برومانيا.[2]

كما تتشارك مولدوفا وأوكرانيا في العديد من مشاريع الاتحاد الأوروبي التي تهدف إلى تكثيف شراكة الطاقة بين البلدين، بفضل المساعدات التي قدمتها الدول الحليفة والمؤسسات الإقليمية (البنك الأوروبي للإنشاء والتعمير) مما أتاح لها تنويع إمداداتها من الغاز والتقليل من الإعتماد على الغاز الروسي.

في المقابل لا بد من الإشارة إلى ان أوكرانيا دولة منتجة للغاز الطبيعي وتمتلك قدرات تخزينية مهمة، فهي تأتي بعد النروج في قدراتها الطاقوية على الصعيد الأوروبي، لذلك تعد لاعبًا رئيسيًا في أمن الطاقة الأوروبي. وهو ما يفسر أحد أوجه الصراع الجيوسياسي بين روسيا والأطلسي أي الصراع على أمن الطاقة وموارد الغاز والنفط وطرق

1- مجتمع الطاقة هو منظمة دولية تجمع بين الاتحاد الأوروبي وجيرانه بهدف إنشاء سوق طاقة أوروبية متكاملة. وهي تشمل الاتحاد الأوروبي وألبانيا والبوسنة والهرسك وكوسوفو ومقدونيا الشمالية ومولدوفا والجبل الأسود وصربيا وأوكرانيا وجورجيا.

2- Tsereteli, Mamuka, “Black Sea Cables to Slake Europe’s Thirst for Energy”, Center for Eruopean Policy Analysis, 31 January 2023. **https://cepa.org/article/black-sea-cables-to-slake- europes-thirst-for-energy/**

الإمدادات بإعتبار أوكرانيا تشكل حلقة وصل أساسية عبر سواحلها المطلة على البحر الأسود تربط المنطقة بأوروبا والعالم.

من هنا يتضح أنّ عملية السيطرة على البحر الأسود لها تداعيات على أسواق الطاقة العالمية والإمدادات الغذائية العالمية، الامر الذي يعزز المخاوف بشأن ارتفاع أسعار النفط ، بالنظر إلى الموقع الجيوسياسي ذو الأهمية العالية بالنسبة للإقتصاد العالمي.

ثانيًا: مستقبل التنافس الجيوسياسي الدولي والإقليمي في المنطقة

منذ إتفاقية لوزان عام 1923 التي أُعيد التفاوض عليها عام 1936 من خلال إتفاقية مونترو، تمّ تأسيس سيادة تركية على مضيقين إستراتيجيين، البوسفور والدردنيل، يعتبر هذا الأمر مهمًا في الجغرافيا السياسية العالمية، إذ يستحيل الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط من البحر الأسود والعكس صحيح دون المرور عبر هذه الممرات البحرية. كانت تركيا عضوًا في الحلف الأطلسي منذ العام 1952، وبالتالي كانت حليفًا للغرب خلال الحرب الباردة، وهي الدولة الوحيدة المطلة على البحر الأسود التي لم تكن ضمن الفلك الشيوعي، وقد لعبت دور الحاجز الذي يمنع أي تمدد للقوة السوفيتية. أمّا اليوم فإنّ هذه الدولة تتصرف كما الإلكترون الحر في فلك العلاقات الديبلوماسية مع غيرها من الدول. وكجزء من الصراع الروسي–الأوكراني، قررت تركيا عام 2022 تعليق حرية حركة السفن الحربية في مضيقيها. هذا الأمر أعاق وصول الاسطول الحربي الروسي إلى البحر الأبيض المتوسط، لكنّه شكل خدمة لروسيا بحيث منع وصول الإمداد العسكري الأطلسي إلى أوكرانيا عبر البحر، وهو أمر يستحق التوقف عنده في منطق الإستراتيجية الغربية تجاه روسيا في البحر الأسود.

أولت روسيا منذ فترة طويلة أهمية إستراتيجية كبرى لهذه المنطقة، والتي تعتبرها ضرورية للحفاظ على «مجال نفوذها» ووصولها إلى مناطق أخرى مهمة جغرافيًا مثل شرق البحر المتوسط والشرق الأوسط وأفريقيا، لطالما إعتبرت موسكو موقعها في البحر الأسود ضروريًا للحفاظ على مكانتها كقوة عظمى. فإنّ هذا هو محور إنعكاسها الإستراتيجي، والذي بموجبه يجعل موقع روسيا

المهيمن في أوراسيا لاعبًا عالميًا رائدًا. ومن خلال العمل من أجل مصالحها الطويلة الأجل في البحر الأسود، تحافظ روسيا على هذه المنطقة في طليعة إستراتيجيتها العالمية للمستقبل، بغض النظرعن نتائج حربها على أوكرانيا. ستبقى هذه المنطقة تحظى بإهتمام إضافي لأنّها تمثل أحد مراكز الثقل في سياساتها العامة والعسكرية .

أمّا الدور الإستراتيجي الأهم للقوى الإقليمية في منطقة البحر الأسود فسيكون لتركيا والتي بحكم موقعها الجغرافي كبوابة عبور إلى البحر المتوسط وقربها من آسيا الوسطى وروسيا، لعب دور المتغير والفاعل في فهم مسار العلاقات والمصالح المتبادلة والمتعارضة بين القوى الكبرى لا سيما روسيا والدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية.

تحاول تركيا أن تبقى على مسافة متوازنة من أطراف الصراع في البحر، لأنّها تعلم أن «الملكية الإقليمية» للبحر التي تدعيها قد تمّ خرقها من خلال تحول الصراع بين الأوراسية والأطلسية في منطقة تتحكم هي بسيادتها، وهي لا تستطيع أن تغلق الأبواب في وجه روسيا البلد الذي تتزود منه بإحتياجاتها الهيدروكربونية (تمثل 25% من وارداتها النفطية، و45% من إمداداتها من الغاز الطبيعي)، ما سيشكل خطرًا على الاقتصاد المحلي في ظل تضخم وصل إلى 48% في البلاد عام 2023.[1]

ورغم إدانتها للتدخل العسكري الروسي في أوكرانيا إلّا أنّها لم تدخل في نظام العقوبات الغربية على روسيا وإنخرطت في جهود الوساطة الديبلوماسية، إن من ناحية السعي إلى إيجاد حل سياسي للنزاع أو من جهة جهود الوساطة إلى جانب الأمم المتحدة لتأمين ممرات آمنة لنقل الحبوب وحل أزمة الغذاء العالمية.

أمّا روسيا بدورها لا تستطيع تجاهل أنّ تركيا تقع على مفترق طرق المناطق الأخرى الأكثر غنىً بالموارد الهيدروكربونية (آسيا الوسطى، الشرق الأوسط، شرق البحر الأبيض المتوسط)، مما يعني أنّها تميل إلى إقامة علاقات سوية مع تركيا البلد الذي تشهد مضائقه عبور ملايين براميل النفط يوميًا.

من هنا كان مسعى الدولتين إلى تطوير مشاريع تحقق مصالحهما في مجال الطاقة، مثل خطي أنابيب الغاز الذي يربطهما عبر البحر الأسود: بلوستريم

1- Revue Historique, ibd.

وتركي ستريم،، الأول لتزويد تركيا والثاني لإمداد جنوب أوروبا.

في ظل هذه السياسة التركية الساعية إلى التوازن، تسعى روسيا إلى البحث عن منافذ جديدة نحو البحر المتوسط، إذ وقعت إتفاقية خطوط أنابيب مع بلغاريا واليونان عام 2007، هذه الإتفاقية ستوفر لروسيا عبر اليونان معبرًا بديلًا عن مضيقي الدردنيل والبوسفور في البحر الأسود، حيث سيتم نقل الغاز الروسي وإمدادات بحر قزوين إلى الأسواق الأوروبية عبر البلقان، ومن ميناء بورغاس في بلغاريا إلى ميناء ألكسندروبولي في اليونان.

تأخذ منطقة البحر الأسود حيزًا مهمًا في نظام الأمن الأوروبي ككل، إذ لا يمكن تحليل تفاعلات المنطقة بمعزل عن تفاعلات الدول الأوروبية التي ترتبط معها بجملة من القضايا أهمها: الإندماج المؤسساتي مع الغرب إقتصاديًا وسياسيًا، المشاريع البحرية في البحر الأسود، التنافس على الزعامة الإقليمية في البحر الأسود، أهمية المنطقة كونها تشكل معبرًا جغرافيًا للطاقة من القوقاز وبحر قزوين نحو آسيا الوسطى وأوروبا.

تؤدي المنطقة دورًا مزدوجًا بالنسبة للهوية الأمنية الأوروبية، فهي جسر من وإلى أوروبا، وأي حالة عدم إستقرار فيه ستتأثر الدول الأوروبية بها مباشرة. وكون رومانيا وبلغاريا عضوان في الإتحاد الأوروبي كما في الحلف الأطلسي، فإنّ موقعهما المطل على البحر الأسود يجعل من البلدين حصنًا في حماية الأمن الأوروبي وهو يعطي مبررًا واقعيًا لتواجد قوات الحلف الأطلسي في أراضيهما. وهو ما إعتبرته روسيا تهديدًا لأمنها القومي. ويمكن لهذين البلدين إستغلال حالة الصراع الروسي–الأطلسي للعب أدوار جديدة إقليمية والإستفادة من موقعهما الإستراتيجي في المنطقة.

ولكن من الملاحظ أن لا إستراتيجية واضحة للاتحاد الأوروبي تجاه القضايا الأساسية في البحر الأسود وتجاه دور الإتحاد في الدخول في لعبة التنافس الجيوسياسي في المنطقة، فكثيرًا ما تكون سياسة الحلف الأطلسي هي الطاغية وهي ما تستتر خلفه الدول الأوروبية فيما خصّ الحراك الدولي والإقليمي في المنطقة.

ولأنّ منطقة البحر الأسود تتوسط قارتي آسيا وأوروبا كان لا بد للقوى الصاعدة أن توليها أهمية إستراتيجية. فالصين

تعتبرها فضاءً جديدًا للتنافس الإستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية. ونتيجة لزيادة إحتياجات الصين من الموارد الطاقوية سعت إلى توسيع دائرة نفوذها بالقرب من آسيا الوسطى، نحو البحر الأسود بالإضافة إلى إيجاد أسواق جديدة لتصريف سلعها التجارية.

دخلت كل من بلغاريا ورومانيا في إطار مبادرة الحزام والطريق، كدولتين ضمن الاتحاد الأوروبي وضمن الدول المطلة على البحر الأسود. تبدو فرص التعاون التجاري والإقتصادي مع الصين مهمة لكلا الدولتين، ولكنّ التخوف من عدم التوازن التجاري والدخول في أزمة ديون مع الصين، جعل معظم المشاريع تسير ببطء وهي غير قادرة على تحقيق مكاسب متوازنة بين الصين ودول البحر الأسود.[1]

وتبقى الاستفادة من مبادرة الحزام والطريق بالنسبة للصين في هذه المنطقة، ضمن إطار طرق المواصلات من سكك حديد نحو أوروبا الوسطى والغربية لتفعيل نشاطها التجاري والإقتصادي وبعض مبادرات التعاون الإقتصادي، بينما يبقى سعي دول المنطقة وتوجهها نحو الإتحاد الأوروبي للانضمام إليه بإعتباره الشريك الاقتصادي الأول.

وفي هذا الإطار تعتبر الولايات المتحدة الصين منافسًا إستراتيجيًا لها وتسعى إلى عرقلة مبادرة الحزام والطريق في هذه المنطقة.

أمّا الهند كدولة آسيوية، فتسعى للخروج من آسيا الوسطى إلى أوروبا عبر البحر الأسود، من خلال تعزيز علاقاتها مع دول الساحلية في البحر الأسود (جورجيا، بلغاريا، رومانيا). من خلال الحراك الديبلوماسي والسياسي للهند خارج الهندوباسيفيك. تعول الرؤية الهندية الجديدة على جعل أوروبا مننطقة إستثمارات وسوقًا لتكنولوجيا المعلومات القادمة من الهند، محاولة إيجاد موقع لها كقوى صاعدة في البحار من خلال تعزيز وجودها في البحار والمحيطات كقوة بحرية وفق إستراتيجيتها البحرية الجديدة.

خاتمة:

في القرن الحادي والعشرين، تكونت مراكز القوة الجديدة في العالم في منطقتي آسيا والمحيط الهادىء، لكنّ هذا التمركز

1- Steven Everts the role of china in the broader black sea region foreword, in: alexander martin (ed), china in the broader black sea region, GLOBSEC, Slovakia, 2021, p II.

أعطى زخمًا جديدًا للأهمية الجيوسياسية والجيواقتصادية للمنطقة، كما سلط الضوء على الأهمية الإستراتيجية لمنافذ التجارة البحرية، مما قد يعطي دفعًا لتحركات الدول على مختلف الصعد، سياسيًا، عسكريًا، اقتصاديًا... وقد أدى هذا الإنعكاس إلى بروز تطورات جديدة قد تؤثر في التوازنات الجيوسياسية في الوقت الراهن ومستقبلًا. الامر الذي سيساهم في إعادة تشكيل نمط جديد من العلاقات في إطار التفاعلات الدولية.

أدى الموقع الجغرافي للبحر الأسود دورًا مهمًا في إعادة توزيع القوة العالمية والإقليمية، وقد أثرت الحرب الروسية–الأوكرانية كثيرًا في دفع الدول المتنافسة في المنطقة إلى إعادة النظر في إستراتيجيتها في منطقة البحر الأسود وجعلها تنخرط في التفاعلات الإستراتيجية التي تضمن لكل طرف نفوذه بما تسمح به قدراته على الأرض. وبناء عليه يمكن إيجاز الإستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة بعدة نقاط:

–أصبح البحر الأسود منطقة تقاطع المصالح بين روسيا والحلف الأطلسي، فالحرب الأوكرانية وإن كانت تدور رحاها في البر الروسي والأوكراني، ولكنّها أيضًا صراع على النفوذ في البحر الأسود، ليتحول البحر إلى نقطة تصادم وتوتر حادة بين الأوراسية والأطلسية نظرًا لأهمية موقعه الإستراتيجي.

– أعطى البحر لتركيا دورًا جيوستراتيجيًا، وجعلها لاعبًا رئيسيًا في المنطقة بموجب إتفاقية مونترو التي منحت الدولة التركية الكثير من الإمتيازات في حالتي السلم والأمن.

–تنظر روسيا إلى السيطرة على البحر الأسود على أنّها مركز الثقل في إستراتيجيات أمنها القومي ونقطة إطلاق رئيسية لتحقيق حلمها ب «المياه الدافئة».

–أصبحت منطقة البحر الأسود خط صدع مركزي في المنافسة بين روسيا والغرب، إذ إنّها مفترق طرق إستراتيجي وأمني لدول تحتل مساحة كبيرة من قلب الأرض التي نظّر لها المفكرون الغربيون، ونقطة عبور لناقلات النفط والغاز بين أوروبا وآسيا.

– يظهر في منطقة البحر الأسود تشكل نمط تعددي لتوزيع القوة، وهو واحد من أهم سمات النظام العالمي الجديد، يفرضه منطق الطاقة والأمن من جهة ومنطق القوة التي يملكها كل طرف من

أطراف الصراع من جهة ثانية، مما سينعكس على تراتبية القوة العالمية.

المصادر:

1 رمضان عبد العال، روسيا في البحر الأسود (شبه جزيرة القرم)، مركز الدراسات العربية الأوراسية، 2024، على الموقع الإلكتروني: org/.eurasiaar//:https

2-ليزا آي أرنسون، جيفري مانكوف، نحو إستراتيجية أمريكية جديدة لمنطقة البحر الأسود، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية (CSIS)، 2023، على الموقع الإلكتروني:

https://natourcenters.com/

3-عباس محمد الزين، روسيا بين بحرين وقرنين، 25\2\2023، على موقع قناة الميادين: https://www.almayadeen. net/research-papers/ .

4-توماس لا تشان، البحر الأسود... أهمية إستراتيجية ودور حيوي في حرب أوكرانيا، 15\8\2023، على الموقع الإلكتروني: https://www.dw.com/ar/

5-علي دريج، تعاون غير مسبوق...روسيا تسمح للصين وإيران بالمشاركة في تجريف قناة الفولغا، 2023، قناة الميادين، على الموقع الإلكتروني: https://www.al-mayadeen.net/news/politics

6-علي دريج، المواجهة الروسية-الأطلسية تنتقل إلى البحر الأسود... المنطقة على فوهة بركان، على موقع قناة الميادين: almayadin.net، 2023

-ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة عماد حاتم، ط1، دار الكتاب الجديدة، طرابلس، 2004، ص 433.

7-المادة الثانية من إتفاقية مونترو 1936.

8-Lord Mark LANCASTER, RUSSE NAVIGUER EN EAUX TROUBLES, LES INCIDENCES DE LA GUERRE RUSSE EN UKRAINE SUR LA SÉCURITÉ EN MER NOIRE, rapport de l,Assemblee paelementaire de l,OTAN,2023.

9-Aliano, Adam, "Is Russia Exploiting a Gap in the Montreux Convention?" Lawfare Blog, Russia-Ukraine War, 14 June 2022. https://www.lawfareblog.com/russia-exploiting-gap-convention

10-Mer Noir et enjeux strategiques, Revue Histoire,2023,sur la site : https://revue-histoire.fr/actualite-

American Strategy for the Black Sea Region, Center for Strategic and International Studies (CSIS), 2023. Available at: https://natourcenters.com/

3. Abbas Mohammed Al-Zein, Russia Between Two Seas and Two Centuries, 25/02/2023, on Al-Mayadeen website: https://www.almayadeen.net/research-papers/
4. Thomas La Chan, The Black Sea... Strategic Importance and a Vital Role in the Ukraine War, 15/08/2023. Available at: https://www.dw.com/ar/
5. Ali Dreej, Unprecedented Cooperation... Russia Allows China and Iran to Participate in the Dredging of the Volga Canal, 2023, Al-Mayadeen. Available at: https://www.almayadeen.net/news/politics
6. Ali Dreej, The Russian-Atlantic Confrontation Moves to the Black Sea... The Region on the Brink of an Eruption, 2023, Al-Mayadeen website: https://www.histoire/mer-noire-et-enjeux-strategiques/

11-Florent Marciacq, Mer Noire: rivalites et enjeux de securite europieenne, politique etrangere, 2024. sur le site www.revues.armand-colin.com

12-Tsereteli, Mamuka, "Black Sea Cables to Slake Europe's Thirst for Energy", Center for Eruopean Policy Analysis, 31 January 2023. https://cepa.org/article/black-sea-cables-to-slake- europes-thirst-for-energy/

13-Steven Everts the role of china in the broader black sea region foreword, in: alexander martin (ed), china in the

broader black sea region, GLOBSEC, Slovakia, 2021, p II.

Sources:

1. Ramadan Abdel Aal, Russia in the Black Sea (Crimean Peninsula), Arab Eurasian Studies Center, 2024. Available at: https://eurasiaar.org/
2. Lisa A. Aronson & Jeffrey Mankoff, Towards a New

12. Florent Marciacq, Black Sea: Rivalries and European Security Issues, Foreign Policy, 2024. Available at: www.revues.armand-colin.com

13. Mamuka Tsereteli, Black Sea Cables to Slake Europe's Thirst for Energy, Center for European Policy Analysis, 31 January 2023. Available at: https://cepa.org/article/black-sea-cables-to-slake-europes-thirst-for-energy/

4. 14. Steven Everts, The Role of China in the Broader Black Sea Region, in: Alexander Martin (ed.), China in the Broader Black Sea Region, GLOBSEC, Slovakia, 2021, p. II.

almayadeen.net

7. Alexander Dugin, Foundations of Geopolitics: The Geopolitical Future of Russia, translated by Imad Hatem, 1st edition, New Book House, Tripoli, 2004, p. 433.

8. Article 2 of the Montreux Convention (1936).

9. Lord Mark Lancaster, Russia Navigating Troubled Waters: The Impact of the Russian War in Ukraine on Black Sea Security, NATO Parliamentary Assembly Report, 2023.

10. Adam Aliano, Is Russia Exploiting a Gap in the Montreux Convention?, Lawfare Blog, Russia-Ukraine War, 14 June 2022. Available at: https://www.lawfareblog.com/russia-exploiting-gap-montreux-convention

11. Black Sea and Strategic Issues, Revue Histoire, 2023. Available at: https://revue-histoire.fr/actualite-histoire/mer-noire-et-enjeux-strategiques/

All copyrights reserved ©

h_imamomais@hotmail.com

wameed.alfkr@gmail.com

مجلة ربع سنوية علمية محكمة

Wamid El-Fikr Research Journal

Quarterly peer-reviewed Scientific Journal

Issue 25, March 2025

Brief

It is a scientific quarterly peer-reviewed journal issued by the National Society for Culture and Development, Notice of Recognition (Declaration) No. 1193/a.d.

Edited by: Dr. Haifa Suleiman AL-Imam

Published and distributed by: Dar Al-Nahda Al-Arabiya / Beirut - Lebanon

ISSN:2618-1312 paper print

ISSN: 2618-1320 e copy

دار النهضة العربية

Wamid El-Fikr Research Journal

Specializing: Education and Humanities

Quarterly peer-reviewed Scientific Journal

Issue 25, March 2025

Wamid Al Fikr Research Journal has been included in the Arab Impact Factor

It has an Arab Impact Factor for the year 2021 of 2.4

The magazine's ranking is the 47th out of 2157 Arabic magazines

And it received the numbers: Ref. No.: (2020J1010)

It also received the No. (DOI:1018756/2020J101)

It is also indexed by the Arabic Citation Index under number: code

ARCI-2007-1110

Management and Editorial Board

General Supervisor: Prof. Ali Mahdi Zeitoun

Scientific and Research Advisor: Dr. Youssef Alsabaawi

Editor-in-chief: Dr. Haifa Suleiman AL-Imam

Managing Editor: Lina Mohamed Abdul Ghani

Contact us

Tel: +961 3 691 425

Fax: +961 8 630 280

Website: www.wameedalfikr.com

emails: wameed.alfkr@gmail.com /

Editor-in-chief email: h_imamomais@hotmail.com

Annual Subscription:

In Lebanon and the Arab countries $ 225

In the rest of the world $ 200

أبحاث باللغات الأجنبية

مجلة ربع سنوية علمية محكمة

Regards croisés : analyse comparative des deux œuvres littéraires francophones «Raconte –moi: la vigne et le lierre» d'Asma Abdelkarim et «Le roman de Beyrouth» d'Alexandre Najjar.

نظرات متقاطعة: تحليل مقارن للعملين الأدبيين الفرانكوفونيين«احكِ لي عن بيروت: الكرمة واللبلاب» لأسماء عبد الكريم، و«رواية بيروت» لأليكسندر نجار.

Crossed Perspectives: A Comparative Analysis of the Two Francophone Literary Works "Raconte–moi Beyrouth: La Vigne et le Lierre" by Asma Abdelkarim and "Le Roman de Beyrouth" by Alexandre Najjar.

Écrit par Dr. Manal Bachir Hatoum

بقلم الدكتورة منال بشير حاطوم

Docteure en langue et littérature françaises à l'Université Libanaise.

دكتورة في اللغة الفرنسية وآدابها في الجامعة اللبنانية

manal.hatoum@ul.edu.lb

Date de réception: 5/1/2025 Date d'acceptation: 3/2/2025 Date de publication: 25/3/2025

Résumé :

Le Liban se distingue par ses multiples facettes, façonnées par sa diversité religieuse et culturelle. Véritable carrefour de civilisations, il abrite une mosaïque de confessions qui coexistent, chacune enrichissant la société par ses traditions, ses valeurs et son influence. Quant à sa richesse culturelle, elle s'exprime à travers son patrimoine, sa littérature et sa musique, oscillant entre modernité et traditions séculaires.

Cette diversité confère au Liban un caractère unique, où religion et culture occupent une place essentielle dans la construction de l'identité individuelle et collective, contribuant ainsi à la complexité et à la richesse de son paysage social.

Dans les deux romans «Raconte- moi Beyrouth : la vigne et le lierre» d'Asma Abdelkarim et «Le roman de Beyrouth» d'Alexandre Najjar, chaque écrivain tente de dépeindre son propre Liban, une vision influencée par sa religion, son expérience personnelle et son idéologie. Cet article propose une analyse des codes culturels présents dans ces œuvres et met en évidence les parallélismes ainsi que les contrastes qui s'y manifestent.

Mots-clés : Littérature, culture, contrastes, parallélismes.

الملخص:

يتميّز لبنان بتعدد جوانبه، إذ يتشكل من تنوعه الديني والثقافي، ما يجعله ملتقىً للحضارات. تحتضن أرضه فسيفساء من الطوائف المتعايشة، حيث تساهم كل منها في إثراء المجتمع بتقاليدها وقيمها وتأثيرها. وتتجلى ثروته الثقافية في تراثه وأدبه وموسيقاه، التي تمزج بين الحداثة والتقاليد العريقة. يلعب الدين والثقافة دورًا محوريًا في تشكيل الهوية الفردية والجماعية، مما يساهم في تعقيد المشهد الاجتماعي وإثرائه. في روايتي احكِ لي عن بيروت: الكرمة واللبلاب لأسماء عبد الكريم و"رواية بيروت" لألكسندر نجّار، يرسم كل كاتب صورة لبنان كما يراه، وفق رؤيته المتأثرة بدينه وتجربته الحياتية وأيديولوجيته. يسعى هذا المقال إلى تحليل الرموز الثقافية في هذين العملين، مع إبراز أوجه التشابه والاختلاف التي تتجلى فيهما.
الكلمات المفتاحية: الأدب، الثقافة، التباينات، التوازيات.

Summary:

Lebanon is a land of diverse identities, shaped by its rich religious and cultural tapestry. As a historical crossroads of civilizations, it hosts a mosaic of faiths that coexist, each contributing to society through its traditions, values, and influence. Its cultural heritage shines through its architecture, literature and music, blending modernity with deep-rooted traditions. This diversity gives Lebanon its unique essence, where religion and culture play a vital role in shaping both personal and collective identity, adding depth and richness to its social fabric. In the novels "Raconte-moi Beyrouth: la vigne et le lierre" by Asma Abdelkarim and "Le Roman de Beyrouth" by Alexandre Najjar, each author offers a personal portrayal of Lebanon—shaped by their religion, life experiences, and ideological viewpoints. This article explores the cultural codes embedded within these works, emphasizing the similarities and contrasts they reveal.
Keywords: Literature, culture, contrasts, parallels.

La littérature constitue un moyen efficace permettant d'analyser et de connaître l'homme dans sa variabilité et sa complexité. En effet, le texte littéraire est envisagé comme «la meilleure ethnographie de la culture d'un pays donné»[1]. En dévoilant l'imaginaire social et culturel, il fonde une voie d'accès aux différents codes sociaux et nous permet de jeter «un regard qui nous éclaire, fragmentairement, sur un modèle culturel»[2]. Par son biais, le lecteur sera capable de s'initier à la culture d'autrui, de découvrir d'autres personnages et traditions et de connaître «la vie des hommes dans sa vérité quotidienne comme dans son histoire, dans son ici et maintenant comme dans ses ailleurs»[3].

1 AMOR. S., 1994, «Document authentique ou texte littéraire en classe de français», Etudes de Linguistique Appliquée, p.57.

2 COLLES, L., 1994, Littérature comparée et reconnaissance culturelle, Boeck, D., Bruxelles, p.20.

3 ABDALLAH-PRETCEILLE M., PORCHER L., 1996, Education et communication inter-culturelle, Paris, PUF, p.143.

Ainsi, pour étudier la culture libanaise dans ses manifestations sociales, notre analyse va se porter sur deux romans de Asma Abdelkarim et Alexandre Najjar intitulés respectivement «Raconte- moi Beyrouth : la vigne et le lierre» et «Le roman de Beyrouth».

Notre objectif est de montrer les caractéristiques spécifiques de ces œuvres francophones et d'analyser les valeurs culturelles et les traditions dans les domaines social, linguistique et gastronomique.

A cet effet, nous allons commencer par l'analyse des thèmes culturels puis nous procèderons à une analyse comparative afin d'établir les parallélismes et les contrastes qui existent entre ces romans.

Pour atteindre notre objectif, nous allons nous appuyer sur des théories de la littérature comparée, notamment sur l'intertextualité culturelle, afin de mettre en lumière «la trace d'une culture dans l'écriture […] culture latérale définissant un code linguistique et des références à la vie, culture profonde constituant la mémoire qui s'inscrit dans le grimoire du texte»[1].

De même, notre méthodologie va se concentrer sur l'analyse qualitative des éléments constitutifs des œuvres. Cette méthode d'analyse qualitative s'inspire de Bogdan et Biklen[2], qui définissent ce processus comme une organisation et classification des données, suivies de leur interprétation et présentation au public.

Mais avant de commencer notre travail, il paraît primordial de définir la notion de culture.

Dans une perspective anthropologique, la culture est considérée comme :«Un ensemble des faits de civilisation (art, connaissances, coutumes, croyances, lois, morales, techniques, etc.) par lesquels un groupe (société, communauté,

1 POIRION,D.,«Écriture et ré-écriture au Moyen Âge», dans Écriture poétique et composition romanesque, Orléans, Paradigme, 1994, pp. 460.

2 BOGDAN, R.C., &BIKLEN, S.K., 2006, Introduction to qualitative research methods (5e éd.). New York,NY: Wiley.

groupe social particulier) pense, agit, et ressent ses rapports avec la nature, les hommes et l'absolu; système de hiérarchisation des valeurs qui ne se manifeste pas seulement dans les formes d'expression culturelles mais aussi à travers la religion, les structures politiques,l'organisation familiale, l'éducation, voire le développement matériel et technique»[1]. Autrement dit, c'est «un ensemble lié» de règles, de traditions et de coutumes caractérisant un groupe social et garantissant la cohésion et les relations entre ses différents membres. En effet, elle est formée de«petites cultures». ; toute communauté est hétérogène et tous les individus ne possèdent pas les mêmes manières de vie car chacun est déterminé par son statut social, ses pratiques religieuses, son métier, sa région, etc.

Les deux romans que nous allons étudier ne constituent pas à eux seuls une représentation exhaustive du discours littéraire libanais mais nous les avons choisis d'abord parce qu'ils présentent deux perspectives différentes du Liban, ensuite parce qu'ils encadrent les évènements politiques et socioculturels de 1858 à nos jours.

Alexandre Najjar est un écrivain libanais, né à Beyrouth, dans une famille chrétienne. Il est aussi avocat et l'auteur d'une trentaine de livres traduits dans une douzaine de langues. «Le Roman de Beyrouth» a obtenu le Prix Méditerranée en 2005 et le prix Hervé Deluen et a été sélectionné parmi les meilleurs romans dans la rubrique «Les choix du Point».

Dans cette œuvre, Alexandre Najjar, en combinant histoire et fiction, et en s'appuyant sur un minutieux travail de recherche, a dressé le portrait du Liban caractérisé par la multitude de communautés religieuses et a décrit la société libanaise à travers une saga qui se développe sur trois générations.

En effet, dans un style parsemé d'expressions et d'anecdotes extraites

1 PIROU, J-P, 2003, Lexique de sciences économiques et sociales, (6eme éd.), Paris, Editions La Découverte, p.34.

du dialecte libanais, ce roman représente un vrai témoignage de Beyrouth avec ses déchirures et sa lutte pour la liberté et fait ressusciter les divers évènements qui ont marqué l'histoire politique du Liban: le Mandat français, la Seconde Guerre mondiale, l'Indépendance, le conflit israélo-palestinien, la guerre du Liban, etc.

Toutes les péripéties gravitent autour de l'immeuble Sarkis et de ses habitants qui sont la quintessence de cette nation-mosaïque qu'est le Liban. Les chrétiens, les musulmans et les juifs, avec leurs convictions et leurs traditions souvent contradictoires, se rassemblent dans la place des Canons pour révéler les difficultés de cohabitation entre ces trois religions monothéistes.

Asma Abdel karim, journaliste et traductrice diplômée de l'Université Saint-Joseph de Beyrouth et de la Sorbonne, est de père libanais et de mère tunisienne. Elle est née et élevée en Tunisie mais là-bas, elle avait grandi en étrangère : «Rien, hormis l'espace, ne [le] liait à ce pays». Son père qui n'a jamais accepté la décision de son propre père de s'installer dans ce pays de Maghreb lui répétait toujours : «Notre place n'est pas dans ce pays ! Nous sommes libanais, ne l'oubliez jamais» p.31[1] .C'est pourquoi, elle a décidé, à 18 ans, de revenir à son pays natal et de s'installer à Beyrouth.

Dans son roman «Raconte-moi Beyrouth», elle nous livre une étude détaillée de la société et de la mentalité libanaise avec ses contradictions et fournit une documentation de la situation politique en s'intéressant précisément à la période au cours de laquelle il y a eu la série d'attentats visant les personnalités antisyriennes. En effet, en mêlant habilement le récit et l'histoire d'amour, ce livre constitue un témoignage puissant sur le Liban où Abdelkarim permet aux lecteurs de se rendre compte de la complexité des relations entre les communautés et de découvrir les spécificités culturelles de ce pays semblable

1 ABDELKARIM, A., 2015, Raconte-moi Beyrouth : La vigne et le lierre, Georama, p.31.

au Phénix, toujours capable de renaître de ses cendres.

Les deux écrivains ont traité du Liban multiconfessionnel, des fêtes et des rites religieux et de la gastronomie afin de fournir une vision globale de la culture libanaise.

Liban, un pays multiconfessionnel

Le Liban est un pays multiculturel et multiconfessionnel. Il est caractérisé par sa diversité et ses communautés religieuses qui«se réfèrent à des cosmogonies et à des eschatologies différentes, pour des raisons historiques, sociales, religieuses et démographiques qui déterminent leur identité spécifique».[1] En effet, les différentes collectivités cohabitent mais chacune d'elles possède ses propriétés particulières et se distingue par ses us, ses fêtes, ses pratiques et ses dogmes ; leurs modes de vie et leurs visions du monde semblent distincts sans être essentiellement contradictoires. Culturellement gouvernée par la dualité chrétiens-musulmans et donc par l'affrontement des deux cultures, la société libanaise tend à se présenter comme une terre d'accueil et de contacts culturels. Cependant, elle reste hantée par les différences sociopolitiques qui ont pris la forme de conflits confessionnels.

Dans son roman, Najjar a bien démontré que cette diversité possède un potentiel de conciliation et de conflit. D'une part, il a évoqué que le Liban formé officiellement de dix-huit communautés religieuses se caractérise par un vivre-ensemble et représente un espoir, un phare pour l'ensemble du Moyen-Orient. Pour lui, Beyrouth représente «une mosaïque de religions et de couleurs. Chaque rue possède son cachet propre, son histoire, ses habitués, ses coutumes, ses manies». Cette ville est «multiforme, plurielle, et pourtant unique !». p.36 Les mosquées et les églises se côtoient et témoignent de ce pluralisme religieux. À plusieurs reprises, il

1 CHAMOUN, M., 1997, "La diversité ethnique et culturelle et la construction nationale: le cas du Liban" in S.Abou, K. Haddad, La diversité linguistique et culturelle et enjeux du développement, Liban : imprimerie catholique, Araya, p.64.

a insisté sur l'esprit d'ouverture et de dialogue entre ces communautés. Nous en citons quelques-unes : le père de Philippe était un médecin qui «prodiguait ses soins à Ali, Mohamad, David ou Georges, avec le même dévouement» p. 77«[…] le chant du muezzin et les cloches du beffroi qui se répondaient bruyamment. Le croissant de la mosquée et la croix de l'église se détachaient sur un ciel clair : on eût dit qu'ils se superposaient»p.97 ; «toute la ville de Beyrouth se retrouve là. Il y a […] les jeunes voilées de la banlieue du Sud ou en minijupe d'Achrafieh […] p.354; «un monument sculpté […], représentant deux pleureuses, l'une chrétienne, l'autre musulmane, se tenant les mains au-dessus d'une urne funéraire […] p.104.

D'autre part, il a indiqué que cette mosaïque confessionnelle a connu des périodes difficiles et a été secouée par plusieurs conflits.

Par exemple, à travers l'histoire de sa famille (son grand-père Roukoz, son père Elias, etc.), le narrateur Philippe relate l'histoire du Liban hanté par les combats entre les druzes et les chrétiens en 1853, la guerre civile, etc. En effet, dans cette dernière, les protagonistes se sont attaqués pour des raisons politiques et religieuses.

Alexandre Najjar qui a vécu sur place les quinze ans de la guerre civile libanaise a décrit «Beyrouth qui agonisait. Maisons détruites, immeubles criblés de balles […] La place des Canons était défigurée, méconnaissable […] p.307 et a traduit la peur de l'autre affectant les relations entre les collectivités. Quelques libanais refusaient «l'idée de cohabiter avec des gens «de l'autre bord»» p.75. L'éducation scolaire et familiale, le fanatisme religieux, l'ignorance de l'autre, la crainte de la différence et les préjugés peuvent expliquer les raisons de cette incommunicabilité et de cette fermeture sur soi. Par exemple, la mère de Philippe, étant élevée dans une famille catholique et ayant reçu ses études chez les Dames de

Nazareth, acceptait mal ses voisins «ayant […] des idées et des coutumes différentes des siennes».p.77

Cette peur se traduit aussi par le refus du mariage interreligieux qui constitue une grande menace pour la cohésion des familles et de la communauté ; ni les religieux ni la société n'acceptent de telles unions et les encadrent par des règles strictes. Epouser quelqu'un d'un autre groupe constitue une trahison pour la famille. Lorsque Philippe, le chrétien, voulait se marier avec Nour, la musulmane, il a essayé de lire le Coran et l'Evangile.

Dans le Coran, il a trouvé que «ceux qui, parmi vous, abjureront leur religion et mourront infidèles, vaines seront pour eux leurs actions dans la Vie Immédiate et Dernière […]».p.293

De même, chez les chrétiens d'Orient, les choses ne sont pas simples : «l'homme ne peut se marier avec une femme infidèle, à la condition qu'elle devienne chrétienne».p.293

Philippe a décidé de défier la société et de pratiquer la khatifé, une tradition en usage surtout dans les villages libanais pour des raisons financières, et de se marier en Chypre, vu que le mariage civil n'existe pas au Liban parce qu'il a estimé que leur «échec personnel symbolisait l'échec du pays tout entier, de la coexistence, de l'union nationale– al wahda al watania– et de ce qu'on appelait «al aaich el mouchtarak». p.293.

Najjar a essayé de montrer que malgré les conflits, les libanais choisissent d'oublier les différences et d'écarter de leur mémoire la peur, les noirceurs de l'histoire et tout ce qui peut les séparer afin de maintenir la paix et la réconciliation nationale. C'est un peuple qui a «une faculté d'oubli et d'adaptation […] La guerre est à peine finie qu'il festoie déjà». p.224

De son côté, Asma a étudié le fanatisme religieux dans «Raconte–moi Beyrouth». Elle a insisté sur l'extrémisme qui a déclenché la guerre civile et a démasqué les disparités entre les communautés, voire à

l'intérieur d'une même communauté. Le Liban a sombré dans un conflit dans lequel le confessionnalisme et la politique s'imposent comme des facteurs majeurs. En effet, cette guerre a scindé Beyrouth en deux entités distinctes, irréconciliables et aux destins divergents: «[…] nous allons «changer de Beyrouth», […] on va quitter Mohamad, Hussein et Ali pour retrouver Antoine, Maroun et Michel». La ligne de démarcation était la limite entre Beyrouth-Est totalement chrétienne et Beyrouth-Ouest à majorité musulmane. Cette ligne sépare des citoyens qui se distinguent par l'origine, la confession et le comportement social.

De même, la romancière a étudié cette crainte de l'autre se dévoilant par l'attitude islamophobe de certains chrétiens qui ne gardent de leurs «compatriotes musulmans» que l'image «des miliciens qui ont massacré des familles entières dans [leur] région natale pendant la guerre» p.82. La violence a dégradé l'unité nationale, a creusé des fossés et a morcelé l'identité libanaise.

Mais, elle a surtout insisté sur le sentiment de supériorité des sunnites sur les chiites au Liban. Les sunnites «sont persuadés qu'en leur qualité d'orthodoxes, ils détiennent la vérité de l'islam»p.90 et considèrent que les chiites «ne sont que des imposteurs à la solde de l'Iran»p.90 et «des villageois ruraux et incivils» qui représentent «une classe sociale inférieure […] et porteuse de tous les vices»p.90. Entre ces deux principaux courants de l'Islam, le conflit est aux mille visages. Au-delà de l'aspect religieux, la fracture entre eux est aussi sociologique et politique. En effet, au Liban, les sunnites s'installant dans les grandes villes et menant par conséquent une vie aisée, se croient meilleurs que les chiites et les accusent d'être principalement fidèles à l'Iran, pas aux états dans lesquels ils résident.

Le mariage interreligieux a encore été abordé par Abelkarim. Elle a démontré que «pour célébrer des noces, il faut passer par les instances religieuses» et qu' «aucune union entre deux personnes de confession différente n'est

envisageable»p.93 car la famille et les amis renieront les mariés et ne les accepteront jamais. En effet, la société se dresse contre le mariage mixte, tout d'abord, par souci de préserver la culture et l'homogénéité sociale, ensuite par souci de faire éviter les conflits qui peuvent surgir entre les conjoints. En effet, les libanais «feignent l'ouverture, la tolérance et la laïcité», mais au fond, chacun d'eux reste attaché à sa religion et à ses croyances.

Bref, dans cette partie, nous trouvons que les deux romanciers ont étudié les difficultés qui affrontent les grandes histoires d'amour qui «ne sont pas en mesure d'infléchir [les] règles ni d'y faire face».p.92 Au Liban, le mariage civil est impossible et seul le mariage religieux est reconnu et autorisé. Pour unir des époux de religions différentes, des couples s'unissent civilement à l'étranger. En effet, le système institutionnel au Liban baigne dans une véritable contradiction. D'une part, nous sommes face à une modernité et évolution incomparable, et de l'autre part nous nous dressons devant une institutionnalisation intense des communautés religieuses. Le fanatisme religieux empêche l'acception de ce type de relation dans les sociétés multicommunautaires et fêter son amour s'avère comme un acte militant.

La mosaïque confessionnelle, avec ses conflits et ses ententes, a été de même abordée dans les deux romans. Mais, Najjar qui a connu une enfance et une adolescence marquées par les quinze ans de la guerre civile et qui a lutté avec la réalité de son pays fragmenté, a mieux développé les causes et les conséquences de cette dualité. Pour lui, la guerre est une réalité quotidienne. Quant à Asma, vu qu'elle a mené son adolescence en Tunisie, cette guerre se présente comme une actualité lointaine. Néanmoins, durant ses séjours au Liban, elle a découvert la société chiite grâce à son ami Abbas et a réussi d'étudier la fracture théologique entre les sunnites et les chiites.

Les fêtes et les rites religieux

Les fêtes revêtent des fonctions primordiales pour la communauté. En effet, elles assurent la cohésion et l'homogénéité d'une collectivité et par son rôle conservateur, elles certifient le transfert de génération en génération d'un ordre pouvant revenir aux origines. Au Liban, l'identité culturelle et les comportements des individus sont déterminés par la religion et ses rites. Les règles établies par la confession influent tout individu, concrétisent des traditions identitaires puissantes et se traduisent par des pratiques intensément respectées et enracinées dans la mémoire individuelle et collective. Les libanais, toutes confessions confondues, sont très attachés à ces pratiques.

Par exemple, Najjar, issu d'une famille maronite, a souligné l'importance de certains rites chrétiens comme le fait de servir la messe et son rôle purificateur : «Cet exercice me convenait : j'allais devenir, aux yeux de mes camarades, un initié, un pur» et a tourné en dérision d'autres traditions qui, selon lui, prêtaient à sourire comme «l'interdiction de balayer le mercredi saint […], sous peine d'être dévoré par les fourmis !» p.78

Le romancier fait toujours abstraction de la société où il est né ; c'est pourquoi Najjar s'est surtout intéressé aux fêtes religieuses chrétiennes et à leurs nourritures symboliques : «il y avait Noël. Avec l'immense crèche, le sapin enguirlandé et la dinde gavée de noix ; la Sainte Barbe où nous savourions de blé concassé parfumé à l'eau de fleur d'oranger […] ; le dimanche des Rameaux (la Chaanine) où nous portions nos plus beaux habits […], le jeudi saint et sa kebbé haziné […] ; Pâques, avec les délicieux maamoul que ma mère confectionnait […] ; la fête de la Croix avec ses feux de joie […]», «[…] la fête de saint Maron […].

Cependant, nous signalons le recours quasi exclusif au mois sacré des musulmans «le ramadan» avec ses spécialités culinaires et ses rituels

: «Pendant le ramadan, il acceptait toujours les invitations à l'iftar […], ce repas pris à la fin de la journée de jeûne, composé de plats traditionnels comme la soupe de lentilles, le fattouch, la moghrabieh, servis avec du jus d'abricot. […]. La nuit, lorsque le moussaharati sillonnait les rues en tapant sur son tambourin et en récitant des versets du Coran pour réveiller les fidèles et les inviter au souhour […].»

Les fêtes chrétiennes sont plus nombreuses au Liban et le démarquent de son environnement arabe. Elles sont célébrées avec ferveur car elles incarnent les liens sociaux et remémorent des souvenirs collectifs qui instaurent l'histoire de la collectivité et de sa mémoire commune. Le plus souvent, elles sont accompagnées des repas pour rassembler la famille et mettre trêve aux disputes.

De son côté, Asma Abelkarim élevée dans une atmosphère religieuse sunnite s'est préoccupée du culte islamique et a abordé les différentes célébrations religieuses partagées par la totalité des musulmans qu'ils soient sunnites ou chiites. Elle a évoqué Aid al-Adha, qui est considéré comme «La deuxième plus grande fête religieuse des musulmans», et Le Ramadan qui engage les musulmans au jeûne et à la prière et qui est marqué par des traditions locales, des plats traditionnels autant que des rituels sacrés : «[…] le début de Ramadan […]. L'ambiance est à la fête. Les rues sont décorées […]. Lors de l'appel à la prière annonçant la rupture du jeûne, les rues deviennent désertes […]». De plus, AbdelKarim, influencée par son histoire d'amour avec Abbas, un jeune homme chiite, a révélé son admiration d'abord pour l'islam chiite qui «prouve sa capacité d'adaptation et paraît plus à même d'être dans l'air du temps que les autres branches de l'islam».p.172 et ensuite, pour sayyed Hassan Nasrallah qui possède un «charisme incontestable» et une «aura divine». p.65. Plusieurs pages du roman ont été consacrées à la description des villages du Sud, des ruelles de Dahiyeh, de la vie quotidienne de ses habitants et des réunions

politiques du Hezbollah. Elle a trouvé que cette ville « est un monde à la fois familier et mystérieux. Familier par la simplicité des négoces, […] mystérieux pas ses décorations achouriennes, ses femmes vêtues en noir de la tête au pied, conduisant des 4 x4 […]» p.48. De même, elle s'est intéressée à Achoura, la plus grande commémoration chiite et a raconté l'origine et les significations de cet évènement religieux : «Les ruelles de Dahiyeh sont ornées de guirlandes noires […]. C'étaient les préparatifs d'Achoura […], période pendant laquelle les libanais de confession chiite se rassemblent dans des Husseiniyeh […]. Il s'agit d'écouter un narrateur, pendant les dix jours d'Achoura, s'exprimant le plus souvent en dialecte irakien, qui raconte jour après jour la passion de l'imam Hussein».

Au Liban, il existe deux modes de vie déterminés par les deux religions et donc deux cultures principales. Chacun des deux écrivains s'est limité à décrire minutieusement les fêtes célébrées dans sa propre religion en faisant allusion à celles des autres. En effet, la guerre civile a empêché Najjar qui est né dans une famille chrétienne et qui a été scolarisée chez les Jésuites de bien découvrir la communauté musulmane;

c'est pourquoi, il se contente de mentionner une seule fête religieuse des musulmans, alors qu'il s'est livré à donner au lecteur une vision détaillée des fêtes chrétiennes.

De son côté, Asma a insisté sur les célébrations musulmanes mais son appartenance à la communauté sunnite ne l'a pas empêchée de fournir une analyse développée de la société chiite et des rituels de Achoura, car lors de son arrivée au Liban, son ami Abbas l'a emmenée à un Majliss, à Dahiyeh et aux différents villages du Sud. Tout cela a offert l'opportunité à Asma d'observer et de déceler une culture nouvelle.

La gastronomie libanaise, un patrimoine culturel vivant

La gastronomie est l'une des voies les plus efficaces qui permet de découvrir l'âme et l'esprit d'un pays. Elle représente une forme concrète d'humanisme et d'universalisme. En effet, elle est un élément culturel très reconnaissable et une composante primordiale de l'identité d'un pays.

Fruit de plusieurs influences culturelles, la cuisine libanaise, située au carrefour de plusieurs pays, se distingue par sa finesse, sa diversité et la richesse des saveurs et des couleurs. Elle est considérée comme le reflet de notre culture et notre vision du monde. C'est «un bonheur pour les yeux aussi bien que pour le palais».

Dans Le Roman de Beyrouth, Najjar a parlé de la variété de la cuisine libanaise, et il s'est surtout préoccupé:

-du mezzé, référence culturelle essentielle du Liban, qui est servi avec le pain arabe sous la forme d'assortiments de petits plats : «hommos, mtabal, taboulé, kebbé…». C'est une «gastronomie de l'œil».p.319

-des sandwichs qui sont très populaires, en particulier «chawarma et falafel» p.303.

-des desserts et des boissons comme «[le] knefé, la mouhallabié, […] le sousse, le jellab[…]»107, l'arak., le vin.

Pareillement, dans Raconte-moi Beyrouth, nous avons découvert plusieurs plats composant un excellent petit déjeuner «semblable à un brunch gargantuesque qui s'éternise».p.71. À table, nous trouvons «du fromage feta, des manoucheh de thym et de fromage, une assiette de houmous, une théière, une assiette de légumes frais […] des tomates, des concombres, des carottes, des radis et de la menthe. […] Un vrai régal pour les yeux et les papilles»p.71. Les manoucheh, devenus emblème national de la cuisine libanaise, ont surtout retenu l'attention de la romancière. Elle a consacré un paragraphe pour évoquer ses composantes : «ces galettes

semblables à des crêpes épaisses qu'on agrémente, au choix, avec du thym séché et mélangé à des graines de sésame, ou avec du fromage bulgare kashkawan [...] p.112. De même, le «kallaj et les pichets de jallab»168 et la classique de la gastronomie libanaise, le mezzé, ont été encore cités : «homous, baba ghanouj, fatouch, tabouleh, chanklich, labneh, falafel, makanek ...»p.168.

Dans les deux romans étudiés, une littérature culinaire est représentée avec amour et précision évoquant les distincts mets raffinés, savoureux et délicieux.

Tout écrivain est le fils de son environnement. Najjar qui a passé son enfance et son adolescence au Liban, traduit par son écriture ses propres expériences, sa vie quotidienne. C'est pourquoi, il paraît naturel que la gastronomie libanaise soit plus développée chez lui que chez Asma. En effet, la romancière a été fascinée par le monde culinaire «levantin mirifique alliant des saveurs et des odeurs [...] enchantent les yeux et les papilles» p.169, quand elle est revenue à son pays natal ; mais son expérience n'est pas comparable à un citoyen habitué depuis longtemps aux plats typiques du pays du Cèdre.

Les traditions libanaises

Le roman de Beyrouth tient la route et fournit aux lecteurs une vision exacte et claire de la société libanaise et de ses traditions. Najjar a dessiné le portrait des libanais à travers des saynètes bourrées de mots, d'expressions et de courts passages purement libanais. Nous trouvons des répliques, des proverbes et des expressions idiomatiques, dont la majorité appartient au dialecte local. Par l'usage de ces termes, Najjar veut viser la véracité du message et la mémoire collective libanaise. De plus, ces alternances codiques traduisent ce pluralisme culturel et reflètent l'image d'une société de culture si riche et ouverte.

Nous allons étudier surtout le cas des proverbes puisés dans le patrimoine dialectal qui traduisent des aspects importants de la sagesse populaire et procèdent à l'attachement du libanais à la spécificité culturelle. Par exemple, le proverbe local : «Fallah mekfi, sultan mekhfi» p.174 illustre cette habitude chez les paysans de regorger «de provisions (ou mouné) en prévision de l'hiver, comprenant du kichk […] et du debs […]» ou le dicton «Mech beyess temmo ella emmo»p.202 incarnant le conservatisme, la naïveté et l'innocence.

Najjar a parlé aussi de l'hospitalité des libanais qui sont optimistes et amicaux. Ils saluent chaleureusement leurs hôtes et les embrassent trois fois (comme le veut l'usage au Liban p.273). Ils concèdent une grande importance à l'apparence et choisissent «avec raffinement vêtements et accessoires»p.83.

Ils adorent la vie, le chant et la danse et sont passionnés par le folklore artistique. C'est pourquoi les séances de zajal et de dabkeh sont toujours organisées dans les villages et par les différentes communautés. Le zajal est une poésie libanaise «déclamée dans une langue simple, imagée, devant une bouteille d'arak et un panier garni de légumes, au rythme d'un petit tambourin appelé daff» p.288, est un art populaire traditionnel qui occupe une grande place dans les festivals et les réunions familiales. En effet, ces échanges verbaux suggèrent la beauté du pays et favorise la cohésion sociale. De même, la dabkeh est aussi très populaire. C'est une danse nationale «traditionnelle où filles et garçons, en arc de cercle, […] sautillent et martèlent le sol de leurs pieds au rythme du nay et du tambourin».p.288

Pour eux, parler couramment français est un atout et un privilège. En effet, le français est la langue de prestige surtout chez les chrétiens. Par exemple, à l'école des Jésuites les bons en français reçoivent «des prix d'excellence» tandis que «ceux qui éprouvaient du mal à s'exprimer dans

la langue de Molière se retrouvaient bons comme des pestiférés» p.105

De plus, Najjar a mis l'accent sur l'importance des wejbet dans la vie des libanais. En effet, ces derniers sont attachés aux devoirs moraux, ces règles imposées par la société. Par exemple, lorsque le père de Philippe est mort, sa femme «a noté les noms de ceux qui sont venus aux funérailles [pour aller à son tour] lorsqu'ils seront morts» p.223

Nonobstant cet esprit d'ouverture et cet amour de la vie, les libanais restent attachés à des idées désuètes et périmées comme le fait de «toucher au bois pour éloigner le mauvais œil» p.84. De même, ils considèrent que «Ham el banat lil mamat» et que la naissance d'un garçon est essentielle pour garder «la survivance de la lignée et la postérité du géniteur» p.103. Cependant, cette mentalité a changé et nous trouvons que de nos jours la femme commence à jouer un rôle primordial dans la politique. Les femmes de différentes communautés et de différentes classes sociales participent aux manifestations et revendiquent la liberté, l'unité et la paix : «[…] il y avait là des personnalités connues –épouses de ministres ou de députés–, des femmes de haute société, mais aussi des épouses de commerçants et d'artisans, unies par la même soif d'indépendance. […] En chemin, elles furent rejointes par un groupe de jeunes musulmanes […]» p.182.

Chez Asma Abdelkarim, nous trouvons qu'elle a, de même, parlé de la dabkeh, de l'hospitalité qui caractérise les libanais, du rôle de la femme et de la langue de Molière qui est «vénérée au Liban, [et] suscite le respect de l'interlocuteur». p.56

En ce qui concerne «la danse traditionnelle libanaise»p.218, elle a révélé que la dabkeh revêt un rôle crucial dans les fêtes. Cette danse populaire se transmet de génération en génération et constitue un symbole du patrimoine folklorique. Pratiquée le plus souvent dans les noces, les banquets et les fêtes occasionnelles, elle a de nombreuses variables régionales mais reste

le dénominateur commun culturel des libanais.

Comme Najjar, elle a montré que la femme est sur le devant de la scène dans les manifestations et elle a insisté sur ses droits sexuels. Elle considère que les femmes ont droit à une vie sexuelle sans risque, ni contrainte. Par exemple, Asma a décrit la scène d'amour avec son bien-aimé Maxime pour lutter contre l'idée enracinée dans les esprits des libanais et des orientaux, que la virginité est attachée à l'honneur de la famille. Avec ce jeune homme, elle a brisé tous les règles et les principes : «mes sempiternelles cogitations sur la virginité et sur la légitimité des relations sexuelles avant le mariage s'étaient évanouis sur l'autel du désir charnel […]»p.142.

La romancière a aussi démontré l'hospitalité des libanais en établissant une comparaison entre la mentalité des occidentaux et les Orientaux. Elle démontre l'hospitalité de son peuple face à l'individualisme des français. Elle estime que «la perception de l'hospitalité, de l'accueil et de l'échange est totalement différente entre les deux rives de la Méditerranée» p.207. Chez les libanais, il paraît «inconcevable de rendre vide une assiette qui […] a été offerte remplie ; tandis que les français sont convaincus que «l'un jouit du plaisir d'offrir, l'autre du plaisir de recevoir» p.207.

Asma déteste les français ; elle les accuse d'avoir ce sentiment de supériorité «nourri par les cours de géopolitique résumant la situation du Liban à l'incapacité des Libanais à se mettre d'accord et aux guerres fratricides […]» p.210.

En effet, Asma a justifié son choix de l'exemple français en expliquant que « les gens [qu'elle a eu] à croiser ou à fréquenter étaient de cette nationalité, majoritaire parmi les jeunes Européens et les jeunes Occidentaux qui séjournent à Beyrouth»p.210. Mais, cette haine est effectivement due à l'occupation militaire de la Tunisie par la France. Les relations entre ces

deux pays étaient marquées, durant la période coloniale, par la violence et le mépris.

Parallélismes et contrastes

Dans la partie précédente, nous avons étudié les différents thèmes culturels abordés dans les deux romans. Nous avons remarqué que les points communs sont plus nombreux que les points divergents et que ces deux œuvres se complètent pour donner aux lecteurs une vision globale du Liban vu de deux perspectives distinctes.

Nous allons commencer par les parallélismes existant entre les romans du corpus:

- **Plan linguistique**

Selon les deux écrivains, la langue française, introduite par le mandat français et répandue par l'école, est devenue l'une des grandes langues de communication au Liban et son emploi est alors un signe de prestige et un critère d'appartenance surtout à la religion chrétienne.

- **La dabkeh**

Les romanciers se mettent d'accord sur ce point : les libanais sont toujours prêts à faire la fête et que la dabkeh constitue un élément culturel collectif entre les différentes communautés.

- **L'hospitalité**

Notre pays est un pays d'accueil et le peuple libanais est dynamique, hospitalier et généreux. Cette terre est hospitalière aux hommes, aux idées et aux différentes cultures.

-**Le Liban multiconfessionnel**

Les deux romans constituent un témoignage de différentes confessions présentes sur la terre libanaise et qui cohabitent, selon les époques, en

plus ou moins entente.

- **Le mariage interreligieux**

Le mariage mixte génère beaucoup de tensions et de problèmes au sein des familles mais beaucoup de libanais décident de s'unir malgré les différences culturelles et confessionnelles et ils ne trouvent qu'un seul moyen d'aller se marier ailleurs. Mais de nos jours, la mentalité a changé, le mariage mixte est devenu plus recevable et le débat du mariage civil agite le Liban malgré l'opposition et le refus des chefs religieux. Dans Raconte-moi Beyrouth : la vigne et le lierre et Le roman de Beyrouth, ce sujet a été analysé à travers deux histoires d'amour.

- **La gastronomie**

La cuisine libanaise fascine par sa diversité et sa richesse les citoyens et les étrangers et elle a été de même mentionnée par les deux, mais elle a été plus développée avec Najjar.

- **La guerre civile**

Najjar et Abdelkarim se sont intéressés aux méfaits de la guerre civile et ont présenté le fanatisme religieux qui était la cause de son déclenchement. La société libanaise se noie dans cette dualité islamo-chrétienne et qui instaure ce clivage entre les libanais.

-**La peur de l'autre**

Cette peur de la différence due à l'ignorance de l'autre hante la société libanaise. L'islamophobie et la crainte d'installer un régime musulman au Liban ont été respectivement étudiées par Abdelkarim et Najjar.

Après avoir démontré les parallélismes, nous allons signaler les contrastes se trouvant entre les œuvres :

- **L'attitude envers les français**

Dans son roman, Najjar, scolarisé chez les Jésuites, cherche à révéler le rôle civilisateur de la France. En effet, la majorité des libanais considèrent la France comme «Notre mère tendre». De son côté, Adelkatim tend à exprimer son dédain envers les français et les accuse d'avoir «une attitude hautaine [et un] ton docte et arrogant [...]»p. 211.

- **Les alternances codiques**

Le recours au libanisme semble très rare chez Abdelkarim alors qu'il est fréquent et abondant chez Najjar. La langue arabe est bien présente en filigrane dans le texte de Najjar qui se nourrit de l'imaginaire arabe.

- **Les traditions culturelles**

Najjar s'est attaché à dévoiler les traditions de la culture chrétienne en insistant sur les fêtes, les rites etc., quant à Abdelkarim, elle a été influencée par la religion arabo-musulmane et spécifiquement par la communauté chiite. Achoura, le contrat de mariage temporaire etc., ont été abordés dans Raconte-moi Beyrouth : la vigne et le lierre.

- **Le cadre historique**

Asma fournit une documentation de la situation politique en s'intéressant précisément à la période au cours de laquelle il y a eu la série d'attentats visant les personnalités antisyriennes et à plusieurs reprises, elle a parlé de la haine des libanais envers les Syriens ; tandis que Najjar raconte l'histoire du Liban dès l'occupation ottomane jusqu'à la fin de la guerre civile, sans aucune allusion à cette hostilité contre la Syrie.

Conclusion

Le Liban se distingue par ses multiples facettes, façonnées par sa diversité religieuse et culturelle. Véritable carrefour de civilisations, il abrite une mosaïque de confessions qui coexistent, chacune enrichissant la société par

ses traditions, ses valeurs et son influence. Quant à sa richesse culturelle, elle s'exprime à travers son patrimoine, sa littérature et sa musique, oscillant entre modernité et traditions séculaires.

Cette diversité confère au Liban un caractère unique, où religion et culture occupent une place essentielle dans la construction de l'identité individuelle et collective, contribuant ainsi à la complexité et à la richesse de son paysage social.

Dans les deux romans «Raconte- moi Beyrouth : la vigne et le lierre» d'Asma Abdelkarim et «Le roman de Beyrouth» d'Alexandre Najjar, chaque écrivain a tenté de dépeindre son propre Liban, une vision influencée par sa religion, son expérience personnelle et son idéologie. Cependant, entre ces œuvres, existent plus de parallélismes que de contrastes et les écrivains, à travers des enjeux similaires, ont fourni une vision globale et exhaustive du Liban. En les lisant, le lecteur étranger apprend beaucoup de choses sur ce peuple qui se distingue par deux modes de vie et par deux cultures principales.

Bibliographie

1- ABDALLAH-PRETCEILLE M., PORCHER L., 1996, Education et communication interculturelle, Paris, PUF.

2- ABDELKARIM, A., 2015, Raconte-moi Beyrouth : La vigne et le lierre, Georama.

3- AMOR. S., 1994, «Document authentique ou texte littéraire en classe de français», Etudes de Linguistique Appliquée.

4- BOGDAN, R.C., &BIKLEN, S.K., 2006, Introduction to qualitative research methods (5e éd.). New York,NY: Wiley.

5- COLLES, L., 1994, Littérature comparée et reconnaissance culturelle, Boeck, D., Bruxelles.

6- JOUBERT, J-L, 2006. Petit guide des littératures francophones. Paris : Nathan.

7- MARINO, A., 1988, Comparatisme et théorie de la littérature. Paris : P.U.F.

8- NAJJAR, A., 2005, Le roman de Beyrouth, Editions Plon, Paris.

9- PIROU, J-P, 2003, Lexique de sciences économiques et sociales, (6eme éd.), Paris, Editions La Découverte.

10- POIRION, D.,«Écriture et ré-écriture au Moyen Âge», dans Écriture poétique et composition romanesque, Orléans, Paradigme, 1994, pp. 457-469.

مجلة ربع سنوية علمية محكمة

Ibn Mammati: His Life and His Book "Qawanin al-Dawawin"

(Died in 606 AH / 1209 CE)

ابن مماتي: حياته وكتابه «قوانين الدواوين»
(ت 606هـ/1209م)

Written by: Mohammad Majeed Hameed Bilal

Directorate General of Education in Al-Najaf Al-Ashraf

بقلم المدرس محمد بلال
المديرية العامة للتربية / في النجف الأشرف

mbusj140@gmail.com

Date of receipt: 4/ 2/2025 Date of acceptance: 17/3/2025 Date of publication: 25/3/2025

Abstract

Christian historians in Islamic Egypt were not interested in general history only, as did John al-Naqyusi and Said bin Tariq, or in the history of biographies and biographies, as did Sawiris bin al-Muqaffa in his book "The History of the Patriarchs of Alexandria". However, they excelled in another type of historical writing that is no less important than the previous two types, which is writing in systems, civilization and plans; They wrote about government systems, financial laws, management methods, agricultural affairs, and surveying engineering(1), as did Ibn Mammati in his book " Qawānīn al-Dawāwīn ". As for the plans(2) and the history of churches and monasteries, another historian known as Abu al-Makarem bin Gerges bin Masoud took care of them in his book "The History of the Churches and Monasteries of Egypt". These two books have their own importance in the study of Islamic systems and civilization, especially in Egypt during the transition period from Fatimid rule to Ayyubid rule, specifically during the twelfth century AD (sixth AH), as they are indispensable sources for the history of this period. In this study, the book "Laws of Divans" by Ibn Mammati is studied and demonstrated its importance as a source of Islamic history and the history of Egypt in this period. The research included three demands, dealing with the first requirement: his name, lineage and birth. In it, we studied his culture, the most important features of his personality, his writings, and the definition of the book "Laws of Divans". As for the second section, the approach of Ibn Mammati in the book "Laws of Divans" was studied analytically, while the third topic focused on the importance of the book "Laws of Divans" as a source of Islamic civilization and systems.

Keywords: Ibn Mammati , Egypt, ministry, historical method, divans, Islamic systems, ecclesiastical history.

المخلص

يُعَدُّ العصر الأيوبي من الفترات التي شهدت تطورات إدارية وتنظيمية كبيرة، وكان لعدد من الكُتّاب دور بارز في هذه النهضة، ومن بينهم القاضي الأسعد بن ممّاتي، الذي عُرف بكتابه «قوانين الدواوين»، والذي يُعدّ من أهم المصادر في دراسة الإدارة والمالية في الدولة الأيوبية.

ويعد الأسعد أبو المظفر إبراهيم بن علي بن ممّاتي، وُلد في القرن السادس الهجري ونشأ في بيئة ثقافية وإدارية، حيث كان والده يعمل كاتبًا في الدولة الفاطمية ثم الأيوبية.

وقد شغل ابن مماتي مناصب رفيعة في الدولة الأيوبية، حيث تولّى إدارة الدواوين المالية، وكان مسؤولًا عن تنظيم الموارد المالية للدولة، الأمر الذي جعله مطلعًا على أوضاع البلاد الإدارية والاقتصادية.

يُعدُّ كتاب «قوانين الدواوين» من أهم مؤلفات ابن ممّاتي، وهو كتاب إداري يُقدم صورة دقيقة عن النظام المالي والإداري في عصر الدولة الأيوبية. ويُعد هذا الكتاب مصدراً مهمًا لدراسة تطور الإدارة في مصر. ظل كتاب «قوانين الدواوين» مصدرًا أساسيًا للمؤرخين والباحثين في مجال الإدارة والاقتصاد في العصور الإسلامية، كما أثر ابن ممّاتي في تطوير نظم الدواوين، حيث استمر تأثيره في العصور اللاحقة، خاصة في الدولة المملوكية.

وتضمن البحث ثلاث مطالب، تناول المطلب الأول: أسمه ونسبه ومولده. ودرسنا فيه ثقافته واهم ملامح شخصيته ومؤلفاته والتعريف بكتاب «قوانين الدواوين. أما المطلب الثاني تناول منهج ابن مماتي في كتاب قوانين الدواوين دراسة تحليلية، فيحين ركز المطلب الثالث على أهمية كتاب «قوانين الدواوين» بوصفه مصدراً من مصادر الحضارة والنظم الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: ابن مماتي، مصر، الوزارة، المنهج التاريخي، الدواوين، النظم الإسلامية، التاريخ الكنيسي.

1. The Life of Ibn Mammati and " Qawānīn al-Dawāwīn "

1.1 The life of Ibn Mammati

He is the judge, Al-Asaad Abu Al-Makarim, Asaad bin Al-Khater, Abi Saeed Muhdhab bin Mina bin Zakariya bin Abi Qudamah bin Abi Malih Matati Al-Masry, the writer and poet[3]. Banu Mammati is an honorable Coptic family, originally from Asyut in Upper Egypt. She was a Christian. It belongs to Abi Al-Maleeh Mina bin Zakariya, who was called my death, but rather a title of my death, because - as narrated by Ibn Khalkan - there was a great price in Egypt, and Abu Malih was a lot of charity and feeding,

especially for Muslim children, so he was famous for it.[4] Yaqut mentions in (Muʿjam al-ʾAdabāʾ) the transfer of Bani Mammati from the city of Assiut to Egypt,[5] and he says, "They came to Egypt, served, advanced, and took over the states, and he (i.e. Abu al-Malih) with that is from the people of a house in ancient writing, and he is like the ruler of the Egyptian lands without a hand on his hand and to my death many works"[6].

When the caliph al-Mustansir Billah (427 - 487 AH / 1035 - 1094 AD) summoned Badr al-Jamali from Acre and the governors of the ministry in Egypt (466 - 487 AH / 1074 - 1094 AD), Abu Malih called him, worked at his service and wrote in the Diwan of Egypt[7]. Responsible for the Diwan", which is one of the higher administrative positions in the Fatimid state, and the owner of this position is one of the books of funds in the diwans, and his work is controlling the Diwan affiliated to him, and he was named because of his importance[8] as the "Qutb of the Diwan"[9]; because he used to control the daily work of the Diwan and monitor the employees, in addition to informing those in charge of the Diwan of what should be collected from the financial resources on the specified dates[10]. Abu Malih became "Mammati" entourage and followers, and the state's elders sat with him, and he spoke to writers, and poets praised him, and some of them stopped praising him in hope of his giving. And Abu Al-Salt mentions in his book " Alrisalat Almisria " that Abu Taher Ismail bin Muhammad Al-Nasha', known as Ibn Makanseh, stopped praising him:

What can I expect from life?

With this world's constant change and strife?

The Christians' disbelief after

My beloved father's death is a bitter aftertaste.

Neither the generous nor the miser Betrayed their faith.

Yaqut al-Hamawi deduces from the previous verses of Ibn Maknisah that it is possible that the Christians assassinated or killed Abu Malih [13].

It is narrated that when al-Afdal ibn Amir al-Juyush (487 - 515 AH / 1094 - 1121 AD) took over after his father, Ibn Mekneseh entered upon him praising him, and said to him "Your hope is gone with the death of Abi al-Malih, so what brought you to us, forbade him and did not accept his praise" (14). As for al-Muhadhdhab, the historian's father, and he was called al-Khateer, he took over after the death of his father (Abi al-Malih Matati) the army office in Egypt in the late days of the Fatimids and the first Ayyubid state. And the owner of the "Muʿjam al-ʾAdabāʾ" mentions that he found a book from the works of Al-Asaad bin Mammati (606 AH/1209 AD) written on the back was Al-Muhadhdhab, his father, known as Al-Khatir, was appointed to the Diwan Al-Iqat'a, and he is on the religion of Christianity (15).

When Emir Asad al-Din Shirkuh became vizier to the Caliph al-'Adid in 564 AH/1169 CE, he imposed strict measures on the Christians, ordering them to tighten their belts and raise their head coverings. The Patriarch wrote to him,(16) requesting that he either cancel this order or alleviate its severity, saying:

O Lion of Faith, and those who follow your path,

Why this cruelty, this violent wrath?

Preserve the Prophet's teachings, pure and true,

Why subject us to such pain and woe?(17)

Among them and removing the tyranny, Al-Khatir wrote to him asking him to cancel this matter or mitigate it, but Shirkuh did not respond to him, rather when he learned that Al-Khatir was carrying out his job and sitting in the court without change, he forbade him from that, and obligated him to be the Christians.(18) In order to preserve his position and avoid the restrictions placed upon non-Muslims, and to prevent his rivals from taking advantage of him under Shirkuh and Saladin, the Patriarch and his sons converted to Islam at the hands of Saladin himself. Shirkuh initially

accepted their conversion but eventually dismissed him from his position. (19) The Patriarch passed away on Wednesday, the sixth of Ramadan, 577 AH/1182 CE.(20) His son, al-As'ad Abu al-Makarim, a scribe, poet, and historian, succeeded him as the head of the military diwan.(21)

C. His Birth:

Most historians who documented the life of Asʿad ibn al-Muhadhdhab agree that he was born in Egypt in the year 544 AH / 1149 CE(22). This means that he spent the early part of his life during the transitional period from the Fatimid Caliphate to the Ayyubid dynasty. He witnessed the sweeping changes that took place in the government bureaus and observed the new rulers' perspectives on the identity of those who would lead the administrative offices of their state. This prompted him, along with his father, to adapt to the unfolding events. Together with his family, he publicly embraced Islam under the guidance of Saladin, enabling them to retain their positions in the government bureaus) 23.(

D. His Works:

Asʿad was renowned for his literary talent and his numerous works, most of which fall within the realm of literature (24). Al-ʿImād al-Iṣfahānī described him as "a man of virtue, a man of letters, a poet, and a prose writer... who cultivated literature and authored works in various fields" (25). Yāqūt al-Ḥamawī noted, "He produced many works aimed at imparting moral lessons, often presenting them through anecdotes and narratives directed at the elite. While these works were not scientifically profound, they resembled the writings of al-Thaʿālibī and his contemporaries" (26).

We now turn to the works of Ibn Mammātī that are relevant to history, the most important of which include:

Kitāb al-Fāshūsh fī Aḥkām Qarāqūsh (The Book of Nonsense on the Judgments of Qarāqūsh):

This work is a sharp literary portrayal of the administration of Qarāqūsh,

one of Saladin's ministers. ʿAbd al-Laṭīf Ḥamzah published this book as a standalone volume within the series "Kitāb al-Yawm" (Book of the Day) and later included it as part of his book Thalāth Shakhṣiyyāt fī al-Tārīkh (Three Personalities in History). This book features the biographies of three historical figures: ʿAbd Allāh ibn al-Muqaffaʿ, the author of Kalīlah wa-Dimnah; Saladin; and Bahāʾ al-Dīn Qarāqūsh) [27].(

Kitāb Sīrat Ṣalāḥ al-Dīn Yūsuf ibn Ayyūb (The Biography of Saladin) [28]:

According to accounts by Ibn Khallikān [29], Ibn Kathīr [30], and al-Maqrīzī [31], this work was composed in poetic form but has since been lost.

Kitāb Qawānīn al-Dawāwīn (The Laws of the Administrative Bureaus).

1.2 " Qawānīn al-Dawāwīn "

1.2.1 Introducing " Qawānīn al-Dawāwīn "

Al-Maqrīzī states in his Khiṭaṭ: "The book Qawānīn al-Dawāwīn (The Laws of the Administrative Bureaus) was authored by him (referring to Ibn Mammātī) for King al-ʿAzīz[32] (589–595 AH / 1193–1198 CE). It concerns the administrative bureaus of Egypt, their regulations, foundations, conditions, and the operations conducted within them. The work originally consisted of four substantial volumes, but only one volume, which was abridged by someone other than the author, has reached the hands of readers. In this volume, Ibn Mammātī listed four thousand estates in the regions of Egypt, detailing the area of each estate, its irrigation system, and its revenue from both cash and crops"[33]. Al-Maqrīzī's account in this regard is of great significance and reveals two key points:

The first point is that Ibn Mammātī authored the book Qawānīn al-Dawāwīn (The Laws of the Administrative Bureaus) for King al-ʿAzīz ʿImād al-Dīn.

The second point is that the version of the book currently in circulation is an abridged copy of the original work, which consisted of four large volumes. Unfortunately, this extensive original has been lost to time.

Now, we must ask: How accurate is al-Maqrīzī's account? Is the version of Qawānīn al-Dawāwīn available today truly an abridged copy of a much larger original, as al-Maqrīzī claims?

Some modern scholars have attempted to address this question, including Aziz Suryal Atiya in the introduction to his critical edition of the book. He presented several pieces of evidence supporting the validity of al-Maqrīzī's theory, such as:

The significant variations among the numerous manuscripts of Qawānīn al-Dawāwīn (The Laws of the Administrative Bureaus), as well as a comparison between the table of contents listed at the end of its introduction—which outlines fifteen chapters—and the ten chapters found in the main text, clearly indicate the omission of the final five chapters. This suggests that these five chapters were present in the original, more extensive version) 34.(

However, we believe that the most plausible explanation is that Ibn Mammātī authored two versions of Qawānīn al-Dawāwīn: a lengthy, comprehensive version written for King al-ʿAzīz, and an abridged version that is the one currently in circulation. This hypothesis can be supported by the following evidence:

1. This procedure or system was widely followed in this period (the medieval period). Historians often write a huge book consisting of several volumes, and then write a summary of it, and sometimes several abbreviations.(35)
2. Ibn Mammati may have written the lengthy version of the Dear King. Still, he found in it some valuable information that the author saw as one of the secrets of the Diwan that should not be made available to the general public, so he omitted it from the abbreviated version circulating among the people.
3. What also indicates the validity of this possibility is that the third chapter is concerned with the affairs of the state and its regions, cities and villages, which were financial units in the Ayyubid era and which appeared in the

circulating copies, but it also included the country's cross-country and its area.(36) However, dropping this information and being satisfied with the names of the different financial units only; was a must, in the words of the author himself; because it is one of the secrets of the Court that may not be disclosed to the general public.(37)

In any case, the book, despite its brevity and its lack of detail in reviewing the issues in every detail, bears many of the characteristics that characterize the type of divan and compositional writings that appeared in the Islamic Middle Ages.(38)

1.2.2 Subjects of " Qawānīn al-Dawāwīn "

Ibn Mammati organized the material of his book in an introduction and fifteen chapters, of which the first ten chapters reached us. He made the introduction to clarify his purpose in writing the book and to review the topics that he will address in it(39). In the first chapter,(40) he talked about the virtue of writing and the book, and what came in that of the Qur'anic verses, the hadiths of the Prophet, and the narrated news, then he mentioned who was writing for the prophets, peace be upon them, then he mentioned some of the writers of the caliphs and scholars of Islam, and at the end of the chapter Ibn Matati spoke about the duties of the book and their rights, so he mentioned the most important moral and ethical characteristics and the technical skills that the writer must possess, then he mentioned the most important rights and privileges that they deserve to have from honoring and respecting them and not accepting slander about them and expanding their livelihoods, accepting their testimony, and other things.

In the second chapter,(41) he talked about the geography of Egypt, and in which region it is from the globe, its length, width, borders, and characteristics, and the reason for calling it Egypt, and what was mentioned in the mention of its virtues in the dear book and the noble hadith, then he mentioned its Nile, its beginning, its end and its length, and what is unique

to it about the earth's rivers, and the beginning of its increase And the time of its lack, and what the prophetic reports testified to from his bounty, and the first one who measured it, and what the situation settled on in its criterion, then he mentioned the conquest of Egypt, and who conquered it, and how it was conquered: by peace or force, and the reason for the difference of historians in that, and finally he mentioned the news of Egypt and its wonders and what is unique. It distinguishes it from other cities and monuments such as the city of Alexandria, Fayoum, Al-Manara, Jabal Al-Tur, and Jabal Al-Maqtaa.

In the third chapter,(42) he mentioned the totality of the works of Egypt, the details of its aspects, and the investigation of the names of its villages, deserts, and islands. As for the fourth chapter,(43) Ibn Mattati made it to mention the provisions of the land, the disparity in its value, the disparity of the issues of its conditions, and what has been agreed upon of its names, and the identification of its good from its dryness. In the fifth chapter,(44) in which Ibn Mamatti returns to the mention of Egypt, mentioning its gulfs, canals, bridges, the times of their dam, the times of their opening, the difference between the municipal and sultanate bridges, and the estimate of what is spent on them. In the sixth chapter,(45) he talks about Egypt's agricultural affairs. He mentions the Coptic months and what corresponds to them in terms of Syriac, the types of crops that are sown each month, the times of planting and harvesting them, the amount needed by an acre of these crops, and the amount of tax per acre. The seventh chapter(46) is devoted to talking about the origins of land area and some related engineering issues.

He talks about space and its provisions, and establishes evidence of the corruption of the term on it, and mentions the just space and the way to know it, then he talks about some geometric shapes such as: squares, triangles, rounds, and arcs, and how to extract the area of these shapes, as he talks about the area of the sphere, cone and other geometric shapes In a scientific way that indicates that Ibn Matati was master of this science,

and also indicates that this science was very advanced among the Arabs at that time.

In the eighth chapter[47], the author addresses numerous issues related to the governance systems during the Ayyubid era. He examines the key functions of the state and explains the responsibilities of each, particularly focusing on the administrative officials, known as the "holders of the pens." These include: the overseer (al-nāẓir), the head of the bureau (mutawallī al-dīwān), the auditor (al-mustawfī), the appointee (al-muʿayyan), the copyist (al-nāsikh), the supervisor (al-mushārif), the agent (al-ʿāmil), the scribe (al-kātib), the treasurer (al-jahbadh), the witness (al-shāhid), the deputy (al-nāʾib), the trustee (al-amīn), the surveyor (al-masāḥ), the guide (al-dalīl), the storekeeper (al-khāzin), and the collector (al-ḥāshir). Ibn Mammātī meticulously clarifies the duties required for each of these roles.

In the ninth chapter[48], Ibn Mammātī continues his discussion on the governance systems of the Ayyubid period. He elaborates on some of the administrative bureaus, government institutions, and the state's financial resources, such as zakat (almsgiving), jizya (poll tax), inheritance, khums (one-fifth tax),[49] and trade revenues (mutajar)[50]. As for government institutions, Ibn Mammātī mentions several, including: the Dār al-Ṭirāz (the textile workshop), Dār al-Ḍarb (the mint), Dār al-ʿIyār (the assay office), and the Ḥabs al-Juyūshī (the military prison)[51].

In the tenth and final chapter[52], Ibn Mammātī discusses "the solar year and the lunar year, related matters, conventional practices, and what has been determined by weight and measure according to customary practices"[53].

2. " Qawānīn al-Dawāwīn " as a Source of Islamic Civilization and Systems

The value of the book " Qawānīn al-Dawāwīn " is not limited to the author's erudition, abundance of knowledge and sharpness of mind, but also due to his special position in Egyptian society and his lofty position in the government of the country. What he writes has a special character that makes it an official document issued by the pen of one of the state

ministers and officials. Aziz Sorial Attia says in the introduction to his review of the book "the book, despite its relatively small size is full of various researches and topics, and since it was written of Coptic origin, it was able to gather, in addition to Muslim jurisprudence, the knowledge of the Copts in the various issues that they specialized in and no other sects of the nation". Egyptian and its layers, for example what came in Chapter VII on the origins of land area and some engineering issues that we can prove today with the latest scientific methods(54).

Ibn Mammati was able to give us important information about most of the country's agricultural affairs in the Ayyubid era. It is worth noting - and before we go into the details of this point - what we notice of the lack of what was included in the various historical sources about the activity of agriculture and irrigation systems and those in charge of them. In fact, this is a phenomenon that we often find in our study of Islamic history. This is because the historical sources are often concerned with the political aspects, and ignore many of the cultural aspects, but often do not refer to them except for small references, hence the importance of the book " Qawānīn al-Dawāwīn " lies in the fact that his author was able to describe to us most of what is related to agriculture and irrigation systems in Ayyubid Egypt, as well as he was able to explain to us many features of the financial system, and the most important financial resources of Egypt in that era, in addition to clarifying the standards and criteria for assuming office positions, those standards and criteria that are considered One of the important cultural aspects in the book. When someone reads Ibn Mattati finds important information about the different types of lands, and that the agricultural lands of Egypt were of different types and multi-varieties.

Some of which were distinguished by quality, and some of them had weak productive capacity, and some of them were suitable for growing one crop without another, and some of them needed the least effort in plowing and watering it. Some of them require the greatest possible effort for cultivation and irrigation(55). Our historian also elaborated on the types of agricultural

crops that were grown in Egypt during this period, explaining the difference between their winter and summer seasons, the time of their cultivation, the amount needed for each acre of them, the time of their harvest, an estimate of what is usually obtained, and the amount of their tax. If we review, for example, the agricultural crops mentioned by Ibn Mammati , we find that among the most important crops that were grown in Egypt during this period were: wheat, barley, cotton, flax, beans, chickpeas, lentils, garlic, lupine, sesame, sugar cane, taro, lettuce, and onions, and eggplant(56). Other crops are less important. Ibn Mammati also throws light on the types of orchards, the times of their cultivation, the times of pruning their trees, the times of their irrigation, the time of harvesting each type of fruit, the needs of each acre of workers, horses, cows (for plowing), fodder, and other subtle and important details about the orchards that were grown in that. Time such as daffodils, roses, jasmine, and basil, as well as the most important fruits that were included in these orchards: berries, apples, figs, almonds, peaches, apricots, and bananas(57). Ibn Mammati also gives us a clear picture of the irrigation network in Egypt at that time, including canals, bays, and bridges, and the times of their dams and the times of their opening.(58) Ibn Mammati distinguishes between two types of bridges: the main or governmental bridges. Ibn Mammati calls them: “Sultan Bridges”, which are bridges of general benefit in preserving the waters of the Nile over the whole country. It is decided against them in exchange for what they have from the lands(59).

Ibn Mammati indicates that these bridges are more like the city wall, which the government must take care of its architecture, and the sufficiency of the parish. As for the second type of bridges, they are the local bridges that are specific to one district and not the other, and the recipients of the lands and the farmers undertake their work out of the money of this district and its place is the place of the houses inside the wall, and then the owner of each house is obligated to repair it and remove its damage.

Given the importance of the Nile for the cultivation of Egyptian lands, the

Arabs, from their early years in Egypt, paid close attention to the Nile gauges to determine the increase and decrease in its water levels. This was crucial due to its significant impact on irrigation and agriculture, as well as its connection to the collection of taxes such as the kharaj and other levies. Ibn Mammati provides us with important information about the Nile gauges, noting that Egypt had known them since ancient times, and that the various governments that ruled Egypt over the centuries showed great care for these gauges. The Arabs did not merely rely on the existing Nile gauges they found upon their conquest of Egypt but sought to establish new ones. The first governor of Egypt, Amr ibn al-As, built a gauge in Aswan and another in Helwan.(60) During the caliphate of Muawiyah ibn Abi Sufyan, another gauge was erected in Ansina,(61) and measurements continued to be taken there until the governorship of Abdul Aziz ibn Marwan, who built the suburb of Helwan and established a new gauge there. During the reign of Caliph Sulaiman ibn Abdul Malik, Usama ibn Zaid, the tax governor, constructed a gauge on the island of Roda in the year 97 AH/716 AD. The Egyptians relied on this last gauge to measure the Nile's rise until the time of the Abbasid Caliph Al-Mutawakkil, who built a new gauge on the island in the year 247 AH/861 AD. When it was completed, Christians were initially responsible for its operation, but Caliph Al-Mutawakkil sent a decree to the governor of Egypt to replace the Copts with Muslims in managing the Nile gauges.(62)

And since the farmers in Egypt, since the era of the Pharaohs, have been cultivating the land and harvesting the crops on the basis of the ancient Egyptian months, which is what was known as the "Coptic famous"; Ibn Mammati was keen to mention these months and compare them with the Syriac and Persian months, not only that, but he was interested in mentioning the number of hours of day and night in each month and the most important crops that are cultivated in it, in addition to the important holidays and social events that are associated with each day in it, and finally he was keen to mention some information astronomical associated

with each of the months; For example, we find him saying about the first of these months, which is the month of "Tut".(63)

It is the first of the Coptic months, and it is September in the Rumi language, and in the Persian Khordadamah, its number of days is thirty days, its day is twelve hours, and its end is twelve hours and a third, and its night is twelve hours in its beginning, and its end is eleven hours." an hour and a half."(64) As for the most important crops that are grown in it, Ibn Mammati mentions: "On the thirteenth of it, the grape cluster is softened and left until it becomes raisins, and on the fifteenth of it, peaches, pomegranates, olives, quince, and dates are seasoned. As for the social events and holidays associated with this month, he mentions "On the fourth day of it, Moses, peace be upon him, fasted, on the fifth was the birth of Mary, peace be upon her, and on the fourteenth of it was the Feast of the Cross".(65) This is how Ibn Mammati was able to describe to us almost everything related to the agricultural affairs of the country. He mentioned the different types of land, agricultural seasons, irrigation systems, types of crops, times of planting and harvesting, orchards and times of pruning trees, the basics of surveying, the injustice and oppression of surveyors, and other information in various chapters whose contents guide us to the state of agriculture and its organization at that time with an accuracy that calls for Admiration for the author's abundant knowledge, as it shows us the progress of agriculture in that era to an extent beyond what many imagine.

One of the researchers says: "We have presented some parts of the text (meaning Ibn Mammati 's book) to a number of senior specialists in the art of agriculture, so we understood from their observations that many of the foundations of agriculture in that era agree with what modern research has reached in this aspect in which we lack historical material")66.(The book "Qawānīn al-Dawāwīn" is also considered among the important and basic sources for the researcher in the features of the financial system in the Ayyubid era. Among the most important of these features that Ibn

Mammati was interested in clarifying: What he mentioned about how the Divan is to spend money on the Divan to compensate for what was spent on projects for building agricultural bridges.[67] The book also gives us important information about Egypt's financial resources, and among the most important resources mentioned by Ibn Mammati : Zakat, inheritances, guarded frontiers, Jawali,[68] and army confinement, and others. Zakat is obligatory on him, and it is not valid until he intends it to be the zakat of his money.

If it is obligatory upon him and he is able to take it out, it is not permissible for him to delay it. I took from his estate, and if he had a debt, then there are three sayings: he presents the zakat, or presents the debt, or divides them between them.[69] The historian also elaborates on the types of zakat, where he divided it into three types: money, livestock, and plants. He divided the zakat of money into three parts: gold, paper, and merchandise. He divided the zakat of livestock into three categories – also camels, cows, and sheep. He divided the zakat of plants into two parts: the zakat of what is eaten (meaning what is eaten from grains) such as barley, rice, wheat, corn, chickpeas, beans, lentils, and the like; and zakat on fruits, such as: palm trees and vineyards[70]. Ibn Matati was also concerned with clarifying the eight zakat expenditures. They are: the poor, the needy, those who work on it, those whose hearts are to be reconciled, and in the necks, and debtors, and for the sake of God, and the wayfarer.[71] Among the mechanistic resources in which Ibn Matati was keen to elaborate on the issue of inheritance; He mentioned who inherits from men, and who inherits from women, and who does not inherit and who does not inherit, and those with impositions, and agnates, and other matters related to this science.[72]

The book "Qawānīn al-Dawāwīn" is also considered among the important and basic sources for the researcher on the topic of hisba[73] in Islamic Egypt, especially in the Ayyubid era. Ibn Mammati talked about some topics related to the hisba, such as Dar al-Darb, Dar al-Ayyar, its specializations,

resources, and its relationship to the work of the muhtasib. For example, he talks about the specializations of Dar Al-Ayyar and its relationship to the work of the Hisbah at that time, and he says "This house takes care of the subjects in their scales, their weights, and their measures. And whoever came to them and wanted to buy something from them, they sold it to him and the current custom was that he would lend it to the owners of the scales, so whoever found an extra or incomplete tongue, they consumed it and sold him something else, so that was invalidated and whoever needed to fix his tongue became brought and freed... and changed it and added to it What he needed, and he renewed its seal without a fine on it, except for the rent, nothing else and they could not weigh anyone with stones or stones...".(74)

Thus, Ibn Mammati , through the aforementioned text, illustrates to us that during the Ayyubid era, the Muhtasib (market inspector) and the institution of Hisba (public accountability) had a dedicated facility known as the Dar al-'Iyar (House of Calibration). One of the primary functions of this facility was to calibrate scales and all types of weights. The Muhtasib or his deputy would attend this facility to oversee the calibration process in their presence. If the calibration was accurate, it was approved; otherwise, the work was ordered to be redone until it met the required standards. This facility housed reference models used for calibration, ensuring that no weights, scales, or measuring containers could be sold without being verified there. All merchants were summoned by the Muhtasib to bring their scales, weights, and measuring containers to this facility for calibration. If any deficiencies were found, the faulty items were confiscated, and the merchant was required to purchase a replacement from the approved stock available at the facility and pay its price. Additionally, the historian explains that the expenses of this facility, including the necessary materials such as copper, iron, wood, glass, and other tools, as well as the wages of craftsmen and workers, were covered by the royal treasury (Diwan Sultanic).

Ibn Mammati also provides us in his book with significant information about Islamic-Arabic coinage and the study of numismatics during the Ayyubid era. For instance, he discusses dinars, their minting process, weights, and the operational system of the mint (Dar al-Darb). He states: "The process there is uniform. The gold brought to the mint, which varies in quality, is melted until it becomes a flowing liquid and is then cast into ingots. The edges of these ingots are trimmed, all under the direct supervision of the deputy. From the total amount, four mithqals are taken, and to this, four mithqals of freshly melted gold from the mint are added. Each of these is then crafted into four coins. The eight coins are placed in a ceramic vessel after their weight is verified, and the furnace is heated for the duration of a night. The coins are then removed, polished, and calibrated against the standard. If they match the standard weight, the deputy approves them, and dinars are minted. If they fall short, the process is repeated until the weight matches the standard."(75)

Ibn Mammati does not overlook mentioning the wages of the workers in the mint. He notes: "The fee for minting every thousand dinars at the Cairo mint is thirty dinars. From this amount, three dinars are allocated as wages for the mint workers. Up until the end of the year 586 AH (1190 CE), the fee was thirty-four and two-thirds dinars."(76)

He also speaks about the importance of this mint (al-Darb), stating: "Some critics may suspect that the prominence of this institution is questionable, but this is not the case. Given the urgent need to regulate the currency used by the people to safeguard their wealth and to ensure their interests, it became essential that this matter remain under the Sultan's oversight. Without such supervision, issues could arise whose dangers would be irreparable and whose harm would be irreversible. This necessity compelled the appointment of officials dedicated to this task and the summoning of skilled craftsmen to carry out the work."(77)

He also discusses silver dirhams, their minting process, the wages of the

workers involved, and their weights, stating: “For silver, three hundred dirhams are taken and added to seven hundred dirhams of copper. This mixture is melted until it becomes a single liquid, which is then cast into ingots. The edges of these ingots are trimmed, and fifteen dirhams are melted. If four and a half dirhams are obtained from every ten dirhams, the process is complete; otherwise, it is repeated until the correct standard is achieved, after which the coins are stamped. The fee for minting every thousand dirhams is fourteen and a half dirhams, and all fees and expenses are covered by the funds provided by the suppliers.”(78)

One of the significant aspects that sets Ibn Mammati apart in his book is his detailed depiction of the hierarchical structure of the administrative officials (Diwan) in the Ayyubid state. At the top of this hierarchy sits the Nazir (i.e., the overseer of the Diwan),(79) followed by the Mutawalli al-Diwan (the administrator of the Diwan),(80) then the Mustawfi (accountant), the Mu’ayyin (appointee),(81) the Nassakh (scribe),(82) and the Musharif (supervisor).(83)

In the latter parts of his book, Ibn Mammati also delves into numerous fascinating topics concerning various government departments (Diwanat), the roles of different state institutions, the financial resources of the state,(84) and other matters that shed light on many aspects of governance during the Ayyubid era. These discussions provide valuable insights into the administrative and fiscal systems of the time, illustrating how the Ayyubid state was organized and managed.

3. Conclusion

Despite the criticism directed at some of Ibn Mammati ‘s narrations, and despite the fact that the book consists of brief tables and very short and focused news; The history of Ibn Mammati remains important among the sources of Islamic history, and this importance is summarized in the following aspects:

1. That the book showed the extent of Ibn Mammati's ability, ingenuity, and wide knowledge of the sequence of events of his era and the mention of the Ayyubid caliphs. The importance of the history of Ibn Mammati appears in the comparisons he made between the different histories, where he showed great ingenuity and accuracy in mentioning the different dates for each news or incident of the history he mentioned and comparing them with other histories.
2. Ibn Mammati mentioned the phrase (laws of divans) without specifying what is meant by it, and what do these laws mean? It is known that the Qawānīn al-Dawāwīn mean: everything related to the systems of these divans, their fees, conditions, origins, and what is going on in them.
3. Whoever reviews the motives and purposes for which the historian classified the book finds them insufficient. The historian did not mention the extent of the benefit that will accrue to the general public from reading the book, especially if we know that among its topics are more specific to the general public than the Book of Divans, such as: topics that talk about the country's agricultural affairs, the different types of lands, and the agricultural seasons.
4. Ibn Mammati showed that he had the ability to make a comparison between some disparate matters to clarify the difference between them, such as: his comparison between the royal bridges and the municipal bridges, as he mentions that the royal bridges are of general benefit in preserving the Nile water over the whole country.
5. Ibn Mammati also demonstrated his superior ability to explain and clarify the various terms, especially those related to lands. We find it, for example, explaining the provisions of these lands and showing the variation in their value and the variation in the issues of their conditions, and the conventions of their names.
6. Ibn Mammati proved his ability to give good reasoning, express his opinion, and give preference to one opinion over another, especially in

issues and historical events related to the news of Egypt and the events of its conquest. His monetary path has diversified.

7. The importance of Ibn Mammati 's history appears in clarifying the social, religious and political conditions of the dhimmis under Islamic rule and the policy of the Muslim caliphs towards them, and the extent to which they enjoyed religious freedom and social equality under the Islamic state.

Footnotes

1. This type of historical composition emerged relatively late. It seems that after the Fatimid dynasty weakened and eventually collapsed in the mid-sixth century AH, followed by the European era and its rulers who were new to governance, there arose a need for experts in financial laws and administrative guidance to assist the new rulers. As a result, two sets of works emerged: one dealing with financial matters, such as Al-Minhaj fi Ahkam al-Kharaj (The Method in the Rulings of Kharaj) and Risalah fi Mal Misr (Treatise on the Finances of Egypt), both by al-Makhzumi; and another set dealing with geographical descriptions, such as Izhhar Sana'at al-Hayy al-Qayyum fi Wasf al-Ghayum (Manifestation of the Craft of the Ever-Living in the Description of Clouds) and Hasan al-Sirah fi Wasf al-Jazirah (The Noble Biography in the Description of the Island), both by al-Nabulusi, who died in 660 AH/1262 CE. See: Shaker Mustafa, Al-Tarikh al-Arabi wa al-Mu'arkhun (Arabic History and Historians), 2/176.

2. Khatt refers to the plans, maps, and descriptions of the urban layout of Egypt, particularly Cairo, tracing its development from the initial establishment of Al-Fustat and Al-Askar, through the Tulunid qata'a, and culminating in the Fatimid-era Cairo. These texts documented the city's evolution, including its construction, destruction, and reconstruction. This genre of historical writing, which reached its zenith with al-Maqrizi's Al-Mawāʿiẓ wa al-Iʿtibar fī ḏikr al-khiṭaṭ wa al-āṯār (The Lessons and Considerations

Regarding the Mention of Plans and Monuments), began in earnest with al-Kindi in 350 AH/961 CE, followed by al-Qudda'i in 455 AH/1063 CE. See: Muhammad 'Abd Allah 'Anan, Misr al-Islamiyya wa Tarikh al-Khitat al-Misriyya (Islamic Egypt and the History of Egyptian Plans), Al-Khanji Bookstore, Cairo, 1969, p. 38 and following; Shaker Mustafa, ibid., 2/173.

3. Ibn Khallikan, Wafayat al-A'yan wa Anba' al-Abna' al-Zaman, edited by Ihsan Abbas, Dar al-Thaqafa Press, Beirut, 1968, 1/210.

4. Ibn Khallikan, ibid., 1/213.

5. By "Egypt" here, we mean "Old Cairo" or "al-Fustat," the original capital.

6. Yaqut al-Hamawi, Mu'jam al-Udaba', Dar al-Mushriq Press, Beirut (n.d.), 6/103-104.

7. Al-Maqrizi, Al-Mawāʿiẓ wa al-Iʿtibar bī ḏikr al-khiṭaṭ wa al-āṯār, vol. 2, p. 160.

8. Yaqut al-Hamawi, op. cit., 6/104.

9. Al-Maqrizi, Al-Khitat, vol. 2, p. 160; Ibn al-Sa'i al-Baghdadi, Al-Jami' al-Mukhtasar fi 'Unwan al-Tawarikh wa 'Uyun al-Sir, edited by Mustafa Jawad, Baghdad, 1934, vol. 6, p. 302.

10. Al-Qalqashandi, Subh al-A'sha, vol. 5, p. 466.

11. Ibn Manzur, Lisān al-'Arab, root "n-k-s", section on the letter sīn under the bāb of nūn, vol. 6, p. 242.

12. Abu al-Salt, Al-Risalah al-Misriyya, in Nawadir al-Makhṭūṭāt, edited by 'Abd al-Salām Hārūn, 2nd ed., Cairo, 1972, p. 43.

13. Yaqūt al-Hamawi, Mu'jam al-Udabā', vol. 6, p. 108.

14. Yaqūt al-Hamawi, op. cit., vol. 6, pp. 108.

15. Yaqūt al-Hamawi, op. cit., vol. 6, pp. 108-109.

16. Al-Dhawāba: al-ḍāʾira, or what they call "al-'adhba".

17. Al-Maqrizi, Al-Khitat, vol. 2, p. 161.

18. Yaqūt, Mu'jam al-Udabā', vol. 6, p. 109.

19. Yaqūt, Mu'jam al-Udabā', vol. 6, p. 108. Although al-Maqrizi mentions that Shirkuh approved al-Muhdhib's diwan until his death. See: al-Maqrizi, Al-Khitat, vol. 2, p. 161.

20. Ibn Khallikan, Wafayat al-A'yan, vol. 1, p. 113.

21. Yaqūt, op. cit., vol. 6, p. 109.

22. Al-Maqrizi, op. cit., vol. 2, p. 160; Yaqūt, op. cit., vol. 6, p. 109.

23. 'Aziz Sūrīyal 'Aṭiyya, Introduction to the edition of Ibn Mammati 's Qawānīn al-Dawāwīn, photographic reprint of the Royal Agricultural Society edition, Cairo, 1991, p. 27.

24. See: Louis Cheikho, Shu'arā' al-Nasrānīya ba'd al-Islām, 4th ed., Dar al-Mashriq, Beirut, 1991, translation no. (35), p. 351.

25. Al-'Imād al-Aṣbahānī, Khrīdat al-Qaṣr wa Jarīdat al-'Aṣr, edited by Ahmad Amin and Shuqri Ḍīf, section on Egypt, Cairo, 1951, p. 52.

26. Yaqūt, Mu'jam al-Udabā', vol. 6, p. 117.

27. See: 'Abd al-Latif Ḥamza, Thalāth shakhṣiyāt fī al-tārīkh, p. 372 and following.

28. Yaqūt, Mu'jam al-Udabā', vol. 6, p. 117.

29. Ibn Khallikan, Wafayat al-A'yan, vol. 1, p. 210.

30. Ibn Kathir, Al-Bidāya wa al-Nihāya, vol. 13, p. 53.

31. Al-Maqrizi, Al-Khitat, vol. 2, pp. 160-161.

32. He is al-'Aziz 'Imād al-Dīn 'Uthmān, son of the Sultan al-Nāsir Salah al-Dīn Yūsuf ibn Ayyūb. See: Ibn Athīr, Al-Kāmil fī al-tārīkh, Dār Sādir, Beirut, 1982, vol. 12, pp. 140-142.

33. Al-Maqrizi, Al-Khitat, vol. 2, p. 160.

34. ‘Aziz Sūrīyal ‘Aṭiyya, Qawānīn al-Dawāwīn by Ibn Mammati (Introduction to the edition), pp. 28-29.

35. Shākir Mustafā, Al-Tārīkh al-‘Arabī wa al-Mūrikhūn, vol. 2, pp. 189-190.

36. That is, its kharāj. It is said, “‘abir” through goods and dirhams by means of it: organize how much is its weight and what it is, and your consideration of the dirhams is your extraction of them. Lisān al-‘Arab, root “‘abr”.

37. Ibn Mammati , Qawānīn al-Dawāwīn, p. 55.

38. ‘Aziz Sūrīyal ‘Aṭiyya, Qawānīn al-Dawāwīn by Ibn Mammati (Introduction to the edition), p. 7.

39. This introduction spans ten pages of the book (from page 51 to page 60.

40. This chapter extends over nine pages of the book “Qawānīn al-Dawāwīn” (from page 61 to page 69).

41. This chapter occupies fourteen pages of the book (from page 70 to page 83).

42. “This chapter is the largest in the book, spanning 116 pages (from page 84 to page 200).

43. It is the smallest chapter in the book, comprising only four pages (from page 201 to page 204).

44. This chapter extends over twenty-nine pages (from page 205 to page 233).

45. This chapter occupies forty-three pages (from page 234 to page 278).

46. This chapter spans eighteen pages (from page 279 to page 296).

47. This chapter extends over ten pages of the book “Qawānīn al-Dawāwīn” (from page 297 to page 306).

48. This chapter occupies forty-nine pages (from page 307 to page 357).

49. These are taxes paid by Roman merchants entering Egyptian ports – such as Alexandria, Damietta, Tinnis, ʻAyḏāb, and Rashid – in accordance with the agreements they have made. See: Ibn Mammati , Qawānīn al-Dawāwīn, p. 326.

50. It refers to goods purchased for the treasury from these incoming merchants. See: Ibn Mammati , op. cit., p. 327.

51. This refers to certain properties that were confiscated by the military commander Badr al-Jamālī (466-487 H./1074-1094 CE) from ʻAqaba when he was the vizier of Egypt. However, jurists later ruled that the confiscation was invalid, and so the proceeds were transferred to the public treasury and spent on the interests of Muslims. See: Ibn Mammati , op. cit., pp. 336-339.

52. This chapter spans approximately ten pages of the book (from page 358 to page 370).

53. Ibn Mammati , op. cit., p. 358.

54. Aziz Sūrīyal ʻAṭiyya, Qawānīn al-Dawāwīn by Ibn Mammati (Introduction to the edition), pp. 6-7.

55. Ibn Mammati , Qawānīn al-Dawāwīn, pp. 201-204.

56. Ibn Mammati , op. cit., pp. 258-270.

57. Ibn Mammati , op. cit., pp. 271-278.

58. Ibn Mammati , op. cit., pp. 201-231.

59. Ibn Mammati , Qawānīn al-Dawāwīn, pp. 232-233.

60. Al-Suyūṭī, Ḥasan al-Muḥāḍara, vol. 2, p. 375.

61. It is an ancient town that has disappeared, and its location today is the ruins situated in the basin of the city of Nalsha (a corruption of Ansna) in the lands of the district of Sheikh ʻAbbāda, located east of the Nile in the city of Asyūṭ. See: Ibn Mammati , Qawānīn al-Dawāwīn, p. 232.

62. Ibn Mammati , op. cit., pp. 74–76.

63. Ibn Mammati , Qawānīn al–Dawāwīn, p. 235, footnote 1.

64. Ibn Mammati , op. cit., same page.

65. Ibn Mammati , op. cit., same page.

66. ‘Aziz Sūrīyal ‘Aṭiyya, Qawānīn al–Dawāwīn by Ibn Mammati (Introduction to the edition), p. 6.

67. Ibn Mammati , op. cit., p. 233.

68. Jāwālī: This refers to the poll tax collected from the People of the Book (adult free men, excluding women, children, monks, slaves, the insane, and the infirm) annually as a fixed amount on their heads. This tax is divided into two categories: that collected in the Egyptian capital, such as al–Qusṭaṭ and Cairo, and that collected outside the capital. As for the capital, there is an overseer appointed by the sultan to manage it. As for the rest of Egypt, the poll tax collected from the People of the Book in each city is given to the governor or other official in charge of that region, and it is treated as revenue of that fief. If, however, that city is registered in one of the sultan’s official registries, then the poll tax collected from the People of the Book in that city is recorded in that registry. The term “jāwālī” can also refer to the People of the Book themselves. It is said that this term was applied to them because ‘Umar ibn al–Khaṭṭāb expelled them from the Arabian Peninsula. However, this term was then applied to any People of the Book who were subject to the poll tax, even if they were not expelled from their homelands. See: al–Qalqashandī, Subḥ al–a‘shā, vol. 3, pp. 462-463; Ibn Mammati , QawānIn al-DawāwIn, pp. 317-319.

69. Ibn Mammati , Qawānīn al–Dawāwīn, pp. 308–309.

70. Ibn Mammati , op. cit., pp. 310–313.

71. Ibn Mammati , op. cit., pp. 314–315.

72. Ibn Mammati , Qawānīn al–Dawāwīn, pp. 319–325.

73. In Arabic, hisba is derived from the root ḥasaba, meaning to calculate or reckon. It is said of someone, "He acted with hisba in the matter," meaning he acted with good judgment and consideration. See: Ibn Manẓūr, Lisān al-'Arab, root ḥasaba. In Islamic law, hisba is a religious duty based on enjoining what is right and forbidding what is wrong. For more on hisba and its nature, see: al-Māwardī, al-Aḥkām al-sulṭāniyya, p. 207 and following.

74. Ibn Mammati , op. cit., pp. 333-334.

75. Ibn Mammati , Qawānīn al-Dawāwīn, pp. 331-337.

76. Ibn Mammati , op. cit., p. 332.

77. Ibn Mammati , op. cit., p. 332.

78. Ibn Mammati , op. cit., p. 333.

79. The nāẓir al-dīwān is the individual who oversees the finances, executes financial transactions, and to whom financial accounts are submitted for review and consideration. He approves or rejects expenditures. The term is derived either from the word naẓar meaning 'sight' or 'vision', as he directs his attention to the matters under his purview, or from naẓar meaning 'consideration' or 'thought', as he contemplates the best course of action. The specific duties of the nāẓir vary depending on the context. However, as the name implies, he is the primary and responsible official for all matters pertaining to the diwan. See: Ibn Mammati , Qawānīn al-Dawāwīn, p. 298; al-Nuwayrī, Nihāyat al-'arb fī funūn al-adab, Dar al-Kutub al-Misriyya (n.d.), 3/299.

80. The mutwalli al-dīwān is a diwan official whose duty is to ensure that the original copies of all transactions conducted in the diwan are authenticated by his signature. See: Ibn Mammati , Qawānīn al-Dawāwīn, p. 298.

81. The mu'ayn is a scribe who works under the mustawfi to assist him in the aforementioned tasks. He is responsible for drafting the diwan's records and is the primary authority for these records without the need for any other official's attestation. See: Ibn Mammati , Qawānīn al-

Dawāwīn, p. 301.

82. The nāsikh assists the mu'ayn. He is a lower-ranking official and is responsible for copying official documents before they are issued from the diwan, as well as copying incoming correspondence. See: Ibn Mammati , op. cit., p. 302.

83. The mushārif is tasked with requesting detailed information about any tax-collecting entity within his jurisdiction. He is responsible for all financial receipts after they have been stamped. Ibn Mammati , op. cit., pp. 302-303.

84. Ibn Mammati , op. cit., pp. 307-357.

References

[1] Ibn Khalkan. (1968). Deaths of Notables and News of Time, investigation: Ihsan Abbas, Dar Al-Thaqafa edition, Beirut AD, 1/210.

[2] Yaqoot Al-Hamawi. Lexicon of Writers. Dar Al-Mustaqrish edition, Beirut (D.T), 6/103-104.

[3] Al-Maqrizi. Sermons and Consideration by Mentioning Plans and Effects, 2/160.

[4] Al-Maqrizi, Plans, 2/160; Ibn Al-Sa'i Al-Baghdadi, Al-Jami' Al-Mukhtasar fi Entan Al-Tawarikh wa Uyoun Al-Sir, investigated by Mustafa Jawad, Baghdad, 1934 AD, 6/302.

[5] Aziz Surial Attia. (1991). Introduction to the Investigation of Ibn Mammati 's Book of Laws of Divinities, an illustrated edition of the edition of the Royal Agricultural Society, Cairo, pp. 27.

[6] Aziz Sorial Attia. Qawānīn al-Dawāwīn by Ibn Mammati . (Introduction to the Investigation), pp. 28-29.

[7] Al-Imad Al-Asbahani. (1951). Khareedat Al-Qasr and Al-Asr Newspaper, investigation: Ahmed Amin and Shawqi Dhaif, the special section on Egypt, Cairo, pp. 52.

[8] Ibn Mamaty (Abu Al-Makarim Al-Asaad bin Muhdhab. D. 606 AH

/ 1209), The Laws of Diwans, investigation by Aziz Surial Attia, Cairo, Edition of the Royal Agricultural Society, 1943.

[9] Ibn Manzoor (Muhammad bin Makram bin Ali. D. 711 AH / 1311 AD), Lisan Al-Arab, Beirut, Dar Sader, 1989 AD.

[10] Al-Qalqashandi (Abu Al-Abbas Ahmed bin Ali, d. 821 AH / 1418 AD), Subh Al-Asha fi Sinaat Al-Insha, Cairo, edition of the General Authority for Cultural Palaces, 2005 AD.

[11] Mustafa (Shaker), Arab History and Historians, House of Knowledge for Millions, Beirut, 1987.

[12] Aziz Surial Attia, Introduction to the investigation of the Book of Laws of Divinities by Ibn Mammati , an illustrated edition of the Royal Agricultural Society edition, Cairo, 1991 AD.

[13] Ibn Al-Sa'i Al-Baghdadi, Al-Jami' Al-Mukhtasar fi Entan Al-Tawarikh wa Uyun Al-Sir, investigated by Mustafa Jawad, Baghdad, 1934 AD.

[14] Al Shabashti, Al Diyarat, on its investigation and publication by Korkis Awwad, Al Maarif Press, Baghdad 1951 AD.

[15] Al-Imad Al-Asbahani, Khuraida Al-Qasr and Al-Asr Newspaper, investigation: Ahmed Amin and Shawqi Dhaif, the special section on Egypt, Cairo, 1951 AD.

[16] Ibn Al-Kindi, The Virtues of Egypt Al-Mahrousa, Al-Khanji Library Edition, Cairo, 1197 AD.

[17] Louis Sheikho: Poets of Christianity after Islam, fourth edition, Dar Al-Mashreq, Beirut 1991 AD.

[18] Abu Al-Salt, Al-Risalah Al-Masriyya, within the collection of anecdotes of manuscripts, edited by Abd al-Salam Harun, second edition, Cairo 1392 AH / 1972 AD, p. 43.

[19] Ibn Khalkan, Deaths of notables and news of time, investigation: Ihsan Abbas, Dar Al-Thaqafa edition, Beirut 1968 AD, 1/210.

[20] Ibn Al-Atheer, Al-Kamil in History, Dar Sader, Beirut 1982 AD.

[21] Yaqut Al-Hamawi, Lexicon of Writers, Dar Al-Mustaqrish edition, Beirut.

[22] Al-Nuwairi. The End of the Lord in the Arts of Literature, Dar Al-Kutub Al-Masria.

[23] Ibn Katheer. The Beginning and the End.

[24] Muhammad Abdullah Annan, Islamic Egypt and the History of Egyptian Plans, Al-Khanji Library, Cairo, 1969.

[25] Ibn Khalkan, Deaths of notables and news of time, investigation: Ihsan Abbas, Dar Al-Thaqafa edition, Beirut 1968 AD.

[26] Al-Kindi, Abu Omar Muhammad bin Yusuf (d. 350 AH / 961 AD), Governors of Egypt, investigation by Hussein Nassar, Beirut, Dar Sader, 1959 AD.

[27] Al-Maqrizi, Taqi al-Din Abi al-Abbas Ahmed bin Ali (d. 845 AH / 1441 CE), sermons and consideration by mentioning plans and antiquities, first edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1418 AH / 1998 CE.

[28] Al-Mawardi, Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr (d. 911 AH / 1505 AD), Al-Ahkam Al-Sultaniyya, first edition, Beirut, Dar Sader, 1999 AD.

[29] Ibn Katheer, Abu Al-Fida Ismail Ibn Katheer Al-Dimashqi (774 AH / 1372 AD) .

[30] The Beginning and the End, first edition, Beirut, Arab Heritage Revival House, 1988 AD.

المصادر والمراجع:

1 – ابن مماتي (أبو المكارم الأسعد بن مهذب. ت 606هـ / 1209)، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، القاهرة، طبعة الجمعية الزراعية الملكية، 1943.
2 – ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي. ت 711 هـ / 1311 م)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1989م.
3 – القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت 821 هـ / 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2005م.
4 – مصطفى (شاكر)، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1987
5 –عزيز سوريال عطية، مقدمة تحقيق كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي، طبعة مصورة عن طبعة الجمعية الزراعية الملكية، القاهرة، 1991م
6 – ابن الساعي البغدادي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، 1934م.
7 – الشابشتي، الديارات، على بتحقيقه ونشره كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد 1951م.
8 – العماد الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: أحمد أمين وشوقي ضيف، القسم الخاص بمصر، القاهرة، 1951م.
9 – ابن الكندي، فضائل مصر المحروسة، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، 1197م.
10 – لويس شيخو: شعراء النصرانية بعد الإسلام، الطبعة الرابعة، دار المشرق، بيروت 1991م.
11 – أبو الصلت، الرسالة المصرية، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة 1392هـ/ 1972م، ص 43.
12 – ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار الثقافة، بيروت 1968م، 1/210.
13 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت 1982م،
14 – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، طبعة دار المستشرق، بيروت (د.ت).
15 – النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية (د.ت).
16 – ابن كثير، البداية والنهاية،
17 – محمد عبد الله عنان، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1969م
18 – ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار الثقافة، بيروت 1968م
19 – الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350 هـ / 961 م)، ولاة مصر، تحقيق حسين

نصار، بيروت، دار صادر، 1959م.
20 – المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت 845 هـ / 1441 م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ / 1998م.
21 – الماوردي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ / 1505 م)، الأحكام السلطانية، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، 1999م.
22 – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ / 1372 م)،
23 – البداية والنهاية، الطبعة الاولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1988 م.

باب التربية :

1- ريادة الإشراف التربوي في لبنان، استراتيجيات مبتكرة لتعزيز التعلّم والتطوير المستدام

بقلم الطالبة سلمى فؤاد زاكي

2- التنمر الإلكتروني ووعي المشرف التربوي

بقلم الطالبة كلير فؤاد كفروني

باب التاريخ

1 - أصداء انفصال جمهوريات آسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتي واستقلالها 1991-1992 في بعض الصحف العربية

بقلم م. د. وجدان كارون فريح

2 - نشأة الكيانات الصليبية في المشرق العربي (مملكة بيت المقدس والإمارات الأخرى)

بقلم الطالبة ياسمين وحيد هلال

3- التطورات السياسية في الفترة الشهابية (فؤاد شهاب 1958-1964)

بقلم الدكتورة رباب يوسف وهبي

باب اللغة العربية وآدابها:

1 - لحظات التجلي في قصيدة تمهل قليلا : للشاعرة حياة الرايس من تونس (بوح معلّق)

بقلم الدكتورة رفيقة عبد الله بن رجب

2 - مفهومُ الخضرمةِ وانعكاساتُها على اللغةِ في عصرِ صدرِ الإسلام

بقلم الطالب: محمود محمد شحيمي

3- «الصّورة الفنّيّة في شعر علي زيتون» قصائد زينب أنموذجًا

بقلم الدّكتورة آمنة إبراهيم شكر

باب العلوم السياسية والقانونية:

1 - العمليات السيبرانية وتأثيرها على تحولات السيادة في الفضاء السيبراني

بقلم الباحث محمد محمود زيتون

2 - التشدد في حماية المريض في القانون اللبناني بالمقارنة مع القانون الأمريكي

بقلم الطالبة نجلاء عصام شبلي

3- اتجاهات الصراع الجيوسياسي في منطقة البحر الأسود

بقلم الطالبة فاتن فوزي مصطفى

أبحاث باللغات الأجنبية

1- Regards croisés : analyse comparative des deux œuvres littéraires francophones « Raconte –moi: la vigne et le lierre » d'Asma Abdelkarim et « Le roman de Beyrouth » d'Alexandre Najjar.

Écrit par Dr. Manal Bachir Hatoum

2- Ibn Mammati: His Life and His Book "Qawanin al-Dawawin" (Died in 606 AH / 1209 CE)

Written by Mohammad Majeed Hameed Bilal.

جديدنا
ادخال مجلة وميض الفكر للبحوث إلى معامل التأثير العربي ونيلها الأرقام (Ref.No:2020J1010)؛
وكذلك نالت رقم الـ (DOI:1018756/2020J101) .
كما تم فهرستها في مؤسسة الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية تحت رقم: code ARCI-2007-1110

ISSN 2618-1312

9 772618 131001